جامعة محمد الخامس بالرباط
كلية الآداب والعلوم الإنسانية

مركز دراسات الدكتوراه
الإنسان و المجال في العالم المتوسطي

تكوين الدكتوراه
اللسانيات و قضايا اللغة العربية

الأبعاد التداولية في شرح المفصل لِابن يعيش

أطروحة للحصول على شهادة الدكتوراه

إشراف الأستاذ : **محمد السيدي** إعداد الطالبة : **مينة شَعُّو**

2019-2018

حقوق الطبع

مـينــة شَــعُّــو

السنة

2019-2018

عنوان الأطروحة:

الأبعاد التداولية في شرح المفصل لِابن يعيش

إعداد
الطالبة : مـيــنة شَـعُّـو

صودق عليها: اليوم/الشهر/ السنة

_____	_____
اِسم الأستاذ (ة) (الأستاد المشرف)	اِسم الأستاذ(ة) (رئيس اللجنة)
_____	_____
اِسم الأستاذ (ة) (عضو اللجنة)	اِسم الأستاذ (ة) (عضو اللجنة)
_____	_____
اِسم الأستاذ(ة) (عضو اللجنة)	اِسم الأستاذ(ة) (عضو اللجنة)

إهداء

إلى من تحملا عناد الزمن لإسعادي،أمي و أبي.

إلى سندي في الحياة،زوجي و أخي.

إلى منبع سعادتي،أبنائي و حسناء.

شكر و تقدير

من كرم العطاء و سمو الروح العلمية ينبع شكرنا الجزيل لأساتذتنا الأفاضل بجامعة محمد الخامس بشكل عام،و للأستاذ الجليل محمد السيدي بشكل خاص الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث و تقديرا لأريحيته العلمية و إسهامه الجاد في تنمية تصوراتنا الفكرية، عليه تعلمنا المبادئ الأولى للسانيات،حيث أدنى مجلسه منا مذللا صعاب البحث العلمي.

فلكم منّا خالص الشكر و الإمتنان.

ملخص الأطروحة

الأبعاد التداولية في شرح المفصل لِابن يعيش

إعداد الطالبة:
مـينـــة شـــعـــو

إن الحديث عن موضوع اللسانيات التداولية في شرح المفصل لِابن يعيش،ليس تأصيلا لمفاهيم اللسانيات الحديثة،بل بيانٌ للاِمتدادات المعرفية و عرضٌ لجانب من الأفكار الرائدة التي قدمها علماء العربية قديما،خاصة النحاة،رغم أنها لم تكن تحظى بالاِهتمام من طرف الدارسين عنايتَهم بكل وافدٍ حديثٍ من المقولات اللسانية الغربية، و قد يختلف الفكر اللغوي العربي القديم عن اللسانيات التداولية على مستوى السطح،سواء من حيث شروطُ إنتاجه التاريخية و المعرفية،لكن هناك كثير من أوجه التلاقي على مستوى العمق موضوعاً و هدفاً و منهجَ مقاربة،الأمر الذي سيسمح بإمكانية مد جسور التواصل بين البحث اللساني الحديث و الفكر اللغوي العربي القديم الذي يمثل مرحلةً من أهم مراحل تطور الدرس اللساني الوظيفي.

RESUMÉ

LES DIMENSIONS PRAGMATIQUES DANS CHARH ALMOFASSAL

DE IBN YAAICH

Par MINA CHAOU

Parler de la portée pragmatique dans «SHARH AL MOFASSAL » de « IBN YAAISH » n'est aucun cas d'une interprétation de la linguistique moderne, mais une continuation cognitive et aussi une présentation d'une partie d'idées répandues présentées par les pionniers arabes surtout les grammairiens. Quoi qu'elle ne fût pas l'objet d'intérêt des chercheurs occidentaux. Probablement la réflexion langagière arabe peut varier de la pragmatique au niveau superficiel, que se soit au niveau des conditions historiques et cognitives de sa production, mais aussi sur le plan de convergence aux niveaux thématique établient et les méthodes d'approches. Ce qui permettra éventuellement de relier entre la recherche linguistique fonctionnelle et la pensée langagière arabe ancestrale.

ABSTRACT

THE PRAGMATICS DIMENSIONS IN SHARH ALMOFASSAL by IBN YAAISH

By

MINA CHAOU

Addressing the topic of pragmatics in "SHARH ALMOFASSAL" by "IBN YAAISH" is not a consolidation of the notions of modern linguistics. It is rather an illustration of the cognitive extensions and a demonstration of an aspect of pioneer ideas that were presented by earlier Arabic language scholars, particularly grammarians; despite the fact that they weren't given as much regard, by researchers, as the recently-imported arguments from the west. Although The ancient Arab linguistic thought, regarding the conditions of its historical and cognitive production, might superficially differ from pragmatics, they seem to deeply converge at the level of their subject matter, goal and approach; thus providing an opportunity to establish more connections between the modern linguistic research and the old Arab linguistic thought.

الفهرس:

الصفحة

إهداء IV

شكر و تقدير..... V

ملخص VI

ملخص باللغة الفرنسية..... VII

ملخص باللغة الإنجليزية VIII

الفهرس IX

مقدمة 1

الدراسات السابقة:..... 7

الفصل الأول من الأطروحة: **الإطار النظري للبحث**:..... 12

1.إشكالية البحث:..... 13

2.مقاربة مصطلحية:..... 20

1.2.التحديد المفهومي للأبعاد لغة و اصطلاحا..... 20

2.2. التحديد المفهومي للتداولية لغة و اصطلاحا..... 22

3.موقع اللسانيات التداولية من النظرية اللسانية:..... 25

4.مصادر اللسانيات التداولية و جهازها المفاهيمي..... 28

1.4.**فلسفة اللغة**:..... 28

1.1.4. الأفعال اللغوية..... 29

2.1.4.مصطلح الخطاب و طرفا الحدث الكلامي و السياق..... 33

3.1.4 مفهوم الإستلزام الحواري:..... 37

4.1.4. القصد أو المعنى التداولي:.....39
5.1.4.المبادئ التداولية للتخاطب:.....41
1.5.1.4.مبدأ التعاون.....41
2.5.1.4.مبدأ التأدب و اعتبار جانب التهذيب.....43
3.5.1.4.مبدأ التواجه.....44
2.4.**التداولية المدمجة:**.....45
1.2.4.الرابط الحجاجي:.....47
2.2.4. العامل الحجاجي:.....48
3.2.4. الموضع الحجاجي:.....48
4.2.4.السلم الحجاجي:.....50
3.4.**تداوليات نفسية:نظرية الملاءَمة**.....52
5.**التعريف بابن يعيش و شرحه:**.....57
1.5.حياته:.....58
2.5.شيوخه:.....58
3.5.تلامذته:.....59
4.5.ثقافته:.....60
5.5. مؤلفاته:.....61
6.5.منهجه في شرح المفصل:.....62
الفصل الثاني من الأطروحة:**الأسس الإستعمالية و التداولية في كتاب شرح المفصل لِابن يعيش**....65
1.تداولية الدرجة الأولى:.....68
1.1.أسماء الإشارة.....70
2.1.ظروف الزمان و المكان.....72
3.1.الضمائر الشخصية.....77

2.تداولية الدرجة الثانية:.....81
3.تداولية الدرجة الثالثة:.....95
1.3.الأفعال الكلامية في الغرض (القصد) و الإفادة.....100
2.3.الأفعال الكلامية في حروف المعاني.....108
3.3.الأفعال الكلامية في الأساليب اللغوية:.....118
1.3.3.أسلوب التأكيد.....118
2.3.3.أسلوب النداء.....120
3.3.3.أسلوب الأمر.....121
4.3.3.أسلوب التحضيض و العرض.....124
5.3.3.أسلوب الإستفهام.....125
6.3.3.أسلوب التحذير و الإغراء.....127
الفصل الثالث من الأطروحة: **إبن يعيش بين الدرس اللغوي العربي القديم و اللسانيات التداولية**..130
1.المقام أو السياق التداولي.....136
2.القصد التداولي:.....148
3.تداولية الرتبة:.....165
1.3.التقديم و التأخير:.....166
2.3.الحذف:..... 170

4.الإستلزام الحواري:.....178
خاتمة:.....200
ببليوغرافيا:.....204

مقدمة :

إن الحديث عن موضوع اللسانيات التداولية في شرح المفصل لِابن يعيش،ليس تأصيلا لمفاهيم اللسانيات الحديثة،بل بيانٌ للاِمتدادات المعرفية و عرضٌ لجانب من الأفكار الرائدة التي قدمها علماء العربية قديما،خاصة النحاة،رغم أنها لم تكن تحظى بالاِهتمام من طرف الدارسين عنايتَهم بكل وافدٍ حديثٍ من المقولات اللسانية الغربية،و قد يختلف الفكر اللغوي العربي القديم عن اللسانيات التداولية على مستوى السطح،سواء من حيث شروطُ إنتاجه التاريخية و المعرفية،لكن هناك كثير من أوجه التلاقي على مستوى العمق موضوعا و هدفا و منهج مقاربة،الأمر الذي سيسمح بإمكانية مد جسور التواصل بين البحث اللساني الحديث و الفكر اللغوي العربي القديم.

إن المتمعن في التراث اللغوي العربي القديم،يدرك أن علماء العربية قد تعجَّلوا قطع مسافة التطور التي بلغها الدرس اللساني الحديث،كما أبلوا البلاء الحسن في تشييد صرح علوم العربية،و إذا كان رواد اللسانيات الحديثة يؤكدون على أن اللغة تؤدي وظيفة اجتماعية ،فإن اللغويين العرب القدامى قد نادوا بذلك منذ زمن بعيد إما بشكل صريح أو ضمني،كما استطاعوا أن يطبقوا خلاصة ما سَنُّوه من قواعد دلالية في دراسة الأنساق الدالة و المعقدة للكلمات و التراكيب،مما يؤكد رؤيتهم الثاقبة لأثر السياق و ملابساته في تعيين الدلالة المقصودة من الكلام.

لقد أدرك علماؤنا قيمة السياق في بيان المعنى بناءً على وعيهم بالعديد من المفاهيم و الأفكار و الرؤى المحيطة بالعملية التخاطبية في ضوء مقاصد الكلام،كما فطنوا إلى العناصر اللغوية التي تُعِينُ على المعنى،لذلك أكد سيبويه على أن مدار الكلام على تأليف العبارة و ما فيها من حسن أو قبح و إن وضع الألفاظ في غير موضعها مؤشر على فساد النظم و قبحه،و على هذا الأساس فلكل استعمال دلالته و إن تغييرَ الاِستعمال يَنْتُجُ عنه تغييرٌ في المعنى.و يمكن القول إن اللسانيات التداولية من أهم العلوم المكتملة في التراث اللغوي العربي القديم ،إذ كانت لعلمائنا القدامى نظرة مُمَيَّزَة للمعنى من أهم سماتها الإحاطة و الشمولية،خاصة على مستوى البحث في سبل إنجاز المعنى في سياقه التداولي و هو ما يعبر عنه بفكرة"**لكل مقام مقال**".

لقد تمكن اللغويون العرب القدامى- استنادا إلى ما قرره سيبويه في باب الإستقامة من الكلام و الإحالة،و عنايته بنظم الكلام،و تنسيق العبارات،و رصده حركة الجملة من حيث إمكانية التصرف في مكوناتها- من **بناء نظرية متكاملة سياقية دلالية** تؤكد وعيهم في وقت مبكر لقيمة تأليف الكلام وفق السياق الإستعمالي و التداولي.

إن وجود هذه النظرية في التراث اللغوي العربي تبرهن على إحاطتهم بمستويات النظام اللغوي إحاطة شاملة،إذ تمكنوا من تصنيف المعاني النحوية و ضبطها مع ملاحظة الأبعاد الخارجية التي تحيط بالعملية اللغوية و أحوال المتكلمين و مقاصدهم و أحوال المخاطبين لقد اهتم الدراسات اللغوية القديمة بالمتكلم و مقاصده و بالمخاطَب و ما يستفيده و نظرت إلى المقام وما يتطلبه و إلى المعنى الذي يمكن أن يُستفاد في النهاية من العملية التواصلية .

لم يقف النحاة في دراستهم للفظ عند حدود الجملة بل تجاوزوها إلى ما يفوقها،لأن هدفهم الأسمى هو فهم القرآن الكريم باعتباره نصا متكاملا،كما بحثوا في أغراض المتكلم كعنصر أساس في التنظير النحوي متوسلين بمختلف العناصر التي تتكفل بإنتاج الخطاب لغوية كانت أم غير لغوية،و نهجوا طريق المعنى في تأديتهم،لأن التواصل لا يستقيم بمفردات أو جمل بل بنصوص،إذ النص وحدة تواصلية متكاملة و ما يؤكد كون النص هو الأداة المثلى للتواصل هو أن العلماء العرب يميزون بين القدرة اللغوية و القدرة الخطابية(التواصلية).المقصود بالقدرة الخطابية أو التواصلية هو تجاوز معرفة أوضاع اللغة إلى معرفة تنظيم الخطاب و أحكام بنيته بما يلائم الغرض المقصود.

لَمَّا كان النحو نظام من القواعد الكاشفة عن كيفيةِ بناءِ نسقٍ معينٍ و فهمهِ و تلقيهِ ثم إعادةِ إنتاجهِ مرة أخرى،فإنه من هذه الزاوية أداة يوظفها الإنسان المتكلم ليكتشف بها عبقرية اللغة في التواصل و قدرتها على التعبير عن الواقع الإنساني مختزنةً العلامات المعبرة عن عناصر الكون في الذهن البشري.و لَمَّا كان التبليغ الإنساني يُنْجَزُ بالنصوص و الخطابات،فإن من وظائفِ النحوِ الرئيسةِ رصدُ بناءِ النصوص و كيفية نسج الخطابات المتنوعة في مقامات متنوعة تكشف عن ظروف اجتماعية و رغبات نفسية معينة و بذلك فإن الدرس النحوي يؤطر عملية تماسك النص و انسجامه ليحقق أغراضه التداولية،كاشفا عن التناغم بين البنية و ظروف إنتاجها و دلالاتها المحققة للنص وجودَه و استقلاليتَه و للنص قيمتَه التواصلية.

تجدر الإشارة إلى أن الباحث في علاقة الكلام بالمقام في التراث اللغوي العربي القديم لا يمكنه بأي حال من الأحوال أن يُهْمِلَ المباحث البلاغية التي تميزت بعنايتها الكبيرة بالبعد الإنجازي للغة،و يمكن القول إن علمي المعاني و البيان ينزلان منزلة الجهاز النظري للدارس للمعنى في الكلام،لأن العلوم التراثية أكثر العلوم عناية بالمعنى و صناعته،و يعد مصطلح مقتضى الحال مقابلا للمصطلح اللساني الحديث السياق،فمنتج الخطاب في صناعته للمعنى يَعْتَدُّ بشكل المعاني و نوع المخاطَب و حال الخطاب و مقامه و هي كلها شروط لتحقيق الإفادة و التي لا تختلف عما جاء به الدرس اللساني الحديث خاصة التداولية و التي تجعلها من أهم شروط نجاح العملية التخاطبية.إن الدرس اللغوي التداولي يدرس المنجز اللغوي في إطار التواصل و ليس بمعزل عنه،لأن اللغة لا تؤدي وظائفها إلا فيه،و بما أن الكلام يحدث في سياقات اجتماعية فمن المهم معرفة تأثير هذه السياقات على نظام الخطاب المنجَز .

أسعى في هذا البحث القيام بفعل قرائي لكتاب شرح المفصل لِابن يعيش النحوي أتوخى من خلاله تحيينه مع الدرس التداولي المعاصر و أفترض منذ بداية البحث وجود أبعاد تداولية في الفكر النحوي لِابن يعيش.و لعل هذا ما حفزنا على البحث في منهج هذا الكتاب .

إن مسعانا في هذا البحث ليس السرد الزماني و الوصفي لحقل التداولية،بل هاجسنا الأساس هو عقد صلة حوارية مع هرم من أهرام التراث اللغوي العربي،و ذلك بالبحث عن ملامح الأبعاد التداولية في كتاب ابن يعيش:"شرح المفصل"،مع تلافي الوقوع في منزلق القطيعة و منزلق الإسقاط و العمل بأطروحة التطور،سلاحنا القراءةُ المتأنيةُ المتبصرةُ للتراث الفكري و اللغوي العربي في شموليته و تكامله،رافضين كل أشكال القراءات التفاضلية التجزيئية التي تسيء قراءة و فهم الموروث اللغوي القديم و تفضي إلى التأويل المغرِض اعتمادا على آليات فوقية عقلانية إديولوجية،لا تُسْعِفُ في تقويم التراث بموضوعية ،إذ ينصب الاِهتمام على نماذج تراثية دون أخرى.

نظرا للعلاقة الوطيدة بين الدرس النحوي العربي ومفاهيم اللسانيات التداولية وقع اختيارنا على موضوع الأبعاد التداولية في كتاب شرح المفصل لابن يعيش،هادفين من خلاله القيامَ بحصرِ تلك الأبعاد من أجل تحليلها و تفسيرها في ضوء اللسانيات التداولية المعاصرة،و ذلك عبر الوقوف على منهجه في معالجة الظواهر اللغوية وتحليلها و كيفية ربطها بالمقام مع محاولة سبر خيوط التلاقي و التشابه بين فكر ابن يعيش اللغوي و اللغويين المحدثين،ناهيك عن تمحيص النظر في العناصر الأساسية في تشكيل الخطاب الدائر بين المتخاطبين وفق المعطيات التداولية و استنباط تحليلات ابن يعيش للنماذج الخطابية المتقاربة مع الوجهة التداولية،و التي تدخل بلا ريب في قلب عملية التواصل و التخاطب.

هذا هو الدافع الرئيس لولوج الدرس اللغوي النحوي عند ابن يعيش النحوي في كتابه شرح المفصل،و تجدر الإشارة إلى أن معظم الدراسات التي تناولت هذا الكتاب"شرح المفصل"لا تخرج عن نطاق الوصف و العرض لجهود ابن يعيش النحوية في تيسير و تبسيط كتاب:"المفصل " للزمخشري " أو الوقوف على مواطن مخالفة ابن يعيش لبعض آراء الزمخشري النحوية.

إن الأسئلة التي انطلقنا منها لصياغة مقدمات البحث، و اقتراح فرضياته يمكن أن تأخذ المنحى التالي:

- **ما المقصدية التي أطرت تفكير ابن يعيش في فعل التأليف؟**
- **كيف أثر سياق العصر في تأليف كتاب شرح المفصل ؟**
- **هل توفق ابن يعيش في تجسيد قصدية عنوان الكتاب في المتن ؟**
- **هل كان ابن يعيش مجرد حالة معزولة مختلفة عما كان سائدا في الفكر اللغوي العربي آنذاك أم أن الخطاب اللغوي العربي القديم في عمومه خطاب تداولي استعمالي؟**
- **إذا كانت اللسانيات التداولية قد جاءت للإجابة عن أسئلة من قبيل:مَنْ يتكلم؟و إلى من يتكلم ؟ماذا نصنع حين نتكلم؟ماذا نقول بالضبط حين نتكلم ؟فما مدى استجابة ابن يعيش لهذا الطرح اللساني الحديث؟**

للإجابة عن هذه الأسئلة،و ما يمكن أن يتفرع عنها من أسئلة فرعية،انطلقنا من افتراض مفاده أن شرح المفصل لِابن يعيش ينطوي على أبعاد استعمالية تداولية و هكذا جعلنا الفصل الأول مدخلا لتقديم الإطار النظري الذي على أساسه سنصوغ أسئلتنا،بينما خصصنا الفصلين الثاني و الثالث للنظر في حقيقة الممارسة الإنجازية لأدوات الأجرأة التخاطبية في كتاب شرح المفصل لِابن يعيش- الذي يقتصر على سرد القاعدة النحوية فحسب،بل يتجاوزها إلى دراسة الحدث الكلامي لحظة إنجازه – وذلك عبر تحليل الِاستعمالات المتنوعة للآليات التداولية الآخذة بعين الِاعتبار ظروف التخاطب و السياق و ملابساته و لمكانيزمات لسانية أخرى من قبيل: القصد التداولي و الِاستلزام الحواري و تداولية الرتبة و الإشاريات...ثم الوقوف على حقيقة التطور العلمي في الميدان اللساني بمكونيه اللغوي و البلاغي في الدرس النحوي العربي القديم،هذا إلى جانب النظر في موقع ابن يعيش بين الدرس اللغوي العربي القديم و اللسانيات التداولية.

تتسم المنهجية التي اتبعناها في بناء عملنا بطرح القضايا العامة ثم الِانتقال بعد ذلك إلى ما هو جزئي ،أي ما يتعلق بالإشكال موضوع البحث.

نظرا لخصوصية الفكر اللغوي العربي القديم،أضحى لازما اعتماد التقريب التداولي في قراءة التراث،لأنه يُسْهِمُ في إضاءة الجوانب الحية منه و بعثه من جديد بما يتلاءم و معطيات الدرس اللساني الحديث،مما يتيح لنا:

- إيجاد مصطلحات علمية و فنية ملائمة عند ترجمة المصطلحات الغربية إلى اللغة العربية.فتكون لغتنا متسقة و موحدة في مصطلحاتها.
- رصد ما توصل إليه علماؤنا العرب القدامى من نتائج تُسْعِفُ في التأريخ لتطور العلوم الإنسانية.
- تقديم نتائج دراساتهم بلغة معاصرة،مما يفسح المجال لتقييمها بشكل موضوعي.

- إن الفكر اللغوي التراثي في عمقه فكر وظيفي من حيث مفاهيمه و منهجه و قضاياه و إن الإفادة من المنهج التداولي الحديث في تحليل أنواع الخطاب المختلفة تقود إلى الوعي بالذات عبر فهم أحسن للتراث،و لا يتم ذلك إلا بالتجرد من الإسقاطات السلبية لفكر حديث على آخر قديم.

- إن التوسل بالمنهج التداولي في قراءة التراث اللغوي العربي القديم سيمثل لا محالة نافذة جديدة لإدراك الخصائص الإبستملوجية و المنهجية له.إنه أداة فعّالة لقراءَته و فهمه خاصة بعدما أثبت هذا المنهج كفايته المنهجية و الإجرائية،إذ يُعدُّ أهم ما يُستنَد إليه في تقويم التراث اللغوي لما يتميز به من قواعدَ محددةٍ و شرائطَ مخصوصةٍ و آلياتٍ صوريةٍ.

- إن دراسة التراكيب اللغوية بمعزل عن محيطها لا يحقق أهداف التواصل و لا يفرق الأداءات المختلفة عن بعضها،لأن اللغة واقعة اجتماعية حية و تُحدد أبنيتها على أساس أنها علاقات و أنظمة داخلية تتأثر بما يكتنفها من مؤثرات خارجية ثم على أساس أنها وسيلة للتخاطب و للتواصل،لأجل ذلك يجب أن نتجاوز اعتبار اللغة تراكيب و دلالات إلى اعتبار اللغة **خطابا و تلفظا و إنجازا**.

من الصعوبات التي اعترضت سبيل البحث في موضوع:"الأبعاد التداولية في شرح المفصل لِابن يعيش":

- هناك صعوبات ذات صلة بالمنهج التداولي،فهو شديد الثراء إلى درجة يصعب معه تحصيل فكرة جامعة شاملة.
- تعددت التيارات التي تنتظم في إطار هذا المنهج،مثلما تعدد الأعلام المؤسسون له على مستوى التنظير الفلسفي و الإبستملوجي و التطبيق،لتجاوز هذه الصعوبات حاولت الإفادة من بعض المصنفات التأسيسية في هذا الباب.
- عسر تناول المتن،إذ يضم عشرة أجزاء تتآلف و تختلف،تجتمع و تفترق،فنظرنا إليها نظرة شاملة و كأنها جسد واحد أو صياغات لرؤية عامة واحدة.
- رحابة المتن اللغوي بشرح المفصل و تفاديا للتشتت حاولنا التركيز على مباحث مخصوصة من الكتاب.

نسأل الله التوفيق في هذا البحث ،سلاحنا في ذلك الإيمان بتطور الفكر اللغوي الإنساني و امتداده بعيدا عن كل أشكال القطيعة و الإسقاط المنهجيين.

الدراسات السابقة:

يفيد الرجوع إلى البحوث السابقة تعميق الإحساس بالإشكال- موضوع البحث - و إثراء فكر الباحث،و من تَمَّ استكمال الجوانب التي وقفَت عندها الدراسات السابقة،الأمر الذي يؤدي إلى تكامل الدراسات و الأبحاث العلمية. يمكن تفييء هذه الدراسات إلى فئتين وفق المنهجيةِ المعتمَدة و الموضوعِ المتناوَل:

الفئة الأولى:

1-**اِبن يعيش النحوي:عبد الإله نبهان**"1":حاول الكاتب في مؤلفه هذا الوقوف على سيرة ابن يعيش الذاتية و ثقافته و شيوخه و تلامذته و مصنفاته،ثم انتقل فيما بعد إلى الحديث عن كتاب المفصل للزمخشري تناول فيه مؤلِّف الكتاب و دواعي التأليف و مادته و شواهده و شروحه و آراء الباحثين المعاصرين،بعد ذلك قدَّم عرضا مُسهبا لشرح المفصل و مواده مدعما بالإحصاءات اللازمة لتوثيق ما ورد فيه من أحكام،فتحدث عن منهجه في شرح الشواهد،و عن اهتمامه بشرح اللغة و تفسير غريبها،و عن ظاهرة الجدل النحوي و أثر ثقافته المتنوعة في شرحه.بعد ذلك انتقل للحديث عن كتابه الثاني:"شرح الملوكي" مع عقد مقارنة بين الشرحين على مستوى مادة الصرف التي اشتملا عليها.

لعل أهم ما يمكن أن يستفاد من هذه الدراسة هو تلك القراءة الوصفية لكتاب شرح المفصل،مع التعريف بطبيعة الثقافة التي نهل منها ابن يعيش ،فانعكس ذلك على شرحه الذي يُعَدُّ من أجود الشروح على الإطلاق.

تؤكد هذه الدراسة على أن لِابن يعيش ثقافة جامعة لعلوم العربية،يبدو ذلك جليا في شرحه،كما تأثر بطرائق المنطق و الأصول و الكلام،مما يؤكد مرة أخرى أن الإقبال على التأليف في النحو و غيره من العلوم في القرن السادس و السابع كان موقفا حضاريا أملته الظروف الاجتماعية و السياسية،فالشارح كان ثمرة هذه البيئة التي كان مُلِمًّا بثقافتها المتنوعة المشارب،تصدر لتدريس النحو و التأليف فيه،كما نحى منحى موسوعيا في شرحه إذ عمد إلى جمع العلل و الآراء و عرضها بأسلوب جدلي حجاجي و أكد البحث على أن ما جاء به ابن يعيش لم يخرج عما جاء به الفارسي و ابن جني و السيرافي و إن كان قد زاد على هؤلاء بتوظيف مصطلحات المنطق و تطبيق مبدإ السببية في تتبعه للعلل.

2-**اِعتراضات ابن يعيش على آراء الزمخشري النحوية و الصرفية في كتاب شرح المفصل**"2":محمد سعيد صالح ربيع الغامدي:اِستهل الباحث مؤلَّفه بنبذة موجزة عن حياة كل من الزمخشري صاحب كتاب"المفصل" و ابن يعيش

"1":نبهان عبد الإله:ابن يعيش النحوي:دراسة:ص:157-158 ،الطبعة الأولى،1997،منشورات اتحاد كتاب العرب،دمشق،سوريا.

"2": محمد سعيد صالح ربيع الغامدي: اِعتراضات ابن يعيش على آراء الزمخشري النحوية و الصرفية في كتاب شرح المفصل:رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية و آدابها،تخصص:النحو و الصرف،السنة:2008،جامعة أم القرى،قسم الدراسات العليا العربية،فرع اللغة،المملكة العربية السعودية.

صاحب كتاب:"شرح المفصل":خصص الباب الأول من كتابه لِاعتراضات ابن يعيش على الزمخشري في قضايا الإعراب و التركيب،أما الباب الثاني فقد خصصه لِاعتراضات ابن يعيش على الزمخشري في قضايا البنية.

تحقيقا لهذا الغرض جمع المؤلّف كل المسائل الصرفية و النحوية التي اعترض فيها ابن يعيش على الزمخشري و خرج منها بدراسة عن الأصول العامة للخلاف النحوي بشكل عام و الخلاف بين هذين اللغويين بشكل خاص.لعل أهم ما يمكن أن يستفاد منه في هذا البحث هو بالتحديد الباب الأول منه و الذي تندرج تحته ثلاثة فصول ذات علاقة وطيدة بالبحث الذي أروم خوض غماره،هاته الفصول تمس قضايا جوهرية في مجال الإعراب و التركيب.

و يتعلق الأمر ب:

الفصل الأول:الشذوذ في اللغة:أشار الباحث في هذا الفصل إلى أن مصطلح الشذوذ يعتوره الكثير من الغموض،كما انتهى إلى تحديد الأسباب الكامنة وراء وجود هذه الظاهرة مع التطبيق على ذلك بمسائل الِاعتراض.

الفصل الثاني:اللغة بين التقعيد و الِاستعمال:نحو اللغة و نحو الِاستعمال:أظهر البحث فرقا جوهريا بين ما يَثبت للغة من أحكام و ما يوجد من نماذج الِاستعمال.

الفصل الثالث:اِقتضاء اللفظ و اقتضاء المعنى و أثره في توجيه الأعاريب و تأويل التراكيب:بينت دراسة المسائل ما كان من الأحكام النحوية على نحو ما، من أجل اقتضاء اللفظ أو اقتضاء المعنى أو هما معا.

الملاحظ أن الظواهر التي أثيرت في الفصول الثلاثة لها علاقة واضحة بموضوع بحثي و خاصة في شقه التطبيقي،خاصة و أن المؤلف يتبنى في دراسته لهذه الظواهر اللغوية ذلك التمييز الذي أقامه دوسوسير بين اللغة والكلام:

اللغة :هي مجموع القواعد الذهنية المجردة المخزنة في عقول الجماعة اللغوية.

الكلام:نشاط فردي يقوم به المتكلم أو هو بالأحرى كل الألفاظ و التراكيب و الأساليب التي ينتجها المتكلم ويتم الحكم على سلامة أو خطإ الكلام أو النظر في ما لحقه من نقص أو زيادة...بموجب تلك القواعد أي بموجب اللغة و بمقتضى أصل الوضع الذي هو نحو اللغة كان من حق المفردات و التراكيب أن تأتي وفق قياسها الذهني المطرد فلا يشذ منها شيء و بمقتضى نحو الِاستعمال-نحو الكلام-شذ ما شذ منها،إما ميلا للتخفيف أو لأمن اللبس أو التوهم و بشكل عام مراعاة لظروف المقام و ملابسات السياق.

رغم أن هذه الدراسة تطرقت لظواهر لغوية في غاية الأهمية،بيد أنها لم تضعها في إطارها المناسب و لم تحدد موقعها الصحيح ضمن النظريات اللسانية الغربية،خاصة تلك التي تولي عناية بالمخاطَب،لإخراج النحو العربي من تلك النظرة الضيقة.إذ ظل و لأمد طويل حبيس الوصف المعياري لمباحثه ،لذلك فإننا في أمس الحاجة إلى دراسات علمية مؤسسة على خطاب معرفي جديد يتعامل مع النحو العربي وفق منطلق شمولي قائم على شساعة و رحابة مباحثه لِاستنباط النظام المعرفي المتحكِّم في جهاز النحو العربي كما يمثل مدخلا لإعادة بناء و تركيب أدوات الوصف و التفسير الموظفة في دراسة الظواهر اللغوية.

3–**التحليل النحوي عند ابن يعيش:دراسة نحوية تحليلية:فاطمة عمر السايرّ**"1":حاولت الباحثة الوقوف على الطريقة التي اتبعها ابن يعيش في شرحه لأبواب النحو بغية الوقوف على منهجه المتفرد في تناول القضايا النحوية،موافقا شيخه في بعضها و مخالفا له في البعض الآخر،فليست غايتها عقد مقارنة بين الشيخ و تلميذه،بل الغاية هي تبيين منهج ابن يعيش و طريقته المتفردة في التحليل.من أهم نتائج هذه الدراسة:

1–أكدت الدراسة على غزارة علم ابن يعيش،يبدو ذلك جليا في طريقة شرحه للمفصل.

3–شرح المفصل يمثل مصنفا بصريا و كوفيا معا، نظرا لتوظيفه مصطلحات بصرية و أخرى كوفية.

4–اِتسم منهج ابن يعيش بكثرة الاِستطراد،إذ يُقدم في المسألة الواحدة أكثر من رأي.

5–اِعتماده في عملية التحليل على كل من السماع و القياس.

6–الإعراب هو الحَكم و الأساس في عملية التحليل النحوي عنده.

أهم ما يستفاد من هذا البحث:

هو الوقوف عن كتب على منهجيته في التحليل النحوي و نظرته الشمولية للنحو العربي،بحيث لا يتعصب لرأي على حساب آخر،بل إنه يعرض لكل الآراء المختلفة،و في الأخير يعرض لموقفه الشخصي من المسألة محتكما في ذلك إلى سياق الاِستعمال،كما تراوح التحليل النحوي لدى ابن يعيش بين اتجاهين اتجاه يجسد آراء اللغويين السابقين و اتجاه يجسد آراءَه و مواقفَه النحوية الخاصة،مما يقوم دليلا على امتلاكه لمنهجية متميزة و متفردة في مجال التحليل النحوي بعيدا عن كل أشكال التقليد و الاِجترار لسابقيه من الشراح و اللغويين.

الفئة الثانية:

1–: التداولية عند العلماء العرب:دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي:مسعود صحراوي"2":

يحاول الكاتب في هذا الكتاب توضيح كيف جرى استثمار أبرز مفهوم في حقل التداولية و يتعلق الأمر ب"الفعل اللغوي"في قراءة الموروث اللساني العربي عبر حقول معرفية متعددة،مثل علم البلاغة و علم أصول الفقه و علم النحو...لذلك يقوم بتحليل هذا الجهد التجديدي في البحث اللغوي و في ظاهرة "الأفعال اللغوية" محاولا تأصيله و إثراء الرؤية الغربية المعاصرة و تأصيلها و تعميقها عبر مزاوجتها بالجهد الذي بذله أسلافنا القدامى أمثال الجرجاني و سيبويه و السكاكي و القزويني...

"1":فاطمة عمر السايرّ:التحليل النحوي عند ابن يعيش:من خلال كتابه شرح المفصل:دراسة نحوية تحليلية: قسم الدراسات النحوية و اللغوية. كلية اللغة العربية كلية الدراسات العليا، السنة:2011،جامعة أم درمان الإسلامية.

"2":صحراوي مسعود:التداولية عند العلماء العرب:دراسة تداولية لظاهرة"الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي:الطبعة الأولى،2005،دار الطليعة للطباعة و النشر،بيروت،لبنان.

يتألف هذا البحث من خمسة فصول.في الفصل الأول تطرق للجهاز المفاهيمي للسانيات التداولية و أهم مصادرها،مشيرا إلى أن مهمة اللسانيات التداولية هي الكشف عن القوانين الكلية للإستعمال اللغوي مع التعرف على قدرات الإنسان في مجال التواصل اللغوي،فتغدو التداولية علما للإستعمال اللغوي،غير أنه في تحديده لأهم مفاهيم التداولية أهمل **مفهوم القصدية**،و الذي يشكل الدرجة الثانية من درجات التداولية الثلاث لدى **هانسن** Hansson،رغم وجود إشارات مختلفة من الكتاب بوصفه مسلمة تتضمن شبكة من المفاهيم المترابطة مثل:مبدأ الإستراتيجية و نمط تنظيم الخطاب...لكن رغم ذلك فالمفهوم يحتاج إلى مزيد من التوسع و التفصيل،و المقصود **بالقصدية** دراسة العلاقات الرابطة بين الملفوظ و مقتضاه أي بين الكلام و القصد منه بالإعتماد على سياق التلفظ.

و في الفصلين المعنونين على التوالي:**معايير التمييز بين الخبر و الإنشاء في التراث العربي** و **تقسيمات العلماء العرب للخبر و الإنشاء**،حدد مسعود صحراوي موقع الظاهرة من منظومة البحث اللغوي و شرح بالتفصيل معايير هذا التمييز مع النفاذ إلى تقسيمات عامة و أخرى خاصة لبعض الفلاسفة أمثال ابن سينا و الفارابي وأخرى للبلاغيين أمثال السكاكي و الجاحظ و المبرد و الأسترابادي،مما يؤكد لنا من جديد أن تبني المنهج التداولي و اعتماده في قراءة الموروث اللغوي العربي،كفيل بأن يوسع من آفاق رؤيتنا و إدراكنا لأسسه الإبستملوجية و المنهجية.لكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: لِمَ يُعتدُّ بمعايير التمييز بين الخبر الإنشاء مع أن كلاهما يحمل فعلا إنجازيا؟و هل يُعد هذا التمييز ضرورة منهجية لكشف الأفعال اللغوية؟

2-الأسس الإبستملوجية و التداولية للنظر النحوي عند سيبويه للكاتب إدريس مقبول"1":

حاول الكاتب عبر مؤلفه تأكيد حقيقة مفادها أن الثقافة العربية اللسانية لا يمكن أن تتجدد ما لم يقف العقل على مسافة من نفسه وما لم يكن له وعي مغاير بذاته،آنذاك تتم عملية مساءلة الأصول و إعادة قراءتها على نحو يؤدي إلى إعادة اكتشافها و بنائها.التجديد بهذا المعنى هو إعادة بناء الذات.و في الشطر الثاني من الكتاب ركز إدريس مقبول على النظر النحوي من حيث هو فعالية بنائية و خطابية تمنحه إمكانية تنظيم منطق الخطاب النحوي على ضوء الدراسات التداولية الحديثة،إسهاما منه في بناء منهج علمي يسهم بدوره في المناخ الفكري الذي يسعى إلى التفكير في فلسفة اللغة في ضوء اللسانيات و المنطق و علم النفس و معارف أخرى.

لعل أهم ما يمكن أن يُستفاد من هذا المؤلف هو محاولته الجادة في فهم التراث و إعادة قراءة في شموليته وتكامله ،و ذلك عبر الإفادة من المنهج التداولي الحديث في تحليل أنواع الخطاب المتنوعة بكيفية تُسْهِمُ في إضاءة الجوانب الحية منه و بعثه من جديد بما يتلاءَم و مستجدات الدرس اللساني الحديث.إن الكاتب ضمَّن مؤلَّفه

"1": مقبول إدريس:الأسس الإبستملوجية و التداولية للنظر النحوي عند سيبويه:طبعة 2007،جدارا للكتاب العالمي،عمان،الأردن

هذا مباحث جد هامة يمكن اعتمادها كمقدمة تعين الباحث على وعي الأصول و المفاهيم التداولية بلغة تطبعها السلامة و الدقة المنهجية،كما يعتبر هذا المؤلف محاولة جديدة لِاستيعاب موروثنا اللغوي العربي القديم،خاصة و أنه يثير قضية في غاية الأهمية و يتعلق الأمر بدراسة اللغة في الِاستعمال و خضوعها لمتطلباته على مستوى الإنتاج والتأويل،رغم أنه اقتصر فقط على الجهود النحوية لسيبويه دون غيره من اللغويين العرب القدامى.

3- التداولية في الدراسات النحوية:عبد الله جاد الكريم"1":

حاول الكاتب في مؤلفه هذا إثبات احتواء التراث العربي على مباحث و أفكار ذات توجهات و إجراءات تداولية، أو بمعنى أصح الكشف عن الوجه الآخر للتفكير اللساني العربي،فتكون بذلك التداولية مدخلا ملائما من مداخل فهم هذا التراث العظيم،و وسيلة ناجعة تُسعف في قراءته،معتبرا أن تطبيق المفهوم التداولي على اللغة العربية سيسهم في وصفها و رصد خصائصها و تفسير ظواهرها الخطابية التواصلية.مؤكدا على ضرورة النأي عن التعسف في تطبيق الجهاز المفاهيمي التداولي مؤمنا بخصوبة الحقل اللغوي العربي ابستملوجيا و معرفيا.

أهم ما يستفاد من هذا الكتاب هو ذلك الفرش النظري لمفاهيم التداولية و أدواتها الإجرائية و كذا أهم منطلقاتها،غير أنه في الفصل المعنون ب:التداولية لدى النحاة العرب أثار بعض الظواهر اللغوية في التراث اللغوي العربي بشكل منعزل دون محاولة ربطها بمفاهيم التداولية و وضعها في إطارها العام ضمن الدرس اللساني الحديث.

كما نسجل غياب الحصر و التقييد لموضوع البحث الذي جاء تحت عنوان :التداولية في الدراسات النحوية،بمعنى أنه سوف يحصر مجال التطبيق الإجرائي لأدوات التداولية في الدرس النحوي فقط،لكن واقع الحال يكشف خلاف ذلك لأن الكتاب مؤلَّف في النحو و البلاغة.

تقويم إجمالي:

إن جهود الفئة الأولى لا تخرج عن نطاق الوصف و العرض لجهود ابن يعيش النحوية في تيسير و تبسيط كتاب "المفصل " للزمخشري أو مخالفته لبعض آرائِه النحوية،أما الفئة الثانية فقد تبنت التقريب التداولي في قراءة نصوص لغوية تراثية مع التركيز بشكل واضح على جهود سيبويه في هذا المجال،مع إشارات باهتة لنماذج من "شرح المفصل" لِابن يعيش.تكمن استفادتي من الفئة الأولى على مستوى المادة اللغوية،خاصة و أن كتاب"شرح المفصل" يمثل تجليا رائعا للنحو العربي في القرن السابع الهجري،كما أن صاحب هذا الأثر جدير بالِاهتمام و الدرس، إذ لم يحظ بدراسة خاصة، و كل ما كتب عنه لا يتعدى صفحات متناثرة هنا و هناك.أما الفئة الثانية فيُمكن الِاستفادة منها على مستوى المنهج المعتمد و يتعلق الأمر بالمنهج التداولي أو بالأحرى التقريب التداولي،مداً لجسور التواصل البَنَّاء بين الموروث اللغوي العربي القديم و مستجدات التفكير اللساني الحديث.

"1": جاد الكريم عبد الله:التداولية في الدراسات النحوية:الطبعة الأولى،2014،القاهرة،مصر.

الفصل الأول من الأطروحة:

الإطار النظري للبحث:

1. إشكالية البحث
2. مقاربة مصطلحية.
3. موقع اللسانيات التداولية من النظرية اللسانية
4. مصادر اللسانيات التداولية و مفاهيمها.
5. التعريف بابن يعيش و شرحه.

1.إشكالية البحث:

قبل الولوج إلى عوالم التداولية حري بنا التساؤل عن الأساس الذي يجب اعتماده في تحديد مفهوم التداولية.هل تحدد على أساس البنية اللغوية فقط؟و إن التركيز على هذا الأساس يجعلها مساوية للسانيات البنيوية،أم نحددها على أساس تعالق البنية اللغوية بمجال استعمالها؟و بتعبير آخر هل تندرج اللسانيات التداولية ضمن ما يَعْرَفُ باللسانيات الصورية غير الوظيفية أم تندرج ضمن اللسانيات الوظيفية؟

القـضـيـة:

إذا أخذنا بالإفتراض الأول فهذا معناه أن اللسانيات التداولية ينحصر موضوعها في دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها، و باعتبارها نظاما مجردا منفصلا عن تاريخه و عن الواقع الخارجي و هي بذلك تماثل بنيوية دوسوسير التي تُعنى بدراسة و تحليل العناصر اللغوية للنص بغض النظر عن الملابسات الخارجية التي رافقت تَكَوُّنَ النص و التي تندرج تحت ما يسمى بالسياق التداولي،فيغدو التحليل البنيوي مغامرة لكشف العلاقات الداخلية بين بنيات العلامات اللغوية.إنها دعوة إلى الإنغلاق على النص.

إن دراسة النظام اللغوي معزولا عن سياق التواصل الإجتماعي يمثله الإتجاه الشكلي في اللسانيات،الذي يركز على دراسة اللغة في مستوياتها المعروفة:المستوى الصوتي- بشقيه الفونتِيكي و الفونولوجي- و المستوى التركيبي و الدلالي و هو اتجاه صوري تندرج ضمنه مدرستين لسانيتين هما:

أ. **اللسانيات البنيوية:**

كان لسوسير الفضل في الدعوة إلى اعتماد المنهج الوصفي في اللسانيات،باعتباره بديلا منهجيا عن المنهج التاريخي.هذا التفكير المنهجي تطور ليخرج في شكل جديد اصطلح عليه اسم **البنيوية**،و لهذه الكلمة دلالات منها:النظام و الترتيب،ثم ذاع هذا المصطلح ليتم توظيفه في علوم الإجتماع و الإقتصاد و الكيمياء و الجيولوجيا والرياضيات و كذا الفلسفة،مما يفيد تحول البنيوية إلى إطار نظري معرفي هيمن على تلك الحقبة الزمنية.عموما فالبنيوية في اللسانيات تُعنى بدراسة اللغة باعتبارها نظاما نظريا مجردا منفصلا عن تاريخه و منفصلا عن واقعه الخارجي:"إن بنيوية دوسوسير تعني دراسة بنية(أو بنى) اللغة في حد ذاتها على نحو مستقل،ليس فقط بعزلها عن التاريخ أو العالم الخارجي،بل أيضا عن نسيجها الإجتماعي التي تعيش فيه،و العمليات النفسية التي يقوم بها متكلموها عند فهمها أو اكتسابها".[1]من أشهر الثنائيات المشهورة التي قدمها دوسوسير التمييز بين اللغة و الكلام إلى جانب ثنائيات أخرى كالتمييز بين الدال

---

[1]: محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات:ص67،الطبعة الأولى،يونيو،2004،دار الكتب الوطنية،بنغازي،ليبيا.

و المدلول و ثنائية الدراسات التعاقبية و التزامنية ثم مبدأ أولوية النسق أو النظام،على أن هذه الثنائيات لا تمثل اختلافا جذريا بل هي متداخلة تبدأ حين تنتهي سابقتها.

اللغة وفق تصور سوسير نظام اجتماعي في حين إن الكلام هو ذلك الأداء الفردي الذي يتحقق عبر هذا النظام،بمعنى أنه يميز بين لغة مجموع الجماعة المتكلمة و الثاوية في الوعي الكلامي لكل فرد و ظاهرة الكلام الفردي الذي يعكس نموذج اللغة،و بتعبير آخر إن اللغة تمثل ملكا لمجموع الجماعة المتكلمة و الكلام هو ذلك التحقق الفعلي لها في المجتمع.

إن اللسانيات البنيوية تهتم بدراسة المنجَز في صورته الآنية بغض النظر عن السياق الذي أنتج فيه و بعيدا عن المرسِل و قصده.يتم ذلك عبر تحليل مستويات لغة معينة- باعتبارها تمثل كيانا قائما بذاته له بنية كلية –و عبر البحث في العلاقة بين هذه المستويات الثلاث،و لعل أهم خاصية تميز هذا التحليل هو أنه لا يولي الكلام الفردي أدنى عناية.لقد ركزت هذه الدراسات البنيوية في بداياتها على دراسة الجملة في المستوى التركيبي،ليتم تجاوزها إلى مستويات أعلى،إذ ظهرت مفاهيم من قبيل:تحليل النص و تحليل الخطاب و نحو النص،على أن مفهوم النص وفق تصور هذا الإتجاه اللساني يتحدد في ذلك النسيج اللغوي المنغلق على ذاته."1"

ب. **اللسانيات التوليدية:**

هي لسانيات تُعنى بتفسير الظاهر اللغوية في عمقها قبل الإنجاز،و قد انتقل هذا التوجه اللساني بالدرس اللغوي من مرحلة ملاحظة الظواهر اللغوية و وصفها إلى محاولة تفسيرها و وضع النظرية لإخراج اللغة من سكونها ومنحها طابعها الإبداعي الخلاق.لأجل ذلك نجد أصحاب هذا التوجه اللساني يعتمدون المنطق و الرياضيات في عمليات التقعيد و التمثيل،لإضفاء صبغة علمية منضبطة على اللغة،جاعلا من الجملة أساس التحليل،و مادام الإنسان يخضع لقواعد صورية في عملية إنتاج الكلام،فقد أضحى لازما البحث في علاقة العقل باللغة،مع الإهتمام بالمكون البيولوجي لها،بوصفه المكون الذي يتيح للمتكلم إنتاج و تفسير عددٍ لا متناهٍ من الجمل التي لم يسبق له أن سمعها من قبل و بوصف اللغة أهم خصائصه.إن اللسانيات التوليدية تنحو إلى التجريد و اصطناع الجمل،مثلما فعل تشومسكي في العبارة المشهورة:

تنامُ الأفكارُ الخضراءُ عديمةُ اللَّونِ باختناقٍ.

إن هذه الجملة توافق قواعد النحو وفق ما يقتضيه المكون التركيبي،بيد أنها تفتقر إلى المعنى،الأمر الذي استدعى الإهتمام بالمكون الدلالي في المراحل اللاحقة،و بعد تطور المنهج التوليدي،ظهر مفهوم النحو التحويلي الذي يعتبر اللغة مجموعة من الجمل العميقة و بذلك أمكن رد عدد من الجمل المنجزة إلى جمل ذات بنية عميقة،ليفسر محدودية الأصل و لا نهائية المنجَز.

"1":نعمان بوقرة:المدارس اللسانية المعاصرة:ص:76مكتبة الآداب،القاهرة،مصر.

تقر النظرية التوليدية التحويلية بإمكانية دراسة اللغة باعتبارها بنية مجردة،كما جعلت النحو عملية ميكانيكية لها قواعدها التي لا تراعي قط الواقع النفسي و الإجتماعي للمتكلم و لا سياق الحديث،لأن اللغة وفق تصورهم مجرد نشاط عقلي،فعملية وصف حالات التحويل في البنى التركيبية تتم دون البحث في أسبابه و علاقته بوظيفة التواصل أو ملابسات الخطاب و مقامه،و باختصار شديد يمكن القول إنها تولي عناية للخطاب على حساب المتكلم و المخاطَب و السياق.إن موضوع اللسانيات التوليدية هو اللسان و المقصود به تلك الملكة التي اختص بها الكائن البشري دون باقي الكائنات الأخرى،يقول تشومسكي:(إن الموضوع الأول للنظرية اللسانية هو المتكلم المستمع المثالي المنتمي لعشيرة لغوية متجانسة كليا،و الذي يعرف لغته.و عندما يطبق معرفته هذه في إنجاز فعلي، فإنه لا يخضع للشروط النحوية غير الملائمة كقصور الذاكرة أو عدم الإنتباه أو الخطإ"[1]".و بهذا يكون قد أغفل الإنجاز الفعلي للغة أو الكلام أو ما يرافقه من ملابسات سياقية تداولية،لإعتقاده أن عملية دراسة الإنجاز غير متاحة لسانيا قبل القيام بدراسة شاملة لطبيعة القدرة و خصائصها مثلما تتعذر عملية دراسة الإنجاز بغير دراسة معمقة للمعرفة الضمنية التي يمتلكها مستعمل اللغة.

لقد كان هدف اللسانيات التحويلية هو محاولة تفسير"الكفاية" التي يمتلكها المتكلم و التي يستطيع بواسطتها إنتاج و فهم عدد لامحدود من الجمل التي لم يسبق له أن سمعها من قبل أو بالأحرى يحاولون تفسير سر الإبداعية في اللغة مع تمثيل هذه الإبداعية في شكل نموذج مؤلَّف من عدد محدد من التراكيب التي تمثل القواعد الأساسية التي تسعف في تكوين جمل اللغة،و تمثل تلك القواعد البنية العميقة أما البنية السطحية فتمثلها الجملُ المكونةُ على أساسها،و تتلخص مهمة قواعد التحويل في شرح كيفية انتقال البنيات العميقة إلى البنيات السطحية.

مفاد القول:

إن هذه الدراسات اللسانية–سواء البنيوية أو التوليدية التحويلية– اقتصرت في دراستها على الجملة،و بذلك وقفت عاجزة عن دراسة بعض الظواهر اللغوية مثل الإحالة و الإضمار و الروابط الخطابية.

نقيض القضية:

أما إذا أخذنا بالإفتراض الثاني و الذي مفاده أن اللسانيات التداولية تعنى بدراسة اللغة في الإستعمال،فهذا معناه أن اللسانيات التداولية تندرج ضمن اللسانيات الوظيفية،و المقصود بالوظيفة في هذا الإتجاه تعالق بنية اللغة بوظيفة التواصل تعالقا يجعل البنية انعكاسا للوظيفة و تابعة لها،فلا اعتبار للوحدات اللسانية إلا عبر الوظيفة التي تؤديها في عملية التواصل.ظهر هذا الإتجاه اللساني بعدما عجزت الدراسات الشكلية عن ملامسة الأبعاد النفسية و الإجتماعية للغات الطبيعية و تجاوزا للتجريد المفرط و رفضا لفكرة التحويل،لأن اللغة لا تظهر خصائصها إلا

"1": محمد محمد يونس علي: مدخل الى اللسانيات:ص42-43،الطبعة الأولى،يونيو،2004،دار الكتب الوطنية،بنغازي،ليبيا.

عبر المنجَز التلفظي في سياق محدد.لأجل ذلك دعا الباحثون في إطار اللسانيات الوظيفية إلى تطوير الدراسات اللغوية بدراسة اللغة في الإستعمال،الأمر الذي استوجب دراسة السياق الذي يتم فيه التلفظ بالخطاب اللغوي انطلاقا من تحديده و ذلك بمعرفة مكوناته و وظيفة كل مكون في تشكيل الخطاب و تأويله،مع دراسة افتراضات المرسِل عند إنتاجه خطابه و مقاصده."1" و يعد "هايمز" و"فيرث"و"سابير"من اللغويين الذين ضاقوا ذرعا من ذلك الإطار الشكلي الصوري للبنيوية و الذي يحصر موضوع الدراسة اللسانية في دراسة اللغة باعتبارها نظاما مغلقا دون الغوص في عوالم الإستعمال الفعلي للغة و الأخذ بعين الإعتبار العوامل النفسية و الإجتماعية للظواهر اللغوية.تتحدد نظرية فيرث في كونها تنظر إلى المعنى باعتباره وظيفة في سياق.هذا التحديد أحدث نقلة ابستملوجية كبيرة في النظر إلى المعنى الذي كان منحصرا في العلاقة بين اللفظ و ما يحيل عليه في الخارج أو في الذهن من حقائق و أشياء كما دعا فيرث إلى النأي عن اعتبار المعنى مجرد عمليات ذهنية و النظر إليه على أنه مركب من العلاقات السياقية. "2"

من النظريات التي تولي الإهتمام و العناية للبعد الوظيفي في وصف اللغة،النظرية الوظيفية المقترحة في إطار مدرسة هارفارد الأمريكية و المدارس الوظيفية الأوروبية خاصة المدرسة النسقية و مدرسة براغ و النحو الوظيفي لسيمون ديك.

لقد حظي المنهج الوظيفي بشهرة كبيرة بين الدراسات اللسانية الحديثة و أضحى محل استقطاب الدارسين و الباحثين،بفعل ما اختصت به الدراسة الوظيفية من موضوعية علمية و واقعية لغوية،تأخذ بعين الإعتبار ظروف إنجاز الخطاب و ملابسات السياق النفسي و الإجتماعي لكل من المتكلم و المخاطب.

يقر أغلب الدارسين على أن البداية الفعلية للسانيات الوظيفية كانت مع مدرسة براغ (1926) يركز هذا الإتجاه على فكرة تبعية البنية للوظيفة،كما يقوم بوصف القدرة أو الملكة للمتكلم /المستمع.تتحدد القدرة في مجموع القواعد البنيوية الوظيفية التي تمكن من استعمال اللغة في موقف تواصلي محدد لأداء غرض محدد."3 "لقد ركز هذا التوجه اللساني على ضرورة دراسة الوظيفة الحقيقية للغة و المتمثلة في التواصل، فاللغة وظيفتها الأساس هي التواصل و يمكن أن تؤدي وظائف أخرى يمكن عدها أشكالا مختلفة لوظيفة التواصل كالوظيفة الجمالية،في هذا الإطار يعتبر رامون جاكبسون التواصلَ نشاطا شفهيا كان أو كتابيا،يتم بتبادل الأفكار و الآراء و المعلومات عن طريق الإرسال و الإستقبال بواسطة نظام من الرموز المتعارف عليها بين المرسِل و المرسَل إليه، و عبر قناة أو قنوات

"1": محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات:ص44،الطبعة الأولى،يونيو،2004،دار الكتب الوطنية،بنغازي،ليبيا.

"2":محمد محمد يونس علي:نفسه: ص79.

"3":المتوكل أحمد: الوظيفة و البنية :مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية:ص 10،الطبعة الأولى،منشورات عكاظ،1993،الرباط،المغرب.

أو طرائق تصل بين المرسِل و المرسَل إليه.إذ يتم تشغيل كل القدرات الذهنية و العقلية من ملاحظة و وصف و تحليل و نقد و حكم و استنتاج و تقويم ...

و من المكونات الأساسية في عملية التواصل حسب رامون جاكبسون:

-المرسِل أو المتكلِّم/المتلقِّي أو المستمِع.

-السياق/قناة الإتصال.

- الشفرة /الرسالة .

يرى أن كل واحد من هذه المكونات يحدد وظيفة مختلفة للغة،و رغم أنه حدد ست وظائف أساسية للغة، فإنه يؤكد على أننا لا نعثر على رسالة لفظية تؤدي وظيفة واحدة فقط بصورة منعزلة عن باقي الوظائف،و إن البنية اللفظية للرسالة تقوم بالأساس على الوظيفة المهَيْمِنَة،فالوظيفة العاطفية أو التعبيرية التي تتمركز حول المرسِل تهدف إلى التعبير المباشر عن موقف المتكلم من موضوع كلامه و تتجه صوب تقديم انطباع عن عاطفة أساسية سواء أكانت حقيقية أم وهمية و تحيل الوظيفة الإبلاغية إلى إفهام المخاطب مضمون الرسالة و التأثير فيه.أما الوظيفة الشعرية فإنها تتجه نحو الرسالة التي يتضمنها الخطاب الأدبي.بينما الوظيفة الإنتباهية فهي تركز على إبقاء الصلة بين المرسِل و المرسَل إليه و ترتكز الوظيفة الميتالغوية على الشفرة ذاتها،أما الوظيفة المرجعية أو الإحالية، فتركز على ضمير الشخص الثالث (الغائب) أو حول موضوع معين."1"

مفاد القول:

لعل أهم ما يميز اللسانيات الوظيفية هو صعوبة الفصل بين البنية اللغوية و السياق الذي تعمل فيه هذه البنية كما يصعب الفصل بين الوظيفة التي تؤديها هذه البنية في السياق،مرد ذلك هو كون البنيات الصوتية و التركيبية و الدلالية محكومة بالوظائف التي تؤديها.

« 1 » :Roman Jakobson ,Closing Statement,Linguistics and Poetics,in Semiotics,ed , by robert E ,Innis,p,147 .

التركيب:

إذا كانت التداولية في أبسط معانيها هي دراسة اللغة في الإستعمال،أو كما يعرفها موريس ذلك الفرع من السميولوجيا الذي يدرس علاقة العلامات بمؤوليها."1" فإن اللسانيات التداولية لا تخرج عن نطاق الإتجاه الوظيفي في اللسانيات و الذي يولي العناية و الإهتمام للكلام أو بالأحرى للمنجَز اللغوي، ذلك أن اهتمامها جاء منصبا على جانبين هما دراسة اللغة و دراسة البعد الإستعمالي لها،و بهذا يكون الدرس اللساني التداولي قد حقق التميز و الفرادة عن باقي المدارس اللسانية خاصة ذات التوجه الشكلي الصوري في دراسة اللغة.مما يعني أن صناعة المعنى تتحقق في تداول اللغة بين المتكلم والسامع داخل سياق معين بغية الوصول للمعنى الكامن في كلام ما.إن المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات و لا مرتبطا بالمتكلم وحده و لا السامع وحده ، الأمر الذي يسمح بدراسة أثر السياق و ملابساته في بنية الخطاب.لقد انصب اهتمام اللسانيات التداولية على دراسة ظواهر اللغة باعتبارها كلاما أو إنجازا لغويا محققا من قبل متكلم محدد في مقام محدد موجه إلى مخاطب محدد لتحقيق غرض محدد، مما جعلها تتفرد برؤية متميزة للظاهرة اللغوية،إنها مختلفة تمام الإختلاف عن اللسانيات الصورية (البنيوية و التوليدية التحويلية)و ذلك باستبعادها كل مرجعية معرفية تتبنى الفصل التام بين طرفي ثنائية سوسير:اللغة/الكلام:.فكما تهتم بالنظام تهتم بالكلام.

لقد جاءت التداولية نتيجة تطور البحث اللساني و فلسفة اللغة و هيرمينوطيقا التأويل،إذ استفادت من كل ما قدمته النظريات اللسانية و الهيرمينوطيقية من مبادئ و مناهج و آليات للتفسير و التأويل،كما تزامن ظهورها مع تزايد الإهتمام بالآليات التواصلية و الأنساق المنطقية ذات الأبعاد الطبيعية و الظواهر التخاطبية.تعود البدايات الأولى للبحث التداولي إلى جهود الفلاسفة الأنجلوسكسونيين أمثال:أوستين و سورل و غرايس.إذ تُعتبر دراساتهم الأصول التأسيسية لهذا العلم الجديد."2 "

يرجع استعمال مصطلح التداولية(pragmatics) إلى الفيلسوف و اللغوي الأمريكي (**تشارلز موريس)** الذي وظفه سنة 1937في مؤلفه"Foundations of the theory of signs و وظفه أيضا كارناب في مقالة تحت عنوان:" Testability and Meaning": يقول شارل موريس:"يمكننا دراسة علاقات الرموز و العلامات مع موضوعاتها التي تدل عليها.و هذه العلاقة تسمى البعد الدلالي لعلم العلامات و دراسة هذا البعد تسمى الدلاليات.كما يمكننا دراسة علاقة العلامات بمستعمليها و هذه العلاقة تسمى البعد التداولي لعلم العلامات... ودراسة هذا البعد تسمى التداوليات(pragmatiqcs)...أما علم النحو و التركيبيات فيعتبر دراسة للعلاقات النحوية و التركيبية بين العلامات

"1":أرمينكو فرنسواز:المقاربة التداولية:ترجمة علوش سعيد:ص:12،مكتبة الأسد،مركز الإنماء القومي،بيروت،لبنان.

"2":إدريس جبري:مجلة البلاغة و تحليل الخطاب:ص،ص: من: 103 إلى:112 ،العدد الخامس،2014 ،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،المغرب.

بعضها ببعض"[1]".و يميز بين مختلف الإختصاصات التي تدرس اللغة و هي:

- **علم التركيب أو النحو**:(**تركيب الجملة**:SyntaxأوSyntactics) :و هو علم يعنى بدراسة العلاقات بين العلامات.
- **علم الدلالة** (Semantics:هو علم يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها أو تحيل عليها.
- **التداولية**:(Pragmatics): تعنى بدراسة علاقة العلامات بمستعمليها،و يؤكد على أن التداولية تدرس فقط ضمائر التكلم و الخطاب و ظرفي المكان و الزمان (الآن ،هنا)و التعابير التي تستمد دلالتها من مقام التواصل."[2]

لقد ظهرت التداولية نتيجة قصور الدراسات الشكلية و إهمالها لمقاربة اللغة في تحليها الحقيقي،أي في الإستعمال التواصلي بين الناس وبعدما تبين عجز المقاربات العلمية السابقة عن ملامسة الأبعاد النفسية و الإجتماعية و الثقافية و الواقعية للغات الطبيعية و نخص بالذكر المقاربات الدلالية التي ينصب اهتمامها على الجوانب البنيوية النسَقية للخطاب مع تغييب المنتِج للخطاب و متلقيه و البيئة التي أُنتِجَ فيها،دون استحضار مكونات المجال التداولي للتخاطب مثل السياق و المقام التي تعد من أهم لبنات التواصل الطبيعي و التعاون و الإستلزام."[3]

لذلك يرى (ليفنسون)أن العامل الأساس في نشوء المنهج التداولي كان بمثابة ردة فعل على معالجة تشومسكي للغة بوصفها شيئا تجريديا،أو بالأحرى مجرد قدرة ذهنية بحثة دون الأخذ بعين الإعتبار استعمالها و مستعملها و وظائفها،ثم قدم مجموعة من الدوافع العامة التي كانت وراء تطور المنهج التداولي فمنها ما يتعلق بالتراكيب و تحديد المراجع و منها ما يتعلق بدلالة الخطاب في السياق و التعامل الإجتماعي بين طرفي الخطاب.

إذا كانت اللسانيات التداولية امتدادا للإتجاه الوظيفي في اللسانيات الذي يُعنى بدراسة اللغة في الإستعمال، فما المقصود بالتداوليات لغة و اصطلاحا؟ و ما موقعها من النظرية اللسانية عموما؟و ما هي أهم مصادرها و مفاهيمها؟

"1":إدريس جبري:مجلة البلاغة و تحليل الخطاب:ص،ص: من: 103 إلى:112 ،العدد الخامس،2014 ،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،المغرب.

"2": يدرس علم النحو الخصائص الشكلية و البناءات اللغوية ،بينما يدرس علم الدلالة العلاقات القائمة بين الماهيات اللغوية و بين العالم الخارجي،أما التداولية فإنها تغوص في متاهات المعاني مما يستوجب الأخذ بعين الإعتبار سياق اللفظ و العناصر الداخلة في تركيب الجملة.

"3": إدريس جبري:نفسه ص،ص: من: 103 إلى:112.

2.مقاربة مصطلحية:

1.2.الأبعاد لغة:

أبعاد[جمع]:مفرد بُعْدٌ:

بَعُدَ بِ/بَعُدَ عن/بَعُدَ من و بَعِدَ/بَعِدَ عن/بَعِدَ من،أبعاد مسألة:أهمية،مظاهر عملية - بُعْد الشقة:اتساع المسافة أو الفجوة – بُعْد الصيت:سعة الشهرة – بُعْد النظر:عمق التفكير،حسن الرأي و التدبير – بُعْد الهمة:علوها – بُعْداً له:أبعده الله،دعاء عليه بالهلاك – ذو بُعْد:ذو رأي عميق – على بُعْد خطوات من كذا:قريب جدا منه – على بُعْد/عن بُعْد:من بعيد،أو على مسافة.عكس قرب"البعد جفاء[مثل]".امتداد موهوم،غير محسوس"بُعْد ثقافي/حضاري".اتساع المدى،مسافة"سقطت الكرة على بعد أمتار-هيئة الإستشعار عن بعد – (قال يا ليت بيني و بينك بُعْد المشرقين).

البعد البؤري:المسافة بين المركز البصري لعدسة أو مرآة منحنية و بين البؤرة الأساسية.

أبعاد:امتدادت تُقاس بها الأشكال أو المجسمات،و هي الطول و العرض و العمق،أو العُلو- أبعاد جسم:قياس جسم في اتجاه معين – ثلاثي الأبعاد:متكون من ثلاثة أبعاد أو جوانب،طول و عرض و ارتفاع – عمود ذو أبعاد كبيرة:مقدار ما يشغله الجسم من فراغ ،متعدد الأبعاد – مقياس أبعاد تِلسكوبي:آلة معدة لرسم مخططات مستوية بصورة سريعة و لقياس الارتفاعات.

أبعاد الشعور:سمات أو مظاهر عملياته من شدة أو ضعف ووضوح أو غموض و طول أو قصر."1"

البُعْد:ضد القرب،بُعْد الشقة:اتساع المسافة أو الفجوة.،بُعْد الصِّيت:سعة الشهرة،بُعْداً له:دعاءٌ عليه أن لا يرثى له إذا نزل البلاء به.

البُعْدة:الرأي و الحزم.أتانا فلان من بُعْدةٍ أي:من أرض بعيدة."2"

بَعُد:يَبْعُدُ بُعْداً و بَعِدَ يَبْعَدُ بَعَداً:قَرُبَ.أَبْعَدَ:ضد قرب.و بَعَّدَ و باعده:ضد قرَّبه.تبعَّد:ضد تقرَّبَ.تباعدوا:أبعد أحدهم الآخر.تباعد و ابتعد و استبعد عنه:ضد اقترب.استبعد الشيء:وجده أو عده بعيدا.البُعد و البَعَد و البُعدة:ضد القرب/يقال"بُعدا له":دعاء عليه أي أبعده الله...بُعْدا المستطيل:طوله و عرضه/أبعاد المتوازي المستطيلات:طوله و عرضه و علوه/بُعْد نقطتين:قطعة المستقيم الواصل بينهما."3"

جاء في القاموس المحيط للفيروزآبادي:ذو بُعْدٍ و بُعْدةٍ:أي رأيٍ و حَزْمٍ."4"

"1":مختار عمر أحمد:معجم اللغة العربية المعاصرة،المجلد الأول،مادة:بعد،الطبعة الأولى،2008،عالم الكتب،القاهرة،مصر.

"2": بوحافة أحمد:معجم النفائس الوسيط:مادة:بعد،الطبعة الأولى ،2007 دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت،لبنان.

"3":معلوف فوزي:المنجد في اللغة و الأعلام:مادة:بعد،الطبعة الخامسة،1986،بيروت،لبنان.

"4":الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب:القاموس المحيط:تحقيق محمد نعيم العرقسوسي،مؤسسة الرسالة،الطبعة الثامنة،2005،بيروت،لبنان.

إن هذه الشروح لا تخرج عن معنى السبر لأغوار المعنى البعيد و هو خفي مضمر و غير ظاهر، لكنه مقصود لذاته،في مقابل المعنى القريب الظاهر المباشر غير المقصود،رغم أنه سهل المنال.إن المعاني الخفية تزيل إشكالات المعاني الظاهرة و لبلوغ أبعاد الموضوع و مداه نحن بحاجة إلى عمق نظر وطول تفكير،و علاقة بموضوع البحث:**الأبعاد التداولية في شرح المفصل لابن يعيش**،فإن مصطلح الأبعاد لا يعدو أن يكون ذلك المعنى غير المصرح به لدى ابن يعيش لكنه مقصودٌ لذاته،فحين الحديث عن النحو العربي عموما يتبادر إلى الأذهان ذلك الكم الهائل من القواعد المؤطرة للغة العربية،لكن حين نقول أبعاد النحو مثلا فإننا نروم الكشف عن المعاني و المقاصد الثاوية خلف هذه القواعد و التي تتجدد بتجدد السياق أو الموقف التداولي و بمعنى آخر تتجدد بالإحتكام إلى الإستعمال أو الإنجاز اللغوي الذي يعتبر الإطار الشرعي لحياة الظاهرة اللسانية و بلغة دوسوسير فنحن بصدد الحديث عن "**الكلام**"،فالأبعاد هو كل ما ليس تركيبا و لا دلالة و لا صرفا أو بالأحرى هي كل **الإصطلاحات غير التركيبية**.إن مسعانا في هذا البحث ليس وصف أبواب النحو و مباحثه كما وردت في صنوف المؤلفات النحوية،بل دراسة المنجز اللغوي في إطار التواصل اللغوي و ليس بمعزل عنه،لأن اللغة لا تؤدي وظائفها إلا فيه،و بما أن الكلام يحدث في سياقات اجتماعية معينة فَمِنَ المهم معرفة تأثير هذه السياقات على نظام الخطاب المنجَز.**فهل كان النحاة يراعون التداول الإستعمالي و يضعونه نصب أعينهم في توجيه المسائل النحوية و وضع القواعد و تعليلها أم لا؟**

2.2.التداوليات:أ – لغة:

يعود مصطلح التداولية في أصله العربي إلى الجذر اللغوي"دول"،فقد ورد في لسان العرب لِابن منظور:"تداولنا الأمر،أخذناه بالدّول و قالوا دواليك أي مداولة على الأمر...و دالت الأيام أي دارت،و الله يداولها بين الناس و تداولته الأيدي أخذته هذه مرة و هذه مرة و تداولنا العمل و الأمر بيننا،بمعنى تعاورناه فعمل هذا مرة و هذا مرة".[1]

في معجم أساس البلاغة للزمخشري"دول:دالت له الدولة،و دالت الأيام بكذا،و أدال الله بني فلان من عدوم،جعل الكثرة لهم عليه...و أديل المؤمنون على المشركين يوم بدر،و أديل المشركون على المسلمين يوم أحد...و الله يداول الأيام بين الناس مرة لهم و مرة عليهم و الدهر دول وعُقب و نُوب،و تداولوا الشيء بينهم، والماشي بين قدميه،يراوح بينهما"[2]

إن هذه التعريفات لا تخرج عن **معنى التحول و الإِنتقال و التبدل**،و تلك هي حال اللغة متغيرة من حال لدى المتكلم إلى حال أخرى لدى السامع و متنقلة بين الناس يتداولونها فيما بينهم،و لذلك كان مصطلح (تداولية)أكثر ثبوتا بهذه الدلالة من المصطلحات الأخرى كالذرائعية و النفعية و السياقية.يقول طه عبد الرحمن في تعريفه للفعل تداول:"تداول الناس كذا بينهم يفيد معنى تناقله الناس و أداروه بينهم و من المعروف أيضا أن مفهوم النقل و الدوران مستعملان في نطاق اللغة الملفوظة كما هما مستعملان في نطاق التجربة المحسوسة.فيقال:"نقل الكلام عن قائليه" بمعنى رواه عنه و يُقال دار الألسن بمعنى جرى عليها و يقال دار الشيء بمعنى طاف حوله، فالنقل و الدوران يدلان في استخدامهما اللغوي على معنى التواصل و في استخدامهما التجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين،أو قُلْ على معنى**"التفاعل"**فيكون التداول جامعا بين جانبين اثنين هما:**التواصل و التفاعل**"[3].

ب– اِصطلاحا:

اِتجاه في الدراسات اللسانية يُعْنَى بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب،يقتضي هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية و الخطابية المتعلقة بالتلفظ و بخاصة المضامين والمدلولات التي يولدها المدلول في السياق،فمادام التركيب بحثٌ في الخصائص التأليفية بين الكلمات والدلالة بحثٌ في المعنى،فإن التداولية دراسةٌ الإِستعمال اللغوي ودراسةٌ للعلاقة بين اللغة و السياق أو **هي دراسة لكفاية مستعملي اللغة في ربطهم اللغة بسياقاتها الخاصة**.يعرف جاك موشلار و آن ريبول التداولية بكونها تختص ب:"دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة النظام اللساني الذي تُعنى به تحديدا اللسانيات"[4]

"1":إبن منظور:لسان العرب:المجلد11،(مادة دول)،ص:252-253،الطبعة الثالثة،1994،دار صادر،بيروت،لبنان.

"2":الزمخشري:أساس البلاغة:الجزء الأول،ص303،الطبعة الأولى،1998،تحقيق:محمد باسل عيون السود،منشورات دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان.

"3": طه عبد الرحمن :تجديد المنهج في تقويم التراث:ص ص:244 ،الطبعة الثانية،2005، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب

"4":موشلار جاك و آن روبول :القاموس الموسوعي للتداولية:ترجمة عز الدين المجدوب،ص 21،المركز الوطني للترجمة،دار سينتارا،تونس.

أما فان دايك فيرى بأنها تختص ب:"بتحليل الأفعال الكلامية و وظائف منطوقات لغوية و سماتها في عمليات الإتصال بوجه عام".[1]

إكتسبت التداولية عددا من التعريفات،بناءً على مجال اهتمام الباحث نفسه،فقد يقتصر الباحث على دراسة المعنى وليس المعنى بمفهومه الدلالي البحت،بل المعنى في سياق التواصل مما يُسَوِّغُ معه تسمية المعنى **بمعنى المتكلم**،و قد يعرفها انطلاقا من اهتمامه بتحديد مراجع الألفاظ و أثرها في الخطاب و منها الإشاريات بما في ذلك طرفي الخطاب و بيان دورهما في تكوين الخطاب و معناه و قوته الإنجازية، كما قد تعرف التداولية من وجهة نظر المرسِل بأنها كيفية إدراك المعايير و المبادئ التي توجهه عند إنتاج الخطاب بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية في ضوء عناصر السياق بما يكفل له ضمان التوفيق من لدن المرسل إليه عند تأويل قصده و تحقيق هدفه.

تهتم الدلالة بمعنى الجمل المطابقة لمحتوى ما تصفه،أما التداوليات فتهتم بالمعنى،فكل قول لا يمثل واقعا فحسب،بل يعبر عن أفكار و إحساسات المتكلم و يولد لدى المستمع إحساسات،هذا الجانب من المعنى الذي له صلة بالمتخاطبين يمكن أن يسمى بالمعنى التداولي،في مقابل معنى القول الدلالي،أو بالأحرى المعنى الإستعمالي في مقابل "المعنى الحرفي".إن تعبيرية كلمة ما لا تشكل جزءً من معناها،بل تشكل معنى علامة أخرى،أي معنى العلامة المعبَّر عنها بإنجاز علامة ما،فمعنى الجملة هو معناها الدلالي،أي ما تعبر عنه في الواقع،أما التلفظ بها من قبل شخص ما في موقف تواصلي ما فإنه يضيف معنى آخر يتغير بتغير ظروف إنتاجه،لذلك لا يمكن أن يلحق أو يسند بالجملة نفسها،مما يبرهن على الطابع الخارجي و المتغير للمعنى التداولي.

إن المعنى التداولي يرتبط بالموقف التواصلي في خصوصياته،فالتداوليات"[2] لا تدرس اللغة في ذاتها بل تدرس استعمال اللغة ،و اعتبارا لكونها تدرس السلوك التجريبي للمتكلمين،فإنها تعد أقرب إلى علم النفس أو علم الإجتماع منه إلى المنطق أو اللسانيات،فبعد تطور التركيب و الدلالة كان من الضروري تطوير المبحث الثالث من مباحث لنظرية اللسانية و نقصد به التداوليات،إذ أصبحت الحاجة ماسة إلى مجال قادر على وصف بعض الظواهر اللغوية التي استعصت على الصناعة الصورية.

"1":فان دايك:علم النص:مدخل متداخل الإختصاصات:ص114،ترجمة و تعليق:سعيد حسن بحيري،المركز العربي للطباعة،طبعة:2001،مصر.

"2":يجب التمييز بين مصطلح التداولية و مصطلح الذرائعية:التداوليةpragmatique توجه معرفي يعنى بخصائص استعمال اللغة و الدوافع النفسية للمتكلمين و ردود أفعال المستقبلين للنماذج الاجتماعية للخطاب و موضوعاتهم،ولقد انتقلت مع أوستين إلى دراسة أفعال اللغة و امتدت لتشمل نماذج الإستعمال و التلفظ و شروط الصحة و التحليل الحواري.و هو المصطلح الذي أوثره في هذه الدراسة.

أما الذرائعية:pragmatisme فهي نظرية تُعنى بالفائدة العملية لفكرة ما من حيث معيار صدقها.و لهذا المصطلح مقابِلات أخرى في العربية مثل :النفعية و التخاطبية و المقاماتية و الوظائفية...

في الحقل اللساني العربي يُعَد الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن أول من استعمل مصطلح "التداولية" ،كان ذلك منذ 1970 كمقابل للمصطلح الغربي "براغماتيكا"،مبررا اختياره لهذا المصطلح بكونه يدل على معنيي "**الإستعمال**" و"**التفاعل**"في الآن ذاته.و هو المصطلح الذي لقي استحسانا من طرف الدارسين العرب،ناهيك عن وضعه لمصطلح "المجال التداولي "1".و المقصود به:(كل المقتضيات العقدية و المعرفية و اللغوية –القريب منها والبعيد– المشتركة بين المتكلم و المخاطب و المقَوِّمة لِاستعمال المتكلم لقول من الأقوال بوجه من الوجوه)."2 "

كما يعتبر أول من قدم المنهج التداولي للقارئ العربي في فترة مبكرة كأداة لقراءة التراث في مسعىً نقدي تقويمي،و يعد من أوائل المؤلفين العرب الذين اهتموا بدرس التداوليات نظرية و تطبيقا،و ذلك عبر مؤلفاته القيمة في مجالات المنطق و فلسفة اللغة و نقد التراث الكلامي و الفلسفي،إذ نحا في تحليل ظاهرة التخاطب منحى علميا شاملا،كما حاول بأسلوب توليفي رصين تجسيد التواصل البَنَّاء بين التراث الإسلامي والتفكير الغربي الحديث."3 "ثم تعددت فيما بعد الرؤى ما بين شارح للنظريات التداولية إلى منادٍ إلى استثمارها في دراسة اللغة العربية و إلى داعٍ إلى تأصيل التداول اللغوي في ثقافتنا التراثية،منطلقا من أسبقية المنظرين العرب القدامى إلى إدراك أغراض الخطاب ومقاصده.

"1":طه عبد الرحمن:في أصول الحوار و تجديد علم الكلام: ص:28:الطبعة الخامسة،2014،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب.

"2": طه عبد الرحمن:تجديد المنهج في تقويم التراث:ص:2:الطبعة الثانية،2005 المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب.

"3": بوقرة نعمان :لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس و الإجراء:ص: 121-122دار الكتب العلمية،الطبعة الأولى،2012بيروت،لبنان.

3.موقع اللسانيات التداولية من النظرية اللغوية:

بعد الوقوف على التحديد المفهومي للسانيات التداولية لغة و اصطلاحا،لابد من تحديد موقع اللسانيات التداولية من النظرية اللغوية عامة،فهل التداوليات مكون من مكونات النظرية اللغوية؟أم أنها نظرية تشمل اللسانيات ؟

لقد بدأ الإهتمام السميولوجي منذ أن بدأ الإنسان يدرك محيطه الذي يعيش فيه و رغبته في التواصل مع غيره،أما علم السميولوجيا فهو حديث نسبيا،إذ تنبأ سوسير بنشوء علم السميولوجيا،محدثا نقلة نوعية في مسار الدراسات الأدبية،نظرا لكون السميولوجيا جاءت لتُعِيد الإعتبار إلى"معنى الدلالة"في النص و السميولوجيا مفهوم منبثق من الكلمة اليونانية : sémion بمعنى العلامة و logos،بمعنى الخطاب أو العلم.

و بذلك فإن كلمة semiologie،تعني علم العلامات أو علم الدلالة،و هو العلم الذي يدرس العلامات اللسانية و غير اللسانية في حياة المجتمع،مما يعني أن العلامة تقع في مركز الدراسة السميولوجية.إنها شيء يعادل شيئا آخر،مختلفا عنه يقوم مقامه و ينوب عنه و مصدر العلامة نوعان:لساني مجاله اللغة و غير لساني يظهر في الشم و الذوق و اللمس و الإيماء والصوت و اللباس و الطعام و إشارات المرور و الطرق و أحوال الطقس و الأنظمة العسكرية..."[1]

تحيل السميولوجيا أو السميوطيقا"[2] على أعمال رائدين هما:عالم اللغويات السويسري:فردناند دوسوسير(1857-1913)و المنطقي الأمريكي:تشارلز ساندرز بيرس(1838-1914)و جدير بالذكر أنه لا وجود لأية إشارة تؤكد لقاء أو اطلاع أحد المؤسسين على أعمال الآخر،مما يفسر الإختلاف في التسمية، و في الوقت الذي كان فيه سوسير يؤسس لعلم اللسانيات و يراوده حلم صياغة السميولوجيا،كان الفيلسوف الأمريكي شارل سندريس بورس(1839-1914)يبحث في أسس ابستملوجية مخالفة بغية تأسيس علم السيميائيات،و هي تبعا لهذا التصور تسائل الأصول الأولية لإنبثاق المعنى من الفعل الإنساني و لا تنفصل عن المنطق،بل إنه يعرف السيميائيات بكونها منطقا،و المنطق في معناه العام ليس سوى تسميةٍ أخرى للسيميائيات."[2]كما تصنف الدلالات باعتبارها غاية من غايات التأويل و هي حصيلة سيرورة قياسية أو استدلالية أو افتراضية.إن السيميائيات وفق تصوره لا تنفصل عن الفينومينولوجيا،حيث لها علاقة وثيقة بعمليات الإدراك.و يقترح بورس رؤية فينومينولوجية للإدراك،فالأفعال و السلوكات الصادرة عن الإنسان هي سيرورة مركبة و متداخلة و ذلك عبر مستويات ثلاثة:

1. مستوى الأولانية:يَمْثُلُ العالم أمامنا في شكل أحاسيس و نوعيات مفصولة عن أي سياق زماني أو مكاني.
2. مستوى الثانيانية:يمثل العالم باعتباره وجودا أو تحققا فعليا،أي تجسيد للأحاسيس و النوعيات في وقائع محسوسة.

"1":وائل بركات:السميولوجيا بقراءة رولان بارث :ص.ص:55-76:المجلد 18،العدد الثاني ،مجلة جامعة دمشق ،2002،دمشق،سوريا.

"2": السيميوطيقا:عبارة عن لعبة التفكيك و التركيب و تحديد البنيات العميقة الثاوية وراء البنيات السطحية المتجلية فونولوجيا و صرفيا و تركيبيا و دلاليا،إنها تستكنه مولدات النصوص و ترصد الأسس الجوهرية المنطقية في اختلاف النصوص و الجمل و الخطابات.

3.مستوى الثالثانية:يمثل العالم بوصفه قانونا يجرد المعطى من بعده المحسوس و يمنحه غطاء مفهوميا.

يرى بيرس أن السميوتيك يتألف من أربعة عناصر هي:

1. العلامة
2. الشيء
3. المحلل
4. الطريقة

في كل عملية سميولوجية علاقة مقارنة ثلاثية(العلامة كقيمة و كحسية و كقانون)و تؤدَّى العملية السميولوجية بتوظيف ثلاثة أنواع من الأدلة هي:الرمز و الإيقونة و الدليل.هذه الثلاثية هي الأهم في فكر بيرس،و يقابل الرمزُ العلامةَ بأبعادها الثلاثة عند دوسوسير.الدلالة عند بيرس ثلاثة لأن الرمز ممثل أساسي يدل على شيء ما و يحيل على موضوع معين يمثله الدليل و يتم استقباله و ترجمته عبر المؤول الذي يستقبل هذا الرمز و يربط بين الدليل و الموضوع.يمكن القول إجمالا إن مصطلح السميولوجيا أكثر استعمالا في الكتابات الفرنسية و مصطلح السميوطيقا أكثر استعملا في الكتابات الأنجليزية."1"

يُعَد سوسير (1857-1913)أول من بشَّر بعلم السميولوجيا،و هو علم يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاِجتماعية عبر الكشف عن قوانين جديدة تمكننا من تحليل السلوكات الإنسانية و الاِجتماعية،و ذلك بإعادة صياغة حدود الأنساق و شكلنتها،كما يعد اللسان أرقى الأنساق و لما كان كذلك كان لزاما تحديدُ هويةِ اللسان و تحديدُ موضوعِه بغية فهم جوهر العلامات غير اللغوية،و تلك كانت نقطة البداية لدى سوسير،إذ قبل أن يضع تحديدا مفهوميا للعلامة وضع تحديدا دقيقا للسان.إن للسان دورا رئيسا في التواصل و تنظيم التجربة و تنويع الدلالات،به نعقل الكون،و كل الأنساق تؤول بوساطة اللسان(الإشارات،الطقوس،الرموز،الأمارات...) و لعل أهم ما يميز هذه الأنساق هو الاِختلاف و التعدد و التنافر،و عليه فهي في أمسِّ الحاجة إلى نسق مستقل و منسجم،هو مؤولها و موجهها اللفظي،إنه باختصار اللسان."إن اللسان نسق من العلامات المعبرة عن أفكار، وهو بذلك شبيه بأبجدية الصم و البكم و شبيه بالطقوس الرمزية...إلا أنه يعد أرقى هذه الأنساق من هنا تأتي إمكانية البحث عن علم يقوم بدراسة هذه العلامات داخل الحياة الاِجتماعية...و يمكن أن نطلق على هذا العلم السميولوجيا،و ستكون مهمته هي التعرف على كنه هذه العلامات و على القوانين التي تحكمها و بما أن هذا العلم لم يوجد بعد،فإننا لا نستطيع تحديد جوهره و الشكل الذي سيتخذه.إننا نسجل فقط حقه في الوجود،و لن تكون اللسانيات سوى جزء من هذا العلم العام)"3 ""4"

"1":وائل بركات:السميولوجيا بقراءة رولان بارث :ص.ص:55-76:المجلد 18،العدد الثاني ،مجلة جامعة دمشق ،2002،دمشق،سوريا.

"2":العلامات السيميولوجية وفق تصور سوسير لا تؤدي إلا وظيفة اجتماعية،أما وفق تصور بيرس فوظيفة السيميوطيقا منطقية و فلسفية ليس إلا.

"3":بنكراد سعيد:السيميائيات :مفاهيمها و تطبيقاتها:ص،ص:43-47،الطبعة الأولى،2015،دار الأمان،الرباط،المغرب.

"4":النسق:هو ما كان على نظام واحد من كل شيء،و يقال نسقَ الشيءَ:نظمه و اتسقت الأشياء انتظم بعضها إلى بعض.

يتبين من التعريف الذي قدمه سوسير لكل من اللسانيات و السيميولوجيا،أنهما نشاطان معرفيان متداخلان،فلكي تتأسس السيميولوجيا لابد لها من المعرفة اللسانية و حين تتأسس السميولوجيا،فإن قوانينها سوف تطبق على اللسانيات،إنها من منظور سوسير علم مستقبلي سوف يؤسس باعتباره حاضنا لكل الأنساق الدالة الأخرى،و لا تمثل اللسانيات سوى فرع من فروعه الكثيرة."1"إذا كانت اللسانيات تدرس الأنظمة اللغوية فقط،فإن اللسانيات جزء من السيميولوجيا وفق تصور سوسير و القوانين التي تستخلصها السيميولوجيا ستكون قابلة للتطبيق في مجال اللسانيات، و مادامت التداوليات اتجاه في الدراسات اللسانية،فإنها لا تمثل إلا مكونا من مكونات النظرية اللغوية ككل، وليست نظرية تشمل اللسانيات،إنها تعنى بدراسة باللغة في الإِستعمال و بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب،يستتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية و الخطابية المتعلقة بالتلفظ،خاصة المضامين و المدلولات التي يولدها المدلول في السياق. فمادام التركيب بحث في الخصائص التأليفية بين الكلمات والدلالة بحث في المعنى،فإن التداولية دراسة الإِستعمال اللغوي و دراسة للعلاقة بين اللغة و السياق أو هي دراسة لكفاية مستعمِلي اللغة في ربطهم اللغة بسياقاتها الخاصة.يرجع أول استعمال لمصطلح التداولية إلى الفيلسوف تشارلز موريس (1938)إذ قدم لها تعريفا في سياق تحديده للإطار العام لعلم العلامات و ذلك في مقال له ركز فيه على مختلف التخصصات التي تعالج اللغة(التركيب و الدلالة و التداولية)،ليصل إلى أن التداولية جزء من السميولوجيا التي تعالج العلاقة بين العلامات و مستعملي هذه العلامات أو بالأحرى إحدى مكونات السميولوجيا الثلاث.

"1":بنكراد سعيد: :مفاهيمها و تطبيقاتها:ص،ص:43-47،الطبعة الأولى،2015،دار الأمان،الرباط،المغرب.

4.مصادر اللسانيات التداولية و جهازها المفاهيمي:

ليس للدرس التداولي المعاصر مصدر واحد انبثق منه،بل تعددت مصادره و أصوله،فكل مفهوم من مفاهيمه الكبرى مستمدٌّ من حقل معرفي معين،و تجدر الإشارة إلى أن ظهور اللسانيات التداولية في بداياتها الأولى ارتبط بحقل الفلسفة التحليلية ثم انفصلت عنها لتكون ذات توجه لساني يُعنى بدراسة اللغة لحظة الإِستعمال.إن تقاطع التداولية مع حقول و مجالات عدة طبع جهازها المفاهيمي بالثراء و التشعب،و لعل أهم ما ركزت عليه الأبحاث التداولية في مجال فهم الخطاب هو النظر إلى الإنجاز الكلامي ضمن السياق.إن اللسانيات التداولية تعد محاولة جادة و حقيقية لتقديم إجابة عن جملة من الأسئلة التي عجزت الإِتجاهات اللسانية السابقة عن الإجابة عنها،متوسلة بمجموعة من العلوم الإنسانية لعل أهمها:

1.4. فلسفة اللغة أو تداوليات الأفعال اللغوية:

ترجع الجذور الأولى للسانيات التداولية إلى الإِتجاه التحليلي في الفلسفة التحليلية،و هو الإِتجاه الغالب في الفلسفة المعاصرة الذي جعل من اللغة موضوعا له،و لقد تأثر عدد من الفلاسفة أمثال هوسرل و فيتغنشتاين و كارنب و أوستين و سيرل بالتجديد الفلسفي الذي جاء به فريجه.ما يُوَحِّدُ بين هؤلاء الفلاسفة هو مُسَلمة عامة مشتركة مفادها:أن فهم الإنسان لنفسه و عالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة.لعل أهم سمات هذا الإِتجاه التحليلي في الفلسفة هو:

- ضرورة تجاوز أسلوب البحث الفلسفي القديم في شقه الميتافيزيقي.
- تغيير بؤرة الإِهتمام الفلسفي من موضوع نظرية المعرفة إلى التحليل اللغوي.
- تجديد و تعميق مبحث الدلالة و الظواهر اللغوية المتشعبة عنه.

عموما يمكن القول إن البداية الفعلية للدرس التداولي كانت مع أعمال فلاسفة اللغة خاصة مناقشات أوستين،فحينما ألقى الفيلسوف جون أوستن "محاضرات وليام جايمس"سنة 1955، لم يكن هدفه تأسيس اختصاص فرعي جديد في اللسانيات،بل تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو فلسفة اللغة و التأكيد على فكرة أن اللغة تهدف بالأساس إلى وصف الواقع. غير أن هذه المحاضرات سوف تكون بداية اللسانيات التداولية." 1"على أن التداولية لم تصبح مجالا قائم الذات في الدرس اللغوي المعاصر إلا بعد العقد السابع من القرن العشرين بفضل أعمال فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد و هم :جون أوستين و سيرل و جرايس (رغم أن سيرل وجرايس أتما دراستهما في كاليفورنيا) و لقد كان هؤلاء من فلاسفة اللغة الطبيعية أو العادية في مقابل مدرسة اللغة الشكلية أو الصورية التي يمثلها كارنب."2 ".

"1": موشلار جاك و آن روبول :التداولية اليوم :علم جديد في التواصل:ترجمة سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني،مراجعة:لطيف زيتوني،ص: 29 ،المنظمة العربية للترجمة،الطبعة الأولى 2003،دار الطليعة للطباعة و النشر،بيروت،لبنان.

"2": محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:ص:9، طبعة 2002، دار المعرفة الجامعية، مصر.

من أهم المصطلحات و المفاهيم المستمدة من حقل فلسفة اللغة،نجد:

1.1.4.الأفعال اللغوية :speech acts

كانت اللسانيات التداولية في نشأتها الأولى مرادفة للأفعال الكلامية،لذلك فليس بغريب أن يعتبر جون أوستين J.Austin أباً للتداولية. "1"

وضع الفيلسوف أوستين نظرية لأفعال الخطاب و هي جديرة بأن تسمى باسم"التداوليات"لأنها تدرس علاقة العلامة بالمستعمل،يرى أوستين أنه بإنجاز جملة ما داخل موقف تواصلي معين ،فإن المتكلم ينجز فعلا اجتماعيا معينا يحدد بواسطة العلاقة التي تقوم بين المتكلم و المستمع،من بين هذه الأفعال التي سماها أوستين بالأفعال الإنجازية:أمر – اِستفهم– نصح–تمنى–اِلتمس – أنذر–شكر – اِنتقد – اِتهم – أثبت – هنَّأ– ترجى – هدد – وعد– شتم – اِعتذر – اِفترض – تحدى – أقسم – سمح – أعلن – أَذِنَ...بإنجازه لفعل إنجازي فإن المتكلم يسند لنفسه دورا،و في الوقت ذاته يسند للمستمع دورا مكملا،فبإصدار أمرٍ فإن المتكلم يعبر عن نيته في أن يتبع المستمع سلوكا معينا و يعطي لنفسه سلطة تلزم المستمع باتباع السلوك المرغوب فيه.

إن الدور الاِجتماعي الذي يتقمصه المتكلم حين إصداره أمرا يتحقق في وظيفة"سلطة عليا"،و قد أكد أوستين على الشكل المؤسساتي للأفعال الإنجازية ليبرز أن اللغة مؤسسة تتشكل من مجموعة من الأدوار العرفية التي تقابل أفعال الخطاب المتعارف عليها،فاللغة في تصور أوستين بعيدة عن أن تكون وسيلة لعكس الواقع أو الفكر،إنها مؤسسة تسمح بإنجاز الأفعال التي لا وجود لها إلا داخل هذه المؤسسة."2"

اِعتاد المناطقة الوضعيون على اعتبار شرط الصدق المعيار الوحيد الذي يجب العمل به في الحكم على جملة ما من حيث دلالتها.فالجمل التي تحتمل أن يقال عنها إنها صادقة أو كاذبة هي الجمل الدالة في مقابل الجمل التي لا دلالة لها، أي الجمل التي لا تحتمل الصدق و لا الكذب.كان من نتائج اعتماد هذا المعيار أن قُلِّصَتِ العبارات اللغوية إلى فئة واحدة، العبارات الخبرية التي تمتاز بخاصيتين:

- وصفها لواقع معين
- اِحتمالها للصدق أو الكذب بالنظر إلى الواقع الموصوف.

مَيَّزَ أوستين بين عبارات وصفية و عبارات إنجازية ،بعد ذلك لاحظ أن هذين الصنفين من العبارات يمكن اختزالهما في صنف واحد مستدلا على إمكان هذا الاِختزال بأن العبارات المصنفة على أساس أنها عبارات وصفية ليست في

"1":محمود أحمد نحلة: نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية:مجلة الدراسات اللغوية، مركز الفيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية، الرياض المجلد الأول، العدد الأول، محرم ربيع الأول /أبريل يونيو1999.

"2": السيدي محمد:محاضرة:الفصل الثالث:وحدة:التداوليات و فلسفة اللغة،ماستر اللغة و الأدب :مقاربات نظرية و منهجية:2013-2014.كلية الآداب و العلوم الإنسانية:محمد الخامس،الرباط،المغرب.

الواقع إلا عبارات إنجازية فعلها الإنجازي غير ظاهر سطحا.

مثال: – السماءُ صافيةٌ.

– اِنتصر الجنودُ في المعركةِ

فالجملتان (1و 2)حسب هذا التحليل مشتقتان عن طريق

"حذف" الفعل الرئيسي من هاتين الجملتين :

–أقول إن السماء صافية اليوم.

–أقول إن الجنود انتصروا في المعركة.

يؤدي اختزال الصنفين من العبارات بهذه الطريقة إذن إلى اعتبار جميع العبارات اللغوية عبارات إنجازية مع الفرق في أن ثمة عبارات إنجازية "صريحة و عبارات إنجازية "ضمنية."[1]

اِقترح **أوستين** أن يتم هذا الاِختزال في إطار نظرية شاملة للأفعال اللغوية يمكن تلخيصها في ما يلي:

يشكل التلفظ بكل عبارة لغوية إنجاز أفعال لغوية ثلاثة :"**فعل قول** "و "**فعل إنجاز**"و "**فعل تأثير**".يتضمن فعل القول بدوره ثلاثة أفعال لغوية فرعية:

- **الفعل الصوتي**:يتحقق بالتلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة.
- **الفعل التركيبي**:تأليف مفردات طبقا للقواعد التركيبية للغة المعنية.
- **الفعل الدلالي**:اِستعمال هذه المفردات حسب دلالات و إحالات معينة.

يواكب فعل القول بفروعه الثلاثة فعل الإنجاز المعَبِّر عن قصد المتكلم من تلفظه بالعبارة ،كأن يُخبِر أو يَسأل أو يُنْذر أو يُوعِدَ،كما يواكب فعل التأثير الكلامي أي الأثر الذي يخلفه التلفظ بالعبارة لدى المخاطب،كأن يستبشر أو يرعب أو ينفعل أو يطرب أو يغضب."[2]

قام أوستين بتأثير من فنجنشتين بالرد على فلاسفة الوضعية في محاضراته التي ألقاها في أكسفورد ما بين سنتي(1952-1954) و محاضرات أخرى في هارفارد سنة 1955 و التي اختار لها جامعها إرمسون 1960 عنوانا مميزا هو:"**كيف نصنع الأشياء بالكلمات؟**"تأتي أهمية ردوده في رفضه أن تكون اللغة مجرد وصف للوقائع الخارجية يُحكَم على مقولاتها بالصدق أو الكذب بالنظر إلى المطابقة أو عدمها،معتبرا ذلك الموقف الفلسفي مغالطة وصفية،خاصة إذا نظرنا إلى الكم الهائل من العبارات التي لا تصف العالم و لا تقرر حقيقة،إنما تنجز فعلا.

إن تناول أوستين للغة من زاوية تجريبية قاده إلى عدها شيئا متصلا اتصالا وثيقا بالطبيعة البشرية في جانبيها الرئيسين:القوة الإبداعية و القوة العقلية التي تتحكم في رسم بنية العالم،إذ هناك فئة من العبارات اللغوية تحمل دلالة

"1":"المتوكل أحمد:اللسانيات الوظيفية مدخل نظري:21،24،الطبعة الثانية،شتنبر2010،دار الكتاب الجديد المتحدة ،بيروت،لبنان.

"2"::بوقرة نعمان :لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس و الإجراء:ص97-98،دار الكتب العلمية،الطبعة الأولى،2012،بيروت،لبنان

معينة بالرغم من أنها لا تحتمل الصدق أو الكذب،كما لاحظ أستين أن الكثير من الجمل التي ليست استفهامية و لا تعجبية و لا أمرية لا تصف مع ذلك أي شيء و لا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب،فهذه الجمل لا توظف لوصف الواقع بل **لتغييره**،فهي لا تقول شيئا عن حالة الكون الراهنة أو السابقة و لكن تَغَيرها أو تسعى إلى تغييرها.إن الجمل من قبيل:"آمرك بالصمت" أو"أعدك بأن آتي غدا"ففي هذه الجمل لا نقول شيئا عن حالة الكون،بل نسعى إلى تغييره،فقائل"أعدك بأن آتي غدا" يخلق التزاما و ضربا من العقد الأخلاقي بينه و بين مخاطبه و هو عقد غير موجود قبلا،بناء على هذه الملاحظة توصل أوستين إلى أنه ضمن الجمل الخبرية توجد جمل مثل:القطُّ فوقَ الحصيرِ.

هذه الجملة تصف الكون و يمكن الحكم عليها على أنها صادقة أو كاذبة و توجد جمل أخرى لا تصف الكون و لا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب.سمَّى الصنف الأول **جملا وصفية** و الصنف الثاني **جملا إنشائية**"**1**".من خصائص هذا الصنف الأخير أنها تسند إلى ضمير المتكلم في زمن الحال و تتضمن فعلا من قبيل"**أمر**"و"**وعد**"و"**أقسم**" و تفيد إنجاز فعل ويطلق عليها الأفعال الإنشائية و لا يحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب،بل يحكم عليها بمعيار "**التوفيق و الإخفاق**"،فمثلا حين يأمر الأب ابنه بتنظيف أسنانه وتكون إجابته"لا أشعر بالنعاس"،فهو لم يقل شيئا صادقا و لا كاذبا، بل أَمَرَهُ و هذا الأمر إما أن يقابل بالِامتثال،فيتكلل أمر الأب بالنجاح و إما أن يقابل بالرفض فيكون الأب قد أخفق في هذا الأمر."1 "

لقد تلت هذه المرحلة التأسيسية للبحث التداولي عند أوستن مرحلة البناء و التثبيت لأسس نظرية أفعال الكلام مع سورل الذي أعاد صياغة النظرية وفق آليات جديدة حيث انصب اهتمامه على ما هو ضمني في القول و على الأفعال اللغوية غير المباشرة للغة.ركز سورل على مفهوم القصدية، فظاهرة الإنجاز في اللغة لا ترتبط باللغة وحدها فحسب،بل ترتبط بالواقع الخارجي و بمعارف أطرافه الضرورية و هي السياق و المتكلم و المستمع والفهم العميق وإرادة الفهم.

أعاد **سيرل** تنظيم مقترحات أوستين على أساس التمييز بين أربعة أفعال لغوية:

- **فعل التلفظ** :هو إنتاج عبارة لغوية طبقا للقواعد الصوتية و التركيبية للغة ما.و يختزل فعل التلفظ عند سيرل الفعلين الفرعيين الصوتي و التركيبي في مقترح أوستين.
- **الفعل القضوي** :ينقسم الفعل القضوي إلى فعلين فرعيين هما :الفعل الإحالي و الفعل الحملي.و يتم إنجاز الفعل القضوي بشقيه حين تسند إلى ذات ما خاصية ما ،كما هو الشأن في الجملة :شوقي شاعرٌ.
- **الفعل الإنجازي و التأثيري** :لا يختلفان في مقترح سيرل عنهما في مقترح أوستين كبير اختلاف.

"1": موشلار جاك و آن روبول :التداولية اليوم :علم جديد في التواصل:ترجمة سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني،مراجعة:لطيف زيتوني،ص 31،المنظمة العربية للترجمة،الطبعة الأولى 2003،دار الطليعة للطباعة و النشر،بيروت،لبنان.

و قد قدم سيرل تصنيفا للأفعال اللغوية في خمسة أصناف هي:

1. **الأفعال الحكمية** :وهي أفعال تمثل الواقع تمثيلا يكون صادقا أو كاذبا.
2. **الأفعال الأمرية**:و هي أفعال يقصد بها المتكلم حمل المخاطب على فعل شيء ما.
3. **الأفعال الإلتزامية**:و هي أفعال يلتزم المتكلم بواسطتها بفعل شيء في المستقبل.
4. **الأفعال التعبيرية**:و هي أفعال تعبر عن حالة نفسية تُعَيِّنها شروط الصدق حول واقعة ما يحددها المحتوى القضوي للجملة.
5. **الأفعال الإنجازية**:و هي أفعال يتحقق محتواها القضوي،إذا توفرت شروط إنجازها ،حين التلفظ و قد تكون للجملة الواحدة أكثر من قوة إنجازية مثال :

أتلطم أخاك ؟!

في هذه الجملة قوتان إنجازيتان و هما السؤال و الإنكار تواكبان المحتوى القضوي ذاته.لقد فسر سيرل هذه الظاهرة من منطلق أن الجمل من هذا القبيل تنجز فعلين لغويين :فعل لغوي مباشر و فعل لغوي غير مباشر و يتم الإنتقال من الأول إلى الثاني عبر سلسلة من الإستدلالات."1 "

طور **سيرل** أيضا بعدين أساسيين من نظرية أوستين هما :"المقاصد" و "المواضعات" لأن الأفعال اللغوية و الجمل التي تنجز بواسطتها هي وسيلة تواضعية للتعبير عن المقاصد و تحقيقها،و يميز سيرل في الجملة بين :

-1-**واسم القوة المتضمنة في القول** :ما يتصل بالعمل المتضمن في القول .

-2- **واسم المحتوى القضوي** :ما يتصل بمضمون العمل

مثال:"أعدك بأن أحضر غدا "

"أعدك":واسم القوة المتضمنة في القول

"أحضر غدا ": واسم المحتوى القضوي."2 "

لقد بنى سيرل نظريته في الأفعال اللغوية على أساس مقولة مفادها أن لقائلِ جملةٍ ما مقصدا مزدوجا،يتحدد الأول في إبلاغ محتوى جملته و يتحدد الثاني في تأويل هذه الجملة في اللغة المشتركة.هذه الرؤية للأشياء قريبة من مفهوم الدلالة غير الطبيعية التي اقترحها غرايس،ولا غرابة في الأمر إذا علمنا أن سيرل اعتمد على غرايس في كتابة هذا القسم من مؤلفه و انتقد غرايس لكونه لا يهتم كثيرا بمفهوم الدلالة التواضعية،و تجدر الإشارة إلى أن غرايس ميز بشكل ضمني بين

"1":بوقرة نعمان :لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس و الإجراء:ص،ص:98-99-100دار الكتب العلمية،الطبعة الأولى،2012،بيروت،لبنان.

"2": المتوكل أحمد:اللسانيات الوظيفية مدخل نظري: ص.ص: 25-26،الطبعة الثانية،شتنبر2010،دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت لبنان.

ثلاثة مظاهر هي:

- الدلالة التواضعية : signification
- بالإشارة : Indication
- القصد :vouloir dire

أما سيرل فقد ميز بين مظهرين هما :

- الإشارة (الدلالة الطبيعية)
- الدلالة التواضعية محاولا إرجاع الدلالة غير الطبيعية إلى الدلالة التواضعية و هذا الأمر لا يندرج ضمن مقاصد غرايس.

2.1.4.مصطلح الخطاب و طرفا الحدث الكلامي و السياق:

أ.الخطاب:

ورد مصطلح الخطاب لأول مرة في الأدبيات الحديثة عند (**هايمز**)،إذ يعد أول من استعمل مفهوم الخطاب في الدراسات اللسانية الحديثة،كما وسع التحليل اللساني إلى ما هو أكبر من الجملة."1"عموما يطلق مصطلح الخطاب على أحد مفهومين، يتفق المفهوم الأول مع ما ورد قديما عند العرب،أما المفهوم الثاني فيتميز بجدته في الدرس اللغوي الحديث.

1.المفهوم الأول :إنه ذلك الملفوظ الموجه للغير لإفهامه قصدا معينا.

2. المفهوم الثاني :الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة .

و يقدم **بنفنيست** تعريفا أوسع و أشمل للخطاب إذ يعتبره :"كل تلفظ يفترض متكلما و مستمعا و عند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما." "2"

يقدم "معجم اللسانيات(1973)ثلاثة تعريفات للخطاب:

1. **التعريف الأول**:الخطاب يعني اللغة في طور العمل،أو اللسان الذي تتكلف بإنجازه ذات معينة و هو بهذا التحديد مقابل للكلام وفق تعريف دوسوسير.
2. **التعريف الثاني**:يُمثل الخطاب وحدة تُوازي أو تَفُوق الجملة،و يتألف من متتالية تشكل مرسلة كلية،ذات بداية ونهاية و هو بهذا التحديد مقابل للملفوظ.
3. **التعريف الثالث**:الخطاب هو كل ملفوظ يتعدى الجملة منظورا إليه من زاوية قواعد تسلسل متتاليات الجمل."3 "

"1":يقطين سعيد: تحليل الخطاب الروائي :ص 17 الطبعة الرابعة 2005،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب.

"2": يقطين سعيد:نفسه:ص19.

"3":.Dubois et autres :dictionnaire de Linguistique.Larousse1973.p.156

يرى **ليتش** /Leech أن الخطاب تواصل لساني يُنظر إليه كإجراء بين المتكلم و المخاطب،إنه فاعلية تواصلية يتحدد شكلها بوساطة غاية اجتماعية.و رغم أن الخطاب يعتمد اللغة في تحقيق غاياته،بيد أن جوهره في حقيقة الأمر ليس لغويا،إذ هو مجموعة من النوايا التي تتحقق بوساطة اللغة،كما أكد ليتش على استحالة فهم الكلام بغير استحضار شروط إنتاجه المحيطة به،خاصة عنصري المتكلم و المخاطب اللذين اعتبرهما ركنين لا غنى عنهما و مظهرين مهمين في الحالات التكلمية." 1"عموما إن مصطلح الخطاب يشير إلى كل كلام تجاوز الجملة الواحدة،و التي تصبح أثناء تحليله الوحدة الصغرى التي يتألف منها سواء كان مكتوبا أو منطوقا.يذهب غرايس إلى أن للكلام دلالات غير ملفوظة يدركها المتحدث و السامع دون علامة معلنة أو واضحة.و من وجهة نظر اللسانيات فإن الخطاب لا يمكن أن يكون سوى مرادفٍ للملفوظ."2" مصطلح الخطاب إذن مصطلح متعدد المعاني،إنه وحدة تواصلية إبلاغية تقتضي وجود المخاطب و قربه وانتباهه،و هي شروط مكانية زمانية شخصية.الأمر ذاته ينطبق على المتكلم باعتباره صانعا للكلام"3"."إن حقيقة الكلام لا تقوم في مجرد النطق بألفاظ مرتبة على مقتضى مدلولات محددة،لأن النطق قد يقع عرضا كما في حال النوم ، و الترتيب قد يأتي صدفة كما في حال اللعب،و الدلالةُ قد تُنْتَزَعُ عُنوة كما في حال فلتة اللسان،و إنما حقيقته كامنة في كونه ينبني على قصدين اثنين:أحدهما يتعلق ب"**التوجه للغير**"و الثاني يتطلب"**إفهام هذا للغير.**"4 "

هناك عدد من العناصر تسهم في بلورة عملية التواصل في الخطاب لعل أهمها:

- **المتكلم**:يعد ذاتا محورية في إنتاج الخطاب،لكونه المتلفِّظَ بالخطاب للتعبير عن مقاصد معينة ولتحقيق هدف محدد،وبالفعل التلفظي ينقل المتكلم اللغة من المستوى الصوري إلى المستوى التداولي، كما يقوم الخطاب دليلا على قدرته على التكيف مع محيطه،و ينبني الإنجاز الفعلي على أهلية المتكلم وتوفره على إرادة للتلفظ بالخطاب في السياق المناسب، لأن إرادته تظل عنصرا أساسيا في تداوليته.قد لا يقتصر حضور ذات المتكلم على لحظة التلفظ الخطابي، بل يظل حاضرا في خطابه ما بقي الخطاب

"1": يوسف نور عوض:نظرية النقد الأدبي الحديث،:ص:11،كدار الأمين للنشر و التوزيع.

"2":":بوقرة نعمان :لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس و الإجراء:ص:18،دار الكتب العلمية،الطبعة الأولى،2012بيروت،لبنان.

"3": نور الدين السد:مفارقة الخطاب للمرجع: عدد:51-52،مجلة الكاتب،2001 اتحاد كتاب العرب،دمشق،سوريا.

"4":طه عبد الرحمن::اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي: ص:217-218،الطبعة الثالثة،2012،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب

ذاته، مما يؤكد استمرار عملية التلفظ مثلما هو الحال في الأوامر المكتوبة أو الإعلان التجاري.عموما لا يمكن للغة الطبيعية أن تتجسد و تمارس دورها الحقيقي إلا عبره، فتنتقل من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل وجودا ملائما للسياق التداولي."1 "

ب.المُخاطب: المخاطَب هو الطرف الذي يوجه إليه المتكلم خطابه،و عند تلقيه الرسالة يقوم بتحليلها و تفكيك رموزها وفق ما يمتلكه من مخزون لغوي و معجمي و أبعاد ثقافية و اجتماعية تمنحه القدرة على اختبار مكوناته،و الوصل بين المكونات و الرموز و الإشارات،ثم تبدأ عمليات التفسير و التأويل و الإستنتاج على محمل إيجابية الخطاب،و على طبيعة العلاقة التي تصل بين طرفي الخطاب.:"فإن كان فيها ود تحصل إيجابية التحليل و التأويل و التفسير،و إلا تبدأ التأويلات السلبية و التنبؤات الخاطئة على مستوى الخطاب العادي. و على مستوى الخطاب اللغوي تبدأ التفسيرات من واقع الدرس اللغوي و ضمن الإتجاهات السائدة فيه.و هي في حقيقتها استجابات آنية مرتبطة بالموقف ذاته الذي يُلقى فيه الخطاب".2 "

د.العناصر المشتركة :مثل العلاقة بين طرفي الخطاب و الظروف الإجتماعية العامة بما يثيره من الإفتراضات المسبقة و القيود المؤطرة لعملية التواصل ،و قد يكون العنصر الأخير هو العنصر المهيمن في الخطاب لما له من تأثير على العناصر الأخرى.إن الخطاب ممارسة تجري تداوليا في السياق مما يحول دون ثبات سماتها،فالمرسِل متجدد و كذلك المرسَل إليه،كما أن عناصر السياق أيضا متغيرة و لأجل ذلك تسمى بعناصر سياق الخطاب،مما يمنح كلا منها صبغته التداولية.

"1": مقبول إدريس:الأسس الإبستملوجية و التداولية للنظر النحوي عند سيبويه:ص:330،طبعة 2007،جدارا للكتاب العالمي،عمان،الأردن.

"2":خالد بن عبد الكريم بسندي:المجلة الأردنية في اللغة العربة و آدابها:ص ص:129 إلى:150،المجلد الثامن،العدد الثاني،جمادى الأولى 1433/نيسان 2012،جامعة مؤتة،الكرك،الأردن.

ج.السياق: يعد مصطلح السياق من المصطلحات الأكثر ذيوعا و تأثيرا في الدرس اللساني الحديث منذ ابتدعه (**مالينوفسكي**)،إنه من أهم أسس اللسانيات التداولية.يتحدد السياق في كونه: مجموعة من الظروف التي تحف حدوث فعل التلفظ بموقف الكلام،و تسمى هذه الظروف في بعض الأحيان بالسياق،و تمثلت البداية الفعلية لنظرية السياق في جهود عالم الإجتماع و الأجناس البشرية "مالينوفسكي" الذي جابه عدة صعوبات عند قيامه بترجمة بعض الكلمات و الجمل في اللغات البدائية مثل لغة الهنود الحمر في أمريكا إلى اللغة الأنجليزية،فتوصل إلى حقيقة مفادها أن الكلمات المعزولة عن سياقاتها هي مجرد أصوات غامضة لا معنى لها،مؤكدا على ضرورة تحليل أنماط السياقات الكلامية مع مراعاة المواقف و الظروف غير اللغوية المصاحبة للأداء اللغوي.يتحدد معنى الوحدة اللغوية – من وجهة نظره–في الوظيفة التي تؤديها هذه الكلمة في سياق محدد،و يتَّحِدُ مفهوم الوظيفة function في هذه النظرية مع مفهوم المعنى.بمقتضى هذا التصور يغدو مفهوم السياق اللغوي بناءً متكاملا من الوظائف الصوتية و الصرفية و المعجمية و النحوية و الدلالية التي تقوم بها مكونات هذا السياق"1". لأجل ذلك صاغ عبارته الشهيرة:context of situation و المقصود بها سياق الموقف أو الظروف الخارجية المرافقة للأداء اللغوي، و تعد هذه العبارة نقطة انطلاق فعلي لنظرية السياق لدى فيرث الذي يرى بأن التفوهات اللغوية لا تكون لها وظيفة إلا في إطار موقف خارجي و إنَّ مكونات الوحدة اللغوية لا يعمل كل منها إلا في ضوء علاقته بالمكونات الأخرى،فالمعنى حسب فيرث firth لا ينكشف إلا عبر تسييق الوحدة اللغوية بمعنى وضعها في سياقات عديدة.و يدعو إلى تفادي البحث في المعنى بوصفه عمليات ذهنية كامنة، و النظر إليه على أنه مُركب من العلاقات السياقية."2"

يمكن تلخيص أهم ما قامت عليه النظرية السياقية في ما يلي:

1. اللغة جزء من النتاج الإجتماعي و ليست نظاما شكليا فقط.
2. الجملة هي وحدة الإستعمال اللغوي الأساسية.
3. المعنى أو الوظيفة نظرا لإرتباطه بالكلام الفعلي ذو طبيعة متغيرة."

"1":المقصود بالمكونات اللغوية هو الجملة لا الكلمة أو العبارة، لأن الجملة وحدة الإستعمال الكلامي،و لم تعد مثلما كانت في النحو التقليدي وحدة للكمال النحوي، بل هي هنا وحدة اتصال في الموقف الخارجي للسياق و هو بذلك تُستبعد المعايير العقلية،فاللغة ليست حسابا منطقيا دقيقا لكل كلمة معنى محدد و لكل جملة معنى محدد ،بل إن الكلمة الواحدة تتعدد معانيها وفق السياق الذي استعملت فيه)

"2":firth.J.R.Papers in Linguistics1934-1951(London : Oxford University presse, 1957) P : 19

كما يضطلع السياق بدور مزدوج إذ يحصر مجال التأويلات الممكنة كما يدعم التأويل المقصود و يقسم K.Ammer السياق إلى أربعة أقسام هي:

1. السياق اللغوي:
2. السياق العاطفي
3. السياق الموقف
4. السياق الثقافي . "1"

لقد اهتمت التداولية بالعلاقة التواصلية بين المتكلم و المخاطب،فالمتكلم هو المنتِج للأداءات اللغوية و المخاطَب هو المتلقي،كما انصب اهتمامها في دراسة الظواهر اللغوية على تحقيق مجموعة من الأهداف لعل أهمها:

1. القصدية عند المتكلم.
2. الإهتمام بكل ما له صلة بالعمل التخاطبي لبلوغ المعنى.
3. إفادة المخاطب ما ليس عنده.
4. المؤثرات المعرفية في التواصل بين طرفي الخطاب.

بعد مرحلة التأسيس و البناء لدى كل من أوستن و سورل، جاءت مرحلة التوسع و الإغناء مع بول غرايس الذي انطلق من مسلمة مفادها أن التخاطب اللغوي يتم لتحقيق أغراض اجتماعية ،هو في الأصل تخاطب يقوم على مبدأ أساسي هو التعاون.

3.1.4.مفهوم الإستلزام الحواري أو الأفعال اللغوية غير المباشرة:

يعتبر الإستلزام الحواري من أهم مكونات الدرس التداولي،و تعود بداية البحث فيه إلى محاضرات **جرايس** التي قدم فيها باختصار تصوره النظري و الأسس المنهجية التي تقوم عليها.كانت نقطة الإنطلاق عند جرايس هي أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون و قد يقصدون أكثر مما يقولون و قد يقصدون عكس ما يقولون ،فجعل كل همه إيضاح الإختلاف بين **ما يُقال** (what is said)،و ما يُقصَد(what is meant) ،فما يقال هو ما تعنيه الكلمات و العبارات بقيمتها اللفظية face values،و ما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه المخاطَب على نحو غير مباشر على أساس أن المخاطب قادر على بلوغ مراد المتكلم بما يمتلكه من أعراف الإستعمال و وسائل الإستدلال،فأراد أن يقيم وصلا بين المعنى الصريح للقول(explicit meaning) و المعنى المتضمن فيه(inexplicit meaning).فتولدت لديه فكرة الإستلزام(implicature)"2 "

"1": مختار أحمد عمر: علم الدلالة :ص.ص:68-69 ،عالم الكتب،1993،القاهرة،مصر.

"2":محمود أحمد نخلة: نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية:مجلة الدراسات اللغوية، مركز الفيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية، الرياض المجلد الأول، العدد الأول، محرم ربيع الأول /أبريل يونيو1999.

يقر موشلار بوجود فرق بين ما قيل(dit)الدلالة اللغوية التواضعية للجملة و ما تم نقله تبليغه(communiquer)(تأويل القول).يوافق هذا التمييز الذي أهمله سيرل مفهوم الإستلزام الخطابي،فالدلالة هي ما قيل و الإستلزام الخطابي هو ما تم تبليغه و يختلف ما تم تبليغه عما قيل.

كما ميز جرايس بين نوعين من الإستلزام:استلزام عرفي (conventional implicature) و استلزام حواري (conversational implicature)

أ.الإستلزام العرفي:ينبني على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها مهما تغير السياق و التركيب. مثال ذلك كلمة:لكنَّ في اللغة العربية و مثيلتها في اللغة الانجليزية:but تستلزم دائما أن يأتي ما بعدها مخالفا لما يتوقعه المخاطب.مثال:(My friend is poor,but honest.) ،و مثل:زيد غني لكنه بخيل.

ب.الإستلزام الحواري: متغير بتغير السياقات التي يرد فيها. "1"

إذا انطلقنا من كون الخطاب فعلا لغويا،فإن كل ملفوظ هو تجسيد لفعل لغوي معين.لذلك فالأفعال اللغوية الإنجازية غير المباشرة يتم التوصل إليها،بعد القيام بعملية استدلالية تصبح معها البنية اللغوية الظاهرة للملفوظ مجرد معبر للوصول إلى الفعل الإنجازي غير المباشر الذي يقصد إليه المتكلم،و مرد ذلك أننا نتواصل بالأفعال الإنجازية غير المباشرة أكثر من تواصلنا بالأفعال الإنجازية المباشرة،ناهيك عن كون الأفعال الإنجازية المباشرة التي توظف بشكل مباشر و صريح محدودة جدا تقتصر على ما يسمى بالأفعال المؤسساتية أو التشريعية:مثل التوكيد والتفويض و الوصيةو التوريث و الإجازة..."2"

ما دام التخاطب يتأسس على اشتراك جانبين عاقلين في إلقاء الأقوال و إتيان الأفعال،كان ضروريا أن تنضبط هذه الأقوال بضوابط تحدد فائدتها الإخبارية أو التواصلية تسمى:"قواعد التبليغ"،كما وجب أن تُقَيَّدَ هذه الأفعال بقواعد تحدد وجوه استقامتها التعاملية أو الأخلاقية تسمى:"قواعد التهذيب"،و ينصب اهتمام اللسانيات التداولية بهذه القواعد نظرا لإهتمامها بدراسة الإستعمالات اللغوية في السياق."3"

"1": محمود أحمد نخلة: نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية:مجلة الدراسات اللغوية،مركز الفيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية، الرياض المجلد الأول، العدد الأول، محرم ربيع الأول /أبريل يونيو1999.

"2":الأفعال المؤسساتية أو التشريعية توظف بالمعنى الفحوي المباشر حتى لا يقع اللبس و تضيع الحقوق.

"3":المتوكل أحمد:اللسانيات الوظيفية:مدخل نظري:ص:26،الطبعة الثانية،شتنبر2010،دار الكتاب الجديد المتحدة ،بيروت،لبنان.

4.1.4.القصد أو المعنى التداولي:

اِهتمت الدراسات التداولية المعاصرة بالقصد أو المعنى التداولي،لأنه يرتبط ارتباطا شديدا بالفعل اللغوي،و في سياق دراستها لقضايا الأفعال اللغوية تناولت هذه الدراسات قضية المقاصد و النوايا في الخطاب الأدبي و اللساني عموما،و هي قضايا تدخل في صميم البحث عن مقاصد المتكلم في الخطاب،و التي تختلف باختلاف نوايا المتكلم و الوضعية السياقية التي تكشف خطابه، لقد أصبحت الأفعال اللغوية مبحثا رئيسا لدراسة مقاصد المتكلم و نواياه.إن توفر القصد و النية مطلب أساسي و شرط من شروط نجاح الفعل اللغوي الذي يجب أن يكون متحققا و دالا على معنى،و البحث في مثل هذه الشروط من المهام المنوطة بالدرس اللساني التداولي،إذ يحدد القصد هدف المرسِل من الأفعال اللغوية التي يتلفظ بها ومما يساعد المخاطب على فهم الخطاب تنوع دلالة الأفعال اللغوية عليه.و تنوعها ذو صلة ليس بشكلها اللغوي،بل بقصد المتكلم عبر المواءمة بين الشكل اللغوي المناسب و بين العناصر السياقية.و لا يمكن أن يكون المعنى الحرفي للغة هو معنى الخطاب الوحيد.يعد ذلك أحد دواعي تَوسُّع الدراسات التداولية،فلم تقف عند حدود المعنى الحرفي للخطاب،بل عُنِيَتْ هذه الدراسات بالمعنى التداولي و كيفية التعبير عنه بالفعل اللغوي غير المباشر،و يعد هذا الأمر من أهم استراتيجيات الخطاب لتعبير المتكلم عن قصده."1"

إن مفهوم القصدية وطيد الصلة بكل ما من شأنه أن يحفّز المتكلم على تحريك العملية التبليغية،إذ له وظيفة أساسية في تأويل الملفوظات و النصوص،لأن المتكلم ناذرا ما يفصح عن مقاصده و نواياه.في السياق ذاته اشتق طه عبد الرحمن مبدأ تداوليا أسماه مبدأ التصديق صاغه كما يلي:

لا تَقُلْ لِغَيْرِكَ قَوْلاً لاَ يُصَدِّقُهُ فِعْلُكَ.

من القواعد المتفرعة عن هذا المبدأ، قاعدة الصدق،و صيغتها: "لِتَتَفَقَّدَ قَصْدَكَ فِي كُلِّ قَوْلٍ تُلْقِي بِهِ إِلَى الغَيْرِ" و يترتب عن هذه القاعدة أمران أساسيان:

1. **الأمر الأول:** وصل المستوى التبليغي بالمستوى التهذيبي للمخاطبة، فالمتكلم متى تَبَيَّنَ حقيقة قصده من قوله، تُحَدَّدُ مسؤوليتُه الأخلاقيةُ.
2. **الأمر الثاني:** إمكان الخروج عن الدلالة الظاهرة للقول.

"1"::الشهري عبد الهادي بن ظافر:استراتيجيات الخطاب:مقاربة لغوية تداولية.ص:78.الطبعة الأولى ،2004 ،دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا.

اِنطلاقا من هذا المبدإ يمكن أن نصنف دلالتين لمفهوم القصد التداولي:

أ. القصد بمفهوم الإرادة.

ب.**القصد بمفهوم المعنى.**

يتحدد القصد عبر السياق بعناصره الكثيرة فهو ركيزة في الخطاب لتجسيد معنى المرسِل،بدلا من التقيد بالمعنى اللغوي الصرف.رغم أنه قد يتطابق معه في بعض السياقات و تتعدد دلالات الخطاب اللغوي حسب تعدد سياقات التلفظ فقد لا يكون ذا دلالة مستقرة تلازمه دوما.من أهم النظريات في الدراسات اللسانية المعاصرة حول ذلك **نظرية مبدأ التعاون** عند **جرايس** و ما انبنى عليها من دراسات أخرى."1 "

ينبني مفهوم الدلالة غير الطبيعية عند بول جرايس على تصور مفاده أن القصد التخاطبي صنفان:**قصد تبليغ محتوى معين**،و **قصد تحقيق هذا القصد** نتيجة لتعرف المخاطب عليه،في هذا المضمار يميز أصحاب نظرية المناسبة **دار سبربر و ديردرو يلسون** بين قصدين استلهماهما من **نظرية جرايس**:

أ. **القصد الإخباري**:المراد به كل كلام يحمل في الغالب خبرا يحدد موقفا خاصا من قضية.

ب. **القصد التواصلي**: غايته حمل المخاطَب على إدراك القصد التواصلي للمرسِل والتفاعل معه بشكل سليم.

كما أولت الدراسات اللسانية التداولية عناية قصوى بالتعدد القصدي،إذ يؤكد بول جرايس على أن القصد التخاطبي هو قصد مركب وانعكاسي لأنه أحادي الإتجاه ،مما ستدعي ضرورة الأخذ بعين الإعتبار المخاطب و مدى استيعابه للقصد أو انزياحه عنه.و يرى أن القصد المركب على ثلاثة أصناف متداخلة:

أ. **اَلْقَصْدُ**:و هو قصد المتكلم إلى إبلاغ محتوى دلالي إلى المخاطب.

ب. **قَصْدُ القَصْدِ**:وهو قصده أن يتعرف المخاطب إلى القصد الأول.

ت. **قَصْدُ قَصْدِ القَصْدِ** وهو قصده أن يبلغ أن القصد الأول يتحقق عن طريق تعرف المخاطب على القصد الثاني.

كما يميز بعض التداوليين بين ضربين من القصد بالنظر للزمان،وهما القصد المستقبلي و القصد الآني،لأن القصد بما هو فعل نفسي لا يخرج عن نطاق الزمان المستقبلي أو الآني."2 "

"1": طه عبد الرحمن:اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي::ص 237-238-239،الطبعة الثالثة،2012،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب.

"2":مقبول إدريس: في تداوليات القصد: مجلة جامعة النجاح للأبحاث(العلوم الإنسانية)،المجلد 28،العدد: 5،2014 مكناس، المغرب.

5.1.4.المبادئ التداولية للتخاطب:

1.5.1.4.مبدأ التعاون:

هو أول مبدإ تداولي للتخاطب:و أول من وظفه في اللسانيات الحديثة هو الفيلسوف الأمريكي:بول غرايس في كتابه :"محاضرات في التخاطب" و في مقالته الشهيرة:"المنطق و التخاطب"و صيغة هذا المبدأ هي :

(ليكن انتهاضك للتخاطب على الوجه الذي يقتضيه الغرض منه) يقضي هذا المبدأ بضرورة تعاون المتكلم و المخاطب على تحقيق الهدف من الكلام.لاحظ جرايس أن جمل اللغات الطبيعية يمكن في بعض المقامات أن تدل على معنى غير الذي يوحي به محتواها الفحوي الصريح ،و أن تأويل جملة ما غالبا ما يتجاوز الدلالة التي نعزوها إليها بالمواضعة. لذلك يمكن التمييز بين الجملة و القول ،فالجملة هي سلسلة من الكلمات التي يمكن التلفظ بها في ملابسات مختلفة و لا تتغير بتغير هذه الملابسات، أما القول فهو حاصل التلفظ بجملة ما و هو يتغير بتغير الملابسات و القائلين. يفترض غرايس أن المتخاطبين المساهمين في محادثة مشتركة يحترمون **مبدأ التعاون**.إذ يتوقع المشاركون أن يساهم كل منهم في المحادثة بطريقة عقلانية و متعاونة لتيسير تأويل أقواله،و لا تمثل قواعد المحادثة مجرد معايير ينبغي للمتخاطبين اتباعها فحسب ،بل تمثل ما ينتظرونه من مخاطبيهم .إنها مبادئ تأويل أكثر من كونها قواعد معيارية أو قواعد سلوك.تبعا لهذا المبدأ يحاول المتكلم جعل تدخله مطابقا لما يقتضيه الغرض من الحوار الذي يساهم فيه في المرحلة التي يتدخل فيها.

إن أهم ما شغل تفكير جرايس هو:كيف يكون ممكنا أن يقول المتكلم شيئا و يعني شيئا آخر؟ثم كيف يكون ممكنا أن يسمع المخاطب شيئا و يفهم شيئا آخر؟للإجابة عن هذا الإشكال قدم مبدأ حواريا عاما هو:مبدأ التعاون:

co-operative principle بين المتكلم و المخاطب و هو في كل هذا يركز على نظريتين أساسيتين في التخاطب يمكن الكشف عبرهما عن متضمنات القول و تحديد الأفعال غير المباشرة.و هما نظرية القصدية و نظرية الِاستلزام الحواري.

فرَّع غرايس على مبدئه في التعاون قواعد تخاطبية عديدة قسمها إلى أربعة أقسام،كل قسم منه يندرج ضمن مقولة مخصوصة و هي: **الكم و الكيف و الإضافة (أو العلاقة) و الجهة** و هذه الأقسام الأربعة من قواعد التخاطب

"1":المتوكل أحمد:اللسانيات الوظيفية مدخل نظري:27-28 الطبعة الثانية،شتنبر2010،دار الكتاب الجديد المتحدة ،بيروت،لبنان.

"2":محمود أحمد نخلة: نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية:مجلة الدراسات اللغوية، مركز الفيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية، الرياض المجلد الأول، العدد الأول، محرم ربيع الأول /أبريل يونيو1999.

و التي من المفترض أن يحترمها المتخاطبون هي:

قاعدتا كم الخبر :

أ. أن تكون مساهمة المتكلم بما هو ضروري فقط.

ب. لا تجعل إفادتك تتعدى القدر المطلوب"1".

قاعدتا كيف الخبر:

يستوجب على المتكلم ألا يكذب.

أ. لا تقل ما تعتقد أنه كاذب

ب. لا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه.

قاعدة علاقة الخبر بمقتضى الحال و هي : (المناسبة):

أ. ليناسب مقالك مقامك و ذلك بأن تجعل تدخلك واردا.

قواعد جهة الخبر و هي:

أ. لتحترز من الإلتباس.

ب. لتحترز من الإجمال.

ت. لتتكلم بإيجاز.

ث. لترتب كلامك. "2"

تُعَدُّ القواعد التخاطبية ضابطة لكل محادثة واضحة،ذلك أن المعاني التي يتداولها المتكلم والمخاطَب هي معانٍ صريحة و حقيقية،بيد أن المتخاطبين قد يخالفان بعض هذه القواعد مع الحفاظ على مبدإ التعاون،فتنتقل آنذاك الإفادة في المحادثة من ظاهرها الصريح و الحقيقي إلى وجه غير صريح و غير حقيقي،كما تغدو المعاني المتناقلة معان ضمنية و مجازية."3 "

"1":موشلار جاك و آن روبول :التداولية اليوم :علم جديد في التواصل:ترجمة سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني،مراجعة:لطيف زيتوني،ص 56،المنظمة العربية للترجمة،الطبعة الأولى 2003،دار الطليعة للطباعة و النشر،بيروت،لبنان.و كذلك أُنظُر:المتوكل أحمد:آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي:ص:93.

"2":موشلار جاك و آن روبول :التداولية اليوم :علم جديد في التواصل:ترجمة سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني،مراجعة:لطيف زيتوني،ص:55،المنظمة العربية للترجمة،الطبعة الأولى 2003،دار الطليعة للطباعة و النشر،بيروت،لبنان.

"3": طه عبد الرحمن:اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي:ص 239،الطبعة الثالثة،2012،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب.

و تحصل في نظر غرايس ظاهرة استلزام جملة ما لمعنى مقامي غير معناه الحرفي،حين يتم خرق إحدى القواعد الأربع مع احترام مبدأ التعاون."1 "

2.5.1.4.قاعدة مبدأ التأدب و اعتبار جانب التهذيب:

مبدأ التأدب هو ثانِ المبادئ التداولية التي يتأسس عليها التخاطب.لقد أوردته "روبين لاكوف" في مقالتها الشهيرة "**منطق المحادثة** "و صيغة هذا المبدأ هي :

- لتكن مؤدبا.

بناءً على هذا المبدإ يتوجب على المتخاطبين في تعاونهما لتحقيق غايتهما من الكلام التقيدُ **بضوابط التهذيب**.لذلك فرَّعت لاكوف على مبدإ التأدب ثلاثة قواعد تهذيبية هي:

أ. **قاعدة التعفف**:مفادها:لا تفرض نفسك على المخاطب.

ب. **قاعدة التشكيك** : مفادها:لتجعل المخاطب يختار بنفسه.

ت. **قاعدة التودد**: مفادها:لتظهر الود للمخاطب.

تُلْزِمُ "قاعدة التعفف" المتكلمَ بأن يُوظف العبارات التي تمكنه من حفظ مسافة بينه و بين المخاطَب،متجنبا عبارات الطلب المباشرة،كما تُلْزِمُهُ "قاعدة التشكيك" تجنب أساليب التقرير مع الأخذ بأساليب الإِستفهام،و كأنه مشكك في مقاصده بحيث يترك للمخاطَب فرصة اتخاذ القرارات.تُوجِبُ قاعدة التودد على المتكلم التعامل مع المخاطب معاملة الند للند و يكون هذا التعامل مُجْدِيا إذا كان المتكلم في مرتبة أعلى من المخاطب أو مساويا له في المرتبة."2 "

"1": المتوكل أحمد:آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي:ص:27 ،منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط،سلسلة بحوث و دراسات رقم:5،الطبعة الأولى،1993،دار الهلال العربية،المغرب.

"2": طه عبد الرحمن:اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي:ص.ص: 240-241،الطبعة الثالثة 2012،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب.

3.5.1.4.مبدأ التواجه:

وظفه كل من **براون و ليفنسون** في عملهما التداولي " **الكليات في الإِستعمال اللغوي**:ظاهرة التأدب".كان هدفهما من ذلك صياغة بعض القواعد الكلية لضبط ظاهرة التأدب بين طرفي الخطاب.يعد هذا المبدأُ المبدأَ التداولي الثالث الذي ينضبط به التخاطب،و المقصود به:مقابلة الوجه للوجه.

و يصاغ هذا المبدأ كما يلي:

لتصن وجه غيرك.

و يقوم هذا المبدأ على مفهومين أساسيين هما:

أ. قيمة الوجه الإِجتماعية.

ب. نسبة تهديد الوجه.

1.**قيمة الوجه الاجتماعية**:على المرسل أن يصون وجه غيره ،لأن في صيانته لوجه غيره صيانة لوجهه،مما يدل على الإِحترام والتعاون بينهما،و يقترح (**براون و ليفنسون**) هذا المبدأ لأن الوجه هو رغبات الإنسان الأساس.و يفرعانه إلى فرعين أساسيين هما :

أ. **الوجه الدافع** : المقصود به رغبة الإنسان في ألا يعترض أحدٌ أفعالَه.

ب. **الوجه الجالب**: المقصود به رغبة الإنسان في أن تُحْتَرَمَ إرادته.

2.**نسبة تهديد الوجه**:يربط الباحثان بين الأفعال اللغوية و نسبة تهديدها للوجه."2" "3"

"1": الأندلسي أحمد بن محمد بن عبد ربه:العقد الفريد: الجزء الأول،ص 198 تحقيق مفيد محمد قميحة ،دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى 1983،بيروت،لبنان.

"2":الشهري عبد الهادي بن ظافر:استراتيجيات الخطاب:مقاربة لغوية تداولية.ص:104،الطبعة الأولى ،2004 ،دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا.

"3": منذ القِدَمِ و الناس يعتبرون الوجه رمزا يمثل المتكلم :قال سعيد بن العاص:"قبح الله المعروف إن لم يكن ابتداءً من غير مسألة، فالمعروف عوض من مسألة الرجل إذا بذل وجهه ،فقلبُه خائف و فرائصُه ترعد و جبينه يرشَح لا يدري أيرجع بنجح الطلب أم بسوء المنقلب، قد انتقع لونه و ذهب دم وجهه."

إن هذا التداخل الحاصل بين المعاني الدلالية و المعاني التداولية و كذلك بين الإقتضاءات الإتفاقية و الإقتضاءات التخاطبية،هو الذي مهَّد لمرحلة جديدية في مجال البحث التداولي المعاصر و هي **مرحلة التداوليات المدمجة** مع ديكرو و أنسكومبر اللذين وسعا آفاق هذا المجال المعرفي للإنفتاح على مباحث لسانية و حجاجية من قبيل الفعل الحجاجي و الروابط و المراتب الحجاجية.

2.4.التداولية المدمجة:

تعد نظرية الحجاج نظرية دلالية حديثة تقدم تصورا جديدا للمعنى من حيث طبيعته و مجاله. أسسها اللغوي الفرنسي ديكرو منذ سنة 1973.إنها نظرية تهتم بالوسائل اللغوية و بإمكانات اللغة الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم،وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما،تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية و التي تنطلق من الفكرة الشائعة:**"أننا نتكلم بقصد التأثير"** "1"

هذه النظرية تبين أن اللغة في جوهرها لها وظيفة حجاجية،و هناك فرق بين الحجاج و البرهان أو الإستدلال المنطقي،فالحجاج وفق تصور ديكرو فعل كلامي منبت في صميم البنية اللغوية للملفوظ،لأجل ذلك رفض التصور المنطقي للحجاج الذي يحصر الحجاج في العلاقات المنطقية الشكلية،و تبعا لهذا الرفض ميز بين الإستدلال و الحجاج،مؤكدا انتماءهما إلى حقلين مختلفين تمام الإختلاف،فالإستدلال ينتمي إلى حقل المنطق أما الحجاج فينتمي إلى حقل الخطاب.

إن الخطاب الطبيعي لا يقدم براهين و أدلة منطقية،كما لا يقوم على مقدمات كما هو الشأن في البرهان والإستدلال المنطقي،بل يقوم على الظن و الإحتمال،لأنه يعتمد على اللغة الطبيعية.**كما أن القيمة الإخبارية للملفوظ وفق التداولية المدمجة قيمة ثانوية بالنظر إلى قيمة الملفوظ الحجاجية**.لقد انبثقت نظرية الحجاج في اللغة من داخل نظرية الأفعال اللغوية التي أسسها أوستين و سورل،حيث قام ديكرو بتطوير أفكار و آراء أوستين بالخصوص،و اقترح إضافة فعلين لغويين هما:"**فعل الإقتضاء**"و"**فعل الحجاج**"،مع التشبث بفكرة الطابع العُرفي للغة.إن فعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطا معينا من النتائج باعتباره الإتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار،و يتأسس الحجاج على بنية الأقوال اللغوية و على تسلسلها و اشتغالها داخل الخطاب"2"،و الحجة قد تكون ظاهرة أو مضمرة بحسب السياق،الأمر ذاته بالنسبة للنتيجة و الرابط الحجاجي الذي يربط بينهما،كما تتسم الحجج اللغوية بكونها سياقية.

"1": يرتبط الحجاج في التعريفات المتداولة بالفعل التأثيري للخطاب،إذ يسعى المتكلم إلى حمل المخاطب على الإذعان و الإقتناع بفكرة ما أو موقف ما،عبر إثارة عواطفه و انفعالاته.كما أن كل نصوص و خطابات اللغات الطبيعية حجاجية،غير أن طبيعة الحجاج و مظاهره و درجته تختلف من نص إلى آخر ومن خطاب إلى آخر.

"2":إذا كان الإخبار هو الوظيفة الأساسية للغة كما حددها اللغويون والفلاسفة منذ أفلاطون،.فإن النظرية الحجاجية تقر بأن اللغة تحمل بصفة ذاتية و جوهرية وظيفة حجاجية،و هذه الوظيفة مؤشر لها داخل بنية اللغة ذاتها،بل حتى في بنية الجمل و الأقوال على المستوى الصوتي و الصرفي و التركيبي و التداولي.

إن التداولية المدمجة نظرية دلالية لا صدقية بمعنى أنها نظرية تسلم بأن المعلومات المفيدة اللازمة لفهم الأقوال عند التواصل هي معلومات حجاجية لا إبلاغية،كما أن قيمة القول الإبلاغية ثانوية مقارنة مع قيمته الحجاجية،إذ هي أولية وأساسية.لتأكيد أولوية الحجاج على الإبلاغ يميز ديكرو بين معنيين للفظ الحجاج:(Argumentation)بين المعنى العادي و المعنى الفني،و الحجاج موضوع النظر في التداولية المدمجة هو بالمعنى الثاني."1 "

الحجاج بالمعنى العادي:

مجموعة من الترتيبات و الإستراتيجيات التي يوظفها المتكلم في الخطاب قصد إقناع سامعيه،و تُعَد المظاهر الخاصة بالحجاج أثرا من آثار الخطاب و لا يبحث لها عن صلة باللغات الطبيعية.

الحجاج بالمعنى الفني:

يقصد بالحجاج صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب و المدرجة في اللسان ضمن المحتويات الدلالية و السمة المميزة للعلاقة الحجاجية كونها دَرَجِية(scalaire) أو قابلة للقياس بالدرجات و بمعنى آخر واصلة بين سلالم"2".يُعَرِّف طه عبد الرحمن الحجاج بكونه:"كل منطوق به موجَّهٍ إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الإعتراض عليها."3"

يختص مفهومي السلم الحجاجي و التوجيه الحجاجي بالعلاقة الحجاجية،سواء حُدِّدَت لسانيا أو اندرجت تداوليا،و في إطار الحجاج بالمعنى الفني يمكن الأخذ بفرضية أولوية الحجاج على الإبلاغ،و من مظاهر طرافة التداوليات المدمجة دحضها الفرضية التقليدية في اللسانيات التي تقر بوحدة الذات المتكلمة،و بحكم تركيز التداوليات المدمجة على عملية التلفظ في التحليل الدلالي،فإنها تقول بتعدد الأصوات خاصة حين يتضمن القول نفيا أو تهكما أو حين توظيف بعض الروابط مثل:بما أنَّ:مثال:

1 – ليسَ الطقسُ جميلاً.

"1":صابر الحباشة:مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية:ص:30-31 ،الطبعة الأولى،2011،دار صفحات للدراسات و النشر،دمشق،سوريا.

- "2":Jacques Moeschler et Anne Reboul :Dictionnaire encyclopédiques de pragmatique, Ed :du seuil,1994 p79.

"3":طه عبد الرحمن: اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ص: 226.

فالقول المنفي وفق تصور ديكرو لا يعني الإخبار عن كذب قضية،بل هو صدام بين وجهتي نظر:

1-الطقس جميل.

2-رفض الإخبار.

فوجهتا النظر ليستا من صنع المتكلم، بل من صنع قائلَين مختلفَين جمع بينهما المتكلم في قول واحد.

➢ الروابط و العوامل و المواضع الحجاجية:

تتبوأ الروابط و العوامل و المواضع الحجاجية مكانة مهمة ضمن اتجاه الحجاجيات اللسانية،بل إن النظرية الحجاجية اللسانية في جوهرها تقوم على دراسة هذه العوامل و الروابط الحجاجية في علاقتها بالمواضع.فكيف تعرف الحجاجيات اللسانية العامل و الرابط الحجاجي و ما وظيفتهما في الخطاب الحجاجي؟و ماهي مكانة المواضع داخل النظرية الحجاجية اللسانية؟

إن هذه الأدوات هي التي دفعت ديكرو إلى رفض نموذج شارل موريس و الدفاع عن فرضية التداوليات المدمجة. وترتبط القيمة الحجاجية لقول ما بالنتيجة التي يمكن أن يؤدي إليها،أي بتتمته الممكنة و المحتملة و لا ترتبط تماما بالمعلومات التي يتضمنها.لقد ميز ديكرو بين نوعين من المؤشرات:الروابط الحجاجية Les connecteurs و العوامل الحجاجية: Les operateurs

1.2.4.الرابط الحجاجي"2":

يربط بين قولين أو بين حجتين على الأصح أو أكثر،و تسند لكل قول دورا محددا داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة،كما تُسْهِم في ترتيب الحجج و الربط بينها و ترسيخها في ذهن المتلقي،مما يؤدي إلى تماسك الخطاب و ترابطه،أشار ديكرو أيضا إلى دورها الحجاجي حين أعطى أهمية خاصة للعلاقات التي تعبر عن نفسها محاججة و استخلاصا،فهي لا تنظم فقط الجمل التي يكون فيها المقطع الثاني معطى بوصفه تبريرا أو بوصفه نتيجة للمقطع الأول،و هذا ما يسمى في الفرنسية الروابط المساوِقة « car »لأن و« donc » إذن،إنها تتدخل في دلالة "لكن" أو"بالأحرى"اللتين تفرضا توجها مضادا للمحاجة،حيث تضطلع بعض الأدوات اللغوية بدور حجاجي،يتمثل في الربط بين قضيتين و ترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حججا في الخطاب،من بينها(لكن و بل و حتى و إذن و لأن و بما أن...)و تقوم بالربط بين قولين فأكثر ضمن هدف إقناعي واحد و لكل رابط سمة حجاجية و تداولية يمكن

"1":العزاوي أبو بكر:اللغة و الحجاج:ص: 14،الطبعة الأولى،2006،العمدة في الطبع،الدار البيضاء،المغرب.

"2":الرابط الحجاجي:يربط بين فعلين لغويين اثنين:لذلك فهو موصل تداولي.و تتجلى أهمية هذا التمييز بالنسبة للحقل الحجاجي في كونه يمكننا من عزل الوقائع التداولية عن الوقائع الدلالية.فلا تتوقف وظيفة الروابط عند حدود التأليف بين ملفوظين،بل تؤدي دورا رئيسا في فهم الخطاب و تأويله.

ضبطها أثناء الإستعمال.و وفق تصور فان دايك لا تتصل الروابط بالمحتوى الدلالي للقضايا و الأحداث فحسب،بل لها علاقة وطيدة بالسياق التداولي."1"

2.2.4.العامل الحجاجي:

هو صرفة تُحَوِّلُ الإحتمالات الحجاجية للمضمون المطبقة عليه،و تمد العبارات المتغيرة بإمكانية استعمالها لغايات حجاجية،فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية(أي بين حجة و نتيجة أو بين مجموعة حجج) لكنها تقوم بحصر و تقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما،و تضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: **تقريبا** و **كاد** و **قليلا** و **كثيرا** و **ما** و **إلا** و **جل أدوات الحصر**.

إن وجود الروابط و العوامل الحجاجية لا يكفي لضمان سلامة العملية الحجاجية،و لا يكفي أيضا لقيام العلاقة الحجاجية،بل لابد من ضامن يضمن الربط بين الحجة و النتيجة،هذا الضامن هو ما يُعْرَف **بالمبادئ الحجاجية**. وهي تقابل مسلمات الإستنتاج المنطقي في المنطق الصوري أو الرياضي.هذه المبادئ هي قواعد عامة تجعل حجاجا خاصا ما ممكنا،و لها خصائص عديدة،نذكر من بينها:أنها مجموعة من المعتقدات و الأفكار المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشرية معينة تتسم بالعمومية و التدريجية و النسبية.يتم الإسناد فيها في بعض الأساليب كالحصر والتأكيد و الإستثناء و النفي و الشرط.عموما العامل الحجاجي هو الذي يربط بين وحدتين دلاليتين داخل الفعل اللغوي نفسه،فهو على هذا الأساس موصل قضوي."2"

3.2.4.الموضع الحجاجي:

إن مراعاة تراتبية الحجج و هَرَمِيَّتَهَا على مستوى القوة و الضعف،ناهيك عن توظيف الروابط الحجاجية المناسبة لا يضمنان أن يُحَقِّقَ الحجاج غايته ما لم يتم مراعاة مكون آخر درسه ديكرو و أنسكومبر،يتعلق الأمر بالمواضع الحجاجية،"3"و هو من المفاهيم المركزية داخل نظرية الحجاج اللساني،بل إنه مرتكز من مرتكزات التحليل التي تعتمد عليها نظرية الحجاج داخل اللغة،خاصة بعد تراجع التركيز على الرابط و العامل الحجاجيين.إن المواضع هي بمنزلة الآليات التحتية التي تسمح بإنجاز النشاط الحجاجي في اللغة،و ذلك من خلال العلاقة التي تنسجها مع العامل أو الرابط الحجاجي،و يعرف موشلار الموضع بكونه قاعدة عامة تمكن من إنجاز نشاط حجاجي جزئي،بيد أن هذه

"1": الشهري عبد الهادي بن ظافر:استراتيجيات الخطاب:مقاربة لغوية تداولية.ص:476.الطبعة الأولى، 2004، دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا.

"2":العزاوي أبو بكر:اللغة و الحجاج:ص: 14،الطبعة الأولى،2006،العمدة في الطبع،الدار البيضاء،المغرب.

"3":يرجع أصل هذا المصطلح إلى الخطابة اليونانية خاصة مع أرسطو الذي جعله جزءً من نظرية منطقية عامة تسمى:الأراغون،كما خصه بكتاب بعنوان:"المواضع".

الطبيعة العامة للموضع الحجاجي لا تعني أن له علاقة بقواعد الإستنباط الطبيعي أو بالقياس المنطقي(السيلوجيسم)"1"،ففي هذين الشكلين الإستدلاليين يكون الإنتقال إلى النتيجة أمرا لزوميا تفرضه الصورة الإستدلالية الصحيحة التي يقومان عليها،أما في الحجاج فإن الإنتقال من المقدمات إلى النتائج يستند إلى المواضع، و المواضع لا تستمد مقبوليتها من صورتها الإستدلالية،و إنما من ارتباطها بالآراء المشتركة،و تتمثل وظيفة الموضع في تحقيق التأليفات الخطابية،فالترابط الحجاجي بين الملفوظات إنما يتم على قاعدة المواضع،و ليس استنادا إلى طبيعة الوقائع الخارجية فيصير الموضع هو القاعدة التي تضمن النقلة من الملفوظ الحجة إلى الملفوظ النتيجة.لقد اعتمد ديكرو مفهوم المواضع ليؤكد أن عملية الإنتقال من الملفوظ- الحجة إلى الملفوظ- النتيجة لا تحكمه قوانين المنطق، و إنما توجهه مجموعة من المواضع.و يعترف انسكومبر بأن المواضع عبارة عن مبادئ عامة تؤدي وظيفة دعم الإستدلال دون أن تكون هي الإستدلال ذاته.بشكل عام الموضع هو ذلك المبدأ الثاوي خلف التسلسلات الحجاجية و الذي يُؤَمِّن عملية الإنتقال من الحجة على النتيجة،لأن انسجام الملفوظ ينبني على ما يتضمن من مواضع حجاجية.

مثال:

1. عَمِلَ زيدٌ الليلَ كله:
2. من المحتمل أن تمطر.

يتنج عن ملفوظ من هذا النوع،الموضع الحجاجي التالي:

1. زيد بحاجة إلى النوم.
2. سأحمل المظلة."2"

"1":القياس فعالية استدلالية خطابية حجاجية تقوم على مسلمات أربع،هي:

-مسلمة حوارية الخطاب إذ لا كلام مفيد إلا بين اثنين،لكل منهما مقامين،مقام المتكلم بوصفه العارض و مقام المستمع بوصفه المعترض.و متى تعددت و تشعبت أطوار التخاطب صار المستمع عارضا و المتكلم معترضا.

-مسلمة وصفية الخطاب:كل من دخل في التخاطب تساوت لديه الموضوعات الموصوفة و الصفات المسندة إلى هذه الموضوعات.

- مسلمة بنائية الخطاب:يبني الخطاب موضوعاته بشكل تدريجي تتقلب فيه الموضوعات في أحوال دلالية متباينة من الإجمال إلى التفصيل،ومن الإشكال إلى الإيضاح،ومن الخفاء إلى الظهور،و من الإثبات إلى الإبطال...

-مسلمة ترتيبية الصفات: انطباق الصفة على الموصوف لا ينتقل بين قطبي الإيجاب و السلب،بل يحتمل درجات مختلفة يكون السلب و الإيجاب طرفين متباينين أعلى و أدنى.

"2":ختام جواد:التداولية أصولها و اتجاهاتها:جواد ختام:ص،ص: 158-159،الطبعة الأولى،2016،كنوز المعرفة للنشر و التوزيع،عمان،الأردن.

تتميز المواضع الحجاجية بمجموعة من الخصائص:

1. هي عامة.
2. ترتبط بالرأي العام و المشترك.
3. تنطوي على طبيعة تدريجية.

إن هذه الخصائص المميزة للمواضع تجعلها قابلة للدحض و مفتوحة على الإعتراض،و هي الميزة الأساسية التي يتصف بها الحجاج.من الطرق التي يمكن بها دحض المواضع ما يلي:

- **الإعتراض على المناسبة**:يمكن مثلا اعتبار الموضع غير مناسب.
- **الإعتراض على التطبيق**:لا نحتاج أحيانا إلى الإعتراض على المناسبة في دحضنا للموضع،و إنما نعترض على تطبيقه،و ذلك بإضفاء النسبية على قيمة كأن نواجه بموضع آخر ندعي أنه أقوى منه.
- **الإعتراض على تطبيق الموضع في حالة مخصوصة**:إن المعترض يرفض حسب تقويمه الخاص مقدار اتصاف الموضوع بالمحمول المشار عليه في الملفوظ."2"

4.2.4.السلم الحجاجي:

ليست الحجة معادلة رياضية أو دليلا برهانيا،فهي لا تثبت الحجة بصفة قطعية نهائية،إنها ترافع لصالح النتيجة، و هذه المرافعة واحدة إلى جانب مرافعات أخرى،معنى هذا أنه قد تشترك مجموعة من الحجج في الفئة الحجاجية ذاتها لتثبت نتيجة واحدة."2"

عرف طه عبد الرحمن السلم الحجاجي بأنه(عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية و موفية بالشرطين:

- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.
- كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين،كان ما يعلوه مرتبةً دليلا أقوى عليه."3"

"1": العزاوي أبو بكر:اللغة و الحجاج:ص: 14،الطبعة الأولى،2006،العمدة في الطبع،الدار البيضاء،المغرب.

"2":صولة عبد الله:في نظرية الحجاج:دراسات و تطبيقات:ص.ص:26-28،الطبعة الأولى،2011،الشركة التونسية للنشر و تنمية فنون الرسم،تونس.

"3":طه عبد الرحمن: اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ص:277

يرتبط بمفهوم السلم الحجاجي مفهوم آخر هو مفهوم الوجهة أو الإتجاه الحجاجي،يعني هذا المفهوم:"أنه إذا كان يمكن من إنشاء فعل حجاجي،فإن القيمة الحجاجية لهذا القول يتم تحديدها بواسطة الإتجاه الحجاجي،و هذا الأخير قد يكون صريحا أو مضمرا".[1]

- **قوانين السلم الحجاجي:**

هناك ثلاثة قوانين تحكم السلم الحجاجي،هي:

1.قانون الخفض:La loi d'abaissement :إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم،فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها.

2 .**قانون تبديل السلم**: La loi de negation :يسمى قانون النفي :مقتضاه أنه "إذا كان القول دليلا على مدلول معين،فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله."هذا معناه أنه إذا تم نفي إحدى الحجج أدى هذا إلى نفي مدلول الخطاب.

3.قانون القلب:la loi d'inversion:إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين،فإن نقيض القول الثاني أقوى من نقيض القول الأول في التدليل على نقيض المدلول،و تجدر الإشارة هنا إلى أن قوانين السلم الحجاجي و قوانين الإستدلال القياسي متماثلة إلى حد ما."[2]

"1":العزاوي أبو بكر:اللغة و الحجاج:ص:73 ،الطبعة الأولى،2006،العمدة في الطبع،الدار البيضاء،المغرب.

"2": طه عبد الرحمن: اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ص278.

لتأتي بعد ذلك مرحلة ما يسمى بالتداوليات المعرفية،إذ انفتحت التداوليات على علوم ومعارف جديدة مثل: علم النفس و علم الإجتماع و الذكاء الإصطناعي.فانصب اهتمامها على دراسة العلاقات الرابطة بين اللغة و مستعمليها معتمدة في ذلك على آليات النظام المعرفي المختص في معالجة المعلومة في الذهن البشري على مستوى التأويل والتجميع و الإنتاج، و تعد نظرية الملاءَمة مع سبربر و ويلسون أهم ما ميز هذه المرحلة.

3.4.تداوليات نفسية:نظرية الملاءمة:Theorie de la pertinance

قَدَّمَ علم النفس المعرفي نظريةً معرفيةً تُعَد ثورة في دراسة بنية الذهن البشري،تُعْرَفُ بنموذج معالجة المعلومات:Information Processing Model.يؤكد هذا النموذج على أن التواصل البشري ليس مجرد استجابة لمثير كما هو الحال في النظرية السلوكية،بل "هو تتويج لسلسلة من العمليات الذهنية المفضية إلى إدراك معنى الدليل و تأويل معناه.و حال الذهن في ذلك كحال الآلة.فالحاسوب أو الهاتف مثلا يلتقطان مدخلات Inputs(إشارات ،أوامر...)تعالج على مستوى مركزي (ذاكرة)بناء على معلومات مخزنة سلفا،لتترتب عن ذلك مخرجات Outputs معينة.و من ثَمَّ فإن الشبه كبير بين طريقة اشتغال الدماغ و الآلة،و ليست هذه الأخيرة سوى محاكاةٍ لما يقوم به الذهن البشري"[1]

نتيجة لتطور الأبحاث و الدراسات في مجال الذكاء الصناعي،انبثق في مجالات عدة مثل اللسانيات و علم النفس المعرفي مفهومان مهمان في مقاربة الظواهر اللغوية هما:مفهوم القالبية و مفهوم الحوسبة.و يعود الفضل في صقل مفهوم القالبية إلى جيري فودور الذي دافع عن نظريةٍ تمثيليةٍ للذهن تعتبر أن الحالات الذهنية مرتبطة بعلاقات حوسبية،كما أن الذهن يعمل بشكل تراتبي لمعالجة المعلومات تتدخل فيه ملكات متعددة لا مجال لتحديدها في منطقة ما من الذهن البشري.و لقد فصل فودور القول في مفهوم القالبية في كتابه:"قالبية الذهن" Modularity of Mind » « و الذي رسم له أهدافا يروم تحقيقها و المتمثلة في:

- إستبدال الإفتراض العام حول وجود ملكات نفسية بافتراض خاص سماه الأطروحة القالبية.
- تعداد بعض السمات المميزة لقالبية النسق المعرفي.
- بحث إمكانية بناء فرضيات معقولة حول قالبية السيرورات الذهبية.
- تمييز قضايا القالبية عن أطروحة الحدود الإبستيمي،و هي أطروحة ذات قيود صارمة على طبيعة المشاكل التي باستطاعة الإنسان حلها و على طبيعة الأشياء التي يمكن إدراكها."[2]

"1":ختام جواد:التداولية أصولها و اتجاهاتها: ص:118 ،الطبعة الأولى،2016،كنوز المعرفة للنشر و التوزيع،عمان،الأردن.

"2":Fodor ,Jerry A « Modularity of Mind :An Essay on Faculty Psychology »Cambridge,Mass,MIT Press,1983,P:1.

تعد نظرية الملاءمة"1" لولسن و سبربر(1986 أو 1989) الأكثر تمثيلية لهذا الإتجاه،و تتمركز حول مفهوم المردودية أو الإنتاجية.ذلك أن الذهن البشري وفق تصور ولسن و سبربر يسعى إلى تحقيق الملاءَمة بين مقاصد المتكلم و النتائج السياقية التي يحققها المخاطب بعد سلسلة من الجهود التأويلية.فكلما قلت كانت جهوده التأويلية أقل (الإنتباه و التخزين و التحليل)كانت النتائج المحصل عليها أوفر،و آنذاك يمكن القول إن التواصل كان ملائما.أما إذا زادت الجهود و قلت النتائج فإن التواصل غير ملائم.

إن نظرية الملاءمة نظرية تداولية معرفية و هي نظرية تنتمي إلى العلوم المعرفية الإدراكية،كما أنها تبين موقعها من اللسانيات و خاصة من علم التراكيب،إنها نظرية جمعت بين نزعتين متنافرتين،إذ تقوم بتفسير الملفوظات وظواهرها البنيوية في الطبقات المقامية المختلفة،و في الوقت نفسه هي نظرية إدراكية،استطاعت الدمجَ بين مشروعين معرفيين،انبثق المشروع الأول من حقل فلسفة اللغة و خاصة النظرية الحوارية لبول غرايس (1975)grice و الثاني من حقل علم النفس المعرفي و على الخصوص النظرية القالبية لفودور(1983-fodor)modularity.لقد استفادت نظرية الملاءمة من النظرية القالبية على مستوى رصد وقائع الحياة الذهنية و تفسير طرق جريان المعالجة الإخبارية.إذ خصص كل أجزاء الكتاب لمناقشة و دراسة هذه القضايا.يتضح عبر فصول الكتاب أن القالبية مفهوم ينبني على أنساق مختلفة:اللواقط و أنساق الدخل والأنساق المركزية...."2"

1.مرحلة اللواقط:transducers كما يسميها فودور و تتحدد وظيفتها في ترجمة الإدراكات المباشرة،مهما كان مصدرها ثم نقلها إلى الدماغ لمعالجتها.

2.مرحلة الأنظمة الدخل:input أو الأنظمة البعيدة عن المركز peripheriques:وظيفتها معالجة المعطيات المستمدة من "اللواقط" سواء كانت معطيات بصرية أو لغوية أو سمعية...قصد تأويل ملفوظ معين.لكن هذا التأويل يبقى غير مكتمل،لأن التعامل مع المعطى اللغوي في هذه المرحلة لا يتعدى المستوى الصوتي و التركيبي و الدلالي.

تتألف أنساق الدخل من كل ما يقع عليه الإدراك البشري من أصوات و أشياء و حركات...من أهم خصائصها:

- **خصيصة المجالية**:تستوجب وجود قيود على طبقات التمثيلات مثل طبقة التمثيلات الصوتية والسمعية و اللغوية...هدف هذه القيود توجيه المعالجة الذهنية وجهة دون أخرى.
- **خصيصة العزل**:يُقصَد بها السمات المميزة للمعلومة.

"1": أسست قواعد غرايس المحادثاتية لنظرية الملاءمة التي بلور أبعادها النظرية الفيلسوف الفرنسي دان سبربر و البريطاني ديارد ولسن،فركزا في نظريتهما على مبدإ الملاءمة المؤسس على الإستلزام الحواري و الإستدلال،و اعتُبِرَتْ هذه النظرية تحولا مهما في اللسانيات و التواصل بشكل عام.من أهم شروط هذه النظرية أن يخضع الخطاب للعوامل السياقية التي أُنْتِجَ فيها.فكلما كانت درجة الخضوع كبيرة كان الملفوظ مناسبا،و كلما تطلب تأويل الملفوظ مجهودا كبيرا من قبل المتلفظ،كان أقل مناسبة من غيره.و قد اعتَبَر سبربر و وليس هذا المبدأ أمرا مهما في كل خطاب واضح.

"2":ختام جواد:التداولية أصولها و اتجاهاتها:جواد ختام: ص:73،الطبعة الأولى،2016،كنوز المعرفة للنشر و التوزيع،عمان،الأردن.

- **خصيصة الإلزامية**:إن المخاطب ليس حرا في الإمتناع عن معالجة المعلومات الواردة إليه،فالعارف باللغة العربية مثلا و لو جزئيا،يُعْمِلُ ذهنه في معالجة ما يتناهى على مسامعه بشكل تلقائي،أما إذا كانت أصوات للغة لا يفهمها فسوف تبقى مجرد أصوات لن يُعِيرَها أدنى اهتمامٍ.
- **خصيصة السرعة**:تنماز عمليات الدخل بسرعتها الفائقة التي تصل إلى مئات ملايين أجزاء الثانية.
- **خصيصة البساطة/السطحية**:المعلومات و المعطيات التي تحملها المدخلات بسيطة و مفيدة،و إلا فالنسق المركزي المسؤول لن يعالجها.
- **مرحلة الأنظمة أو الأنساق المركزية** central systems: يكتمل التأويل مع هذه الأنساق بمقتضى عملية دمج الإخبار الناتج عن اللواقط و الأنظمة الدخل عبر الإخبار المخزون في الذاكرة التصورية لإنتاج استدلالات غير برهانية،و آنذاك تترسخ الفرضيات و تظفر الأقوال بتأويل تام.

لقد استفاد سبربر و ولسن من نظرية المحادثة (الحوارية) لبول غرايس،مفادها أن التواصل اللغوي محكوم بمبدإ عام هو مبدأ التعاون و بمسلمات الحوارية.إن نظرية الملاءمة أعادت النظر في نظرية غرايس و اختزلت محتوياتها و اقتصرت على مبدإ الملاءمة باعتباره أساسا مركزيا يختزل جميع المسلمات المذكورة،كما يعتبره تعميما للتواصل المناسب و الإستدلالي.فهو إذن:

- مناسب على اعتبار أن المتكلم يوظف"**المثير**" الأكثر ملاءمة و مناسبة لإيصال افتراضاته.
- إستدلالي على اعتبار أن المخاطب اعتمادا على المؤشرات المقدَّمة من طرف المتكلم يَسْتَدِلُّ على قصده الإخباري."1"

لنظرية الملاءمة تصور خاص للسياق،فهو ليس شيئا معطى بشكل مسبق قبل عملية الفهم،بل يبنى وفق توالي الأقوال،إذ يتألف من مجموعة من الإفتراضات السياقية التي تستمد من ثلاثة مصادر:

- **تأويل الأقوال السابقة**:لابد من رد آخر الكلام على أوله،لأنه يُعَد جزءً من سياق تأويل الأقوال المستهدفة للمعالجة.
- **المحيط الفيزيائي**:إن الجهاز الإدراكي للمتكلم قد يتمثل خصائص الأمثلة بشكل مباشر أو غير مباشر.
- **ذاكرة النظام المركزي**:تختزن ذاكرة النظام المركزي معلومات و معطيات متنوعة يوظف بعضها في السياق التأويلي.للوصول إلى هذه المعلومات لابد من ما اسماه المؤلِّفان بسند"الصيغة المنطقية" و ذلك في مرحلة الدخل،إذ تختزن مجموعة من المفاهيم و لكل مفهوم عنوان تَصَوُّرِي في الذاكرة المركزية و يُخَزِّنُ ثلاثة أصناف من المعلومات:

"1":صحراوي مسعود:التداولية عند العلماء العرب:دراسة تداولية لظاهرة"الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي:ص:39،38،الطبعة الأولى،2005،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت،لبنان.

1. **المدخل المنطقي**:يضم معلومات عن بعض العلامات المنطقية.
2. **المدخل المعجمي**:يضم معلومات صواتية و تركيبية.
3. **المدخل الموسوعي**:يختزن كل المعلومات التي نكونها حول موضوعات أو أحداث أو خصائص ذات علاقة بمفهوم معين.

إن مصدر الإفتراضات السياقية هو هذه المداخل الثلاثة،و يتم انتقاء الإفتراضات السياقية المناسبة عبر مبدإ الملاءمة الذي يتحدد وفق عنصرين هامين:

- **الآثار المعرفية**:contextual effects ذلك أن الترابط بين معلومتين الأولى قديمة و الثانية جديدة يتنج عنه مجموعة من الحوسبات الذهنية مثل:التعديل أو التحسين أو الإثبات أو الإقصاء لإفتراضات مخزونة في ذاكرتنا التصورية.
- **الجهد المعرفي**:cognitif cost له دور في تقويم درجة ملاءمة الأقوال وفق المبدإ التالي:كلما قلَّ الجهد المعرفي المبذول في معالجة الملفوظ،ازدادت درجة ملاءمة هذا الملفوظ و كلما استدعى التعامل مع ملفوظ ما جهدا كبيرا كانت ملاءمته ضعيفة"1"

تقوم الأنساق المركزية بوظيفة معالجة ما تُقَدِّمُهُ لواقط أنساق الدخل،بناءً على ما يتضمنه الذهن من مخزون معرفي متنوع و متعدد،لتقوم بتحويلها إلى إدراكات و أفكار مجردة ذات بعد إرادي و طبيعة تمثيلية.خلافا لأنساق الدخل يؤكد فودور على أن الأنساق المركزية غير قالبية لأن عملية المعالجة تستدعي الإستعانة بجميع المعلومات المتوافرة بغض النظر عن خصيصة المجالية أو العزل."2"

إن نظرية الملاءمة تؤلف بين البعدين التداولي و المعرفي"3"،يظهر البعد التداولي عبر التنصيص على أن المنطلق لتأويل

"1":صحراوي مسعود:التداولية عند العلماء العرب:دراسة تداولية لظاهرة"الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي:ص:40،الطبعة الأولى،2005،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت،لبنان.

"2":يشبه تصور فودور للذهن الحاسوبَ العام(أنساق مركزية) المتصل بجملة من الحواسيب المختصة(أنساق الدخل) و الموزعة وفق المجالات(القالب اللغوي،القالب الحركي، القالب السمعي...)

"3":تقوم التداوليات المعرفية على شروط الصدق،فلا تقتصر المظاهر الصدقية للأقوال على الدلالة و تتولى التداولية في جميع مهامها إسناد قيمة الصدق لتلك الأقوال.

الملفوظات ذو طابع لساني.أما البعد المعرفي فيظهر في كون الذهن لا يخزن المعلومات بشكل عشوائي،بل إن فهم الملفوظات و تأويلها عبارة عن سيرورة ذهنية،ينجزها المخاطَب لمعرفة مقاصد المتكلم و بناء تمثل للكون أو تعديله.إن عملية التأويل تستوجب نظامين مختلفين الأول ترميزي لغوي و الثاني استدلالي تداولي."1 "و وفق تصور سبربر و ولسن،غاية كل عملية تواصلية تحقيق الملاءمة بين جهود المخاطَب و مقاصد المتكلم،لأن التواصل المناسب يروم مساعدة المخاطب على إدراك مقاصده الإخبارية،علما بأن الغاية التواصلية لا يحكمها مبدأ التعاون و القوانين الحوارية مثلما نجد في تصور غرايس،بل يحكمها مبدأ الملاءمة الذي صاغه الباحثان على الشكل التالي:

- **كل نشاط تواصلي مناسب يكشف عن افتراض الملاءمة المثلى الخاصة به.**

يتبين من هذا المبدإ أن نظرية الملاءمة تقوم على التعالق القوي بين **مقاصد المتكلم و النتائج السياقية** التي يحققها المخاطب،بعد بذله جملة من الجهود.تتمثل هذه الجهود في إضافة معلومات جديدة أو تعزيز معلومة أو حذف معلومات قديمة مخزنة مسبقا تختلف عن المعلومة الجديدة،فهناك تلازم بين الجهود و النتائج السياقية،مما يؤكد أن هذه نظرية تقوم على قاعدة بسيطة أساسها الإنتاجية أو المردودية،إذ لا يمكن تصور نشاط تواصلي فعال و ملائم إذا كانت النتائج التي يحصدها المخاطب أقل مما يبذل من الجهود،كما أن مبدأ الملاءمة ليس معياريا يستوجب على القائل أن يتلفظ بأقوال مناسبة فقط و لكنه مبدأ يوظفه المخاطب بغير وعي لحظة التأويل و كل محتوى قضوي غير ملائم لا يُعِيرُهُ المخاطب أدنى اهتمام.

بهذا البحث المتواصل و المتجدد في المجال التداولي،بدأت التداوليات توظف في مجالات تحليل الخطاب و دراسة اللغة ،فغَدَت بذلك منظومةَ علمٍ معترَفا بها،إنها آلية لتحليل اللغة باعتبارها نظاما تخاطبيا و تواصليا و اجتماعيا."2 "

"1": ختام جواد:التداولية أصولها و اتجاهاتها:جواد ختام: ص.ص:121،122،123،الطبعة الأولى،2016،كنوز المعرفة للنشر و التوزيع،عمان،الأردن.

"2": ختام جواد:نفسه،ص:124.

5.التعريف بابن يعيش و شرحه:

1.5.حياته

2.5.شيوخه

3.5.تلامذته

4.5.ثقافته

5.5.مؤلفاته

6.5.منهجه في شرح المفصل.

1.5.حياته:

هو يعيش بن علي بن يعيش بن محمد بن أبي السرايا محمد بن علي المفضل بن عبد الكريم بن محمد بن يحيى النحوي الحلبي موفق الدين أبو البقاء المعروف ابن يعيش،و كان يعرف بابن الصائغ.ولد في رمضان سنة 553 للهجرة بحلب، و كان من كبار أئمة العربية بارعا في التصريف و النحو ،قدم إلى دمشق و جالس الكندي.من تصانيفه:شرح المفصل و شرح التصريف المملوكي لِابن جني ،توفي ابن يعيش سنة 643 للهجرة."1"

2.5.شيوخه:

إن النظرة إلى شيوخ ابن يعيش تبين لنا أنهم عدا اثنين منهم كانوا من شيوخ الحديث و رُواته،و قد قرأ عليهم و سمِع منهم ،و هذا ما سيقوم دليلا فيما بعد على اتساع ثقافته الحديثية. لم نجد لابن يعيش شيخا كبيرا في النحو و هو لم يقرأ على الكندي و إنما لقيه ناضجا فأخذ منه ثناءً.

تتلمذ ابن يعيش على يد مجموعة من الشيوخ الذين نَصَّ مُترجموه على أنه قرأ عنهم أو سمع منهم أو روى عنهم من هؤلاء:

- أبو الحرم مكي بن زيان بن شبة بن صالح الماكسيني:و هو نحوي ضرير نزيل الموصل ،دخل بغداد وأخذ عن علمائها كابن الأنباري و ابن العصار و ابن الخشاب و ابن الدهان.
- أبو اليمن الكندي زيد بن الحسن تاج الدين: بغدادي المولد و النشأة، دمشقي الدار و الوفاة أخذ الكندي عن شيوخ عصره كابن الشجري و ابن الخشاب و الجواليقي الذي قصده ابن يعيش في دمشق وسمع عنه و انتزع منه ثناءً مكتوبا دليلا على براعته في علوم العربية .
- اِبن البوزي أبو القاسم محمد بن عبد الله بن محمد الكلبي المقرئ الإشبيلي: قَدِم إلى حلب و أقام بها مدة يقرأ القرآن.
- أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الصمد الطرسوسي الحلبي ،عُرِفَ بزهده.
- أبو الحسن أحمد بن محمد."2"

"1":الراجحي شرف الدين علي:منهج ابن يعيش في شرحه على كتاب المفصل في النحو للزمخشري:ص:37،طبعة:2003،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،مصر.

"2": عبد الإله نبهان:منهج ابن يعيش في شرحه على كتاب المفصل للزمخشري :ص: 37-38،مقدمة المحقق لكتاب ابن يعيش.

إن كفاءة ابن يعيش العلمية والمعرفية مكنته من التصدر للإقراء، إذ اتجه إلى دمشق و التقى بالشيخ الكندي الذي أقرَّ له بالعلم،فنال منه الشهادة بتقدمه و مكانته في النحو و كتب له رقعة يشهد فيها بفضلِ ابن يعيش وقدرِه في علم العربية،ثم عاد إلى حلب واثقا بنفسه ليبدأ مرحلة الإقراء و العمل العلمي فأضحى شيخ الجماعة في تلك المدينة و كانت له حلقتان علميتان للتعليم و الإقراء:العصر في جامعها في المقصورة الشمالية و بين الصلاتين بالمدرسة الرواحية.لقد كان ابن يعيش ممتلكا لصفات المعلم الحق إذ كان لطيف الكلام وحسن التفهيم وطويل الروح على المبتدي و المنتهي.

3.5 .تلامذته:

علا ذِكر ابن يعيش بين المتعلمين و الطلاب، فأقبل الناس عليه ينهلون من علمه و اجتمع عدد كبير حوله في حلقات التدريس التي أقامها.قال القفطي :"طال عُمره و شاع ذِكره و غَالَبَ فضلاءَ حلبٍ تلامذتُه و عَظُمَ شأنُه و فاق أقرانَه و انتهى إليه علمُ العربية، قَصَدَهُ الناس من كلِّ البلاد."من أشهر تلامذته:

- **ياقوت الحموي**:جلس إلى حلقة ابن يعيش و لا يذكر اسمه إلا مسبوقا بكلمة(شيخنا) يقول "حدثني شيخنا أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش النحوي".
- **القفطي**:روي عن القفطي أنه كان يستفيد من ابن يعيش عندما كان في جواره و عندما بعدت المسافة بينهما كان يتتبع أقوالَ ابن يعيش و آراءَه عن طريق تلامذته المشتغِلين بالعلم :
- **اِبن عمرون**:أخذ النحو عن ابن يعيش و غيره و برع فيه و تَصَدَّرَ للتدريس و رُوِي عنه أنه شرح المفصل.
- **اِبن مالك** :تَذْكُرُ المصادر أنه أخذ عن ابن يعيش و درس النحو عليه و على تلميذه ابن عمرون.
- **اِبن خلكان**:قرأ النحو على ابن يعيش.قال ابن خلكان :(و لما وصلت حلبَ لأجل اشتغالي بالعلم الشريف ... و كان الشيخ موفق الدين المذكور شيخ الجماعة في الأدب– و لم يكن فيهم مثله –فشرعت في القراءة عليه و ابتدأت بكتاب اللمع لِابن جني).
- **الشريشي النحوي**:جمال الدين أبو بكر الوائلي الأندلسي المعروف بالشريشي المالكي النحوي،سَمِعَ الكثيرَ من ابن يعيش."1"

"1": عبد الإله نبهان:منهج ابن يعيش في شرحه على كتاب المفصل للزمخشري ص،ص:49-52،مقدمة المحقق لكتاب ابن يعيش.

4.5. ثقافة ابن يعيش :

إن ما يهمنا من ثقافة ابن يعيش هو مدى ظهور أثرها في كتبه و تفكيره،و تعد الثقافة الدينية عماد الثقافة آنذاك ،فالقرآن و قراءاته و تفسيره و تأويله و مباحثه العقدية و ما اتصل بها من علم الكلام و النحو و اللغة ...من الأمور التي يتقاسمها علماء العصر،ثم يختلف نصيب كل عالم بمقدار اهتمامه بفرع من فروع العلم و كذلك أمر الحديث النبوي و ما تعلق به رواية و دراية و لغة و علم مصطلح.

إذا ربطنا بين هذه العلوم و بين الشيوخ الذين تتلمذ عليهم ابن يعيش- و هم محدثون و قراء في معظمهم-فإننا نرى أن الرجل قد نال حظا كبيرا من هذه الثقافة الدينية،بل إن نصوص القرآن الكريم اختزنت في ذاكرته، فنراه في شرحه ينتقل من آية إلى أخرى يذكر القراءات محللا منافحا حديث العارف المتمكن.إننا نطل من ثقافته الدينية على ثقافة لغوية غزيرة.أما ثقافته النحوية فحديثنا عنها تحصيل حاصل لأن شرحه أكبر مثل شاخص عليها،حيث أكد القفطي على أن شرح ابن يعيش للمفصل فاق شروح غيره،كما أن قارئ الشرح يلمح ذهنا وقادا و استحضارا عجيبا و يستشعر وضوحا أخاذا،و قد نثر في شرحه كتبَ الفارسي التي خَبِرَهَا درساً و تدريساً و أبان غامضها لطلابه و نثر أيضا كتب ابن جني مثل:سِر صناعة الإعراب و الخصائص.

كان كتاب سيبويه حاضرا في ذهنه في كل لحظة من لحظات شرحه،و قد كان يُدَرِّسُ كتبَ المتقدمين إلى جانب تدريسه كتبَ المتأخرين مع معرفة واسعة بالخلاف و مذاهب النحاة والِاحتجاج لها أو نقضها بالدليل الدامغ و البرهان القاطع.

أما ثقافته المنطقية فقد تألقت في شرحه و صبغته بصبغتها ،و لكن تراجمه لم تذكر لنا أنه قرأ المنطق على أحدٍ، و يمكن أن يكون قد قرأ المنطق بنفسه أو على بعض الشيوخ ممن لم يذكروا في تراجمه. و لكنه كان على كل حال ممتلئا به ،حافظا له متطبعا بطرائقه يحفظ عبارات "الشفاء" لأبي علي بن سينا كما هي و يستخدمها في حدوده.من أشد الدلائل على ثقافته المنطقية بنية تفكير الشارح في حرصه الدائم على مبدأ الهوية و عدم التناقض و الِاطراد و التعليل...صحيح أن أسلوب ابن يعيش كان يخفف من الجفاف الذي تتسم به الأساليب المنطقية و لكنه لا يلغي و لا يخفي البنية الذهنية المنطقية الصارمة التي كان عمادها تراث النحاة .

يعد الجدل النحوي من أبرز المظاهر الكلامية في الشرح،غاية الشارح من ذلك استيعاب الشرح لِاعتراضات المعترضين و أدلة المانعين و المخالفين ثم الرد عليهم و تفنيد آرائهم،و كأنه يتخيل المعترض و يصوغ اعتراضه ثم بعد ذلك يفند دعواه.لأجل ذلك نجده يورد بعد كل قاعدة أو حكم عبارة :فإن قيل،و يلي ذلك جواب أو جوابان و قد تليهما أحيانا عبارة "فإن قيل"،حتى صارت هذه العبارة طابعا عاما في شرحه."1"

"1": نبهان عبد الإله:ابن يعيش النحوي:دراسة:ص:214،الطبعة الأولى،1997،منشورات اتحاد كتاب العرب،دمشق،سوريا.

5.5.مؤلفات ابن يعيش:

اِقتصر ابن يعيش على تأليف كتابين فقط طوال حياته المديدة هما :

- شرح المفصل.
- شرح التصريف الملوكي.

1.5.5.شرح ابن يعيش على المفصل للزمخشري:

قدم الشارح لكتابه بمقدمة لعل أهم ما جاء فيها :

يحمل ابن يعيش هم المخاطَب منذ أن فكر في شرح المفصل،لأن الكتاب يشتمل على لفظ غريب أُشْكِلَ و لفظ له معان كثيرة فهو مجمل، ثم هناك اللفظ الواضح البادي للإفهام إلا أنه خالٍ يفتقر للدليل(مهمل).غاية ابن يعيش إذن من كتابه هو شرح مشكله و توضيح مجمله و اتباع كل حكم منه حججه و علله.و لا يعني ذلك تقصيرا من الزمخشري،معللا ذلك بقوله:"من كان قادرا على بلاغة الإيجاز كان قادرا على بلاغة الإطناب...."[1]

من الموانع التي اعترضت أمر إتمام ابن يعيش لكتابه هذا.

- اِعتراض الشواغل.
- عائق الكبر.
- فساد الزمان.

بعد تحديده دواعي التأليف انتقل لشرح مقدمة الزمخشري لكتابه المفصل.

حتى في شرحه لمقدمة الزمخشري يُراعي المخاطَب يقول(وانتصاب اسم الله هنا بوقوع الحمد عليه،و إنما قُدِّمَ على العامل فيه لضربٍ من **العناية و الاِهتمام** بالمحمود سبحانه و تعالى،و العرب تقدم ما هم ببيانه أعنى،نحو قوله تعالى:(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ).و أصلُ الكلام نعبدُك و نستعينُك.فقدم المفعول لضرب من العناية بالمعبود سبحانه.و لو قال:أحمد الله لجاز،إلا أنه يكون خبرا ساذجا بلا تخصيص و لا دلالة على العناية به)."[2]

اِهتم الشارح بلغات العرب و أشار في مقدمته للشرح إلى تداخل اللغات و كرر هذه الإشارة في شرحه ونسب ما ذكره من اللغات إلى أصحابها غالبا،فهذه لغة هُذَيل و تلك لغة تميم و الثالثة لطيّء و اكتفى في مواضع كثيرة بنسبة اللغة إلى بعض العرب،كما اشتمل كتابه على عدد لا يُسْتَهَانُ به من الأبنية و غريب اللغة و كلما اشتملت الشواهد على مفردات يصعب على المخاطب فهم مدلولها بادر إلى توضيحها و تفسيرها.

"1":ابن يعيش موفق الدين:شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله:الجزء الأول،ص:5،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى،2013،دمشق،سوريا.

"2":ابن يعيش موفق الدين:نفسه،الجزء الأول،ص:8.

عرض ابن يعيش في شرحه لكتاب المفصل للأبواب الرئيسة التي أسس عليها الزمخشري كتابه و هي الأسماء والأفعال و الحروف و المشترك، و لقد أسهب في شرحه لهذه المسائل،كما تم توزيع هذه الأبواب على الشكل التالي:

- الأسماء :الأجزاء الستة الأولى من الكتاب.
- الأفعال : الجزء السابع من الكتاب.
- الحروف :الجزء الثامن و ثلث الجزء التاسع.
- المشترك :بقية الجزء التاسع و الجزء العاشر.

6.5.منهج ابن يعيش:

أَلَّف ابن يعيش كتابه و هو متمتع بصحوة ذهنية وقادة لا تستكين إلا للبرهان و لا تتوانَ عن طلب العلة و السبب و لا تتغافل عن مسألة شائكة، بل تثيرها و تفترضها افتراضا،و هي تمتح من صدرٍ نهل علوم العربية الإسلامية و فروعها و غذته دراسة المنطق في أصوله.لذا لم يكن هاجسه في الشرح الاِقتصار على مجرد توضيح العبارة و شرح الشواهد،بل إن المتن ليس إلا منطلقا ليشمل الشرح النحو العربي بشكل عام ،مستندا في ذلك على الأخذ بمذهب مع احتفاظه لشخصيته بحقها و لرأيه بأصالته،ترجيحا كان أم رفضا. عُنِيَ ابن يعيش بهذا كله بالشرح و التفسير و التحليل و التعليل و استشهد بالقرآن و الحديث و الشعر و كلام العرب و بالنماذج النحوية متكئا على ثقافة غنية تُعِينه على الاِستطراد و الاِستيعاب آخذا بأصول منهجية تأخذ بيده و تهديه ،فتبعده عن التلفيق و اصطناع المذاهب و تَصُونه من الولع بالخلاف وشهوة القول.

اِلتزم ابن يعيش التزاما تاما بالترتيب الذي اعتمده الزمخشري في كتابه :الأسماء و الأفعال فالحروف ثم قسم المشترك.كانت طريقته تسير على نسق واحد في جميع أبواب الكتاب ،إذ يثبت الفقرة المراد شرحها من كتاب المفصل و يصدرها بعبارة "قال صاحب الكتاب" ثم يبدأ الشرح بقول:قال الشارح،و لما كان الزمخشري يبدأ بالحد أو بالتعريف ،فإن الشارح كان يبدأ شرحه بمناقشة تظهر فيها أبعاد ثقافته المنطقية و اللغوية."1":"اِعلم أنهم إذا أرادوا الدلالة على حقيقة شيء و تمييزه من غيره تمييزا ذاتيا حدوه بحد يحصل لهم الغرض المطلوب و هذه طريقة الحدود أن يؤتى بالجنس القريب ثم يقرن به جميع الفصول"."2" و اهتم ابن يعيش بالحد كما اعترض في مواضع من الشرح على بعض الحدود التي قدمها الزمخشري و انتقدها مثلما انتقد حد الاِسم لكنه كثيرا ما كان يتبنى حد الزمخشري و يُؤيده بالحجج و العلل.

"1":نبهان عبد الإله:ابن يعيش النحوي:دراسة:ص:157-158 ،الطبعة الأولى،1997،منشورات اتحاد كتاب العرب،دمشق،سوريا.

"2": ابن يعيش موفق الدين:شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله:الجزء الأول،ص27،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى،2013، دمشق،سوريا.

الحد قد يأتي مفيدا للعموم و إن كان في سياقه مُقيدا،فيشير ابن يعيش إلى ذلك ففي مبحث النداء عَرَّفَ الزمخشري الترخيم بقوله:"و الترخيم حذف آخر الِاسم على سبيل الِاعتباط."فعَقَّبَ ابن يعيش بقوله:"اِعلم أن

الترخيم في كلام العرب على ضربين،ترخيم يكون في باب التحقير و هو حذف زوائد الِاسم إن كانت فيه، نحو قولك في أَسْوَد:سُويد و في أزهر زُهير و في كتاب كُتيب و في حمراء و صحراء:حُميّر و صُحيّر""1".و هذا يوضح فصله من هذا الكتاب، و ترخيم يختص باب النداء و هو ما نحن بصدد فَسْرِهِ و شرحه وهو حذف آخر الِاسم المفرد المعرفة في النداء". فالشارح هنا نحا بالكلام من العموم إلى الخصوص الذي هو مقصود الباب.وأهمل الزمخشري الحد في مواضع مكتفيا بالتمثيل للباب أو بذكر ضروب إعرابه كما فعل في مبحث الِاستثناء:"المستثنى في إعرابه على خمسة أضرب،أحدهما منصوب أبداً و هو على ثلاثة أوجه..."و في هذا الموضع بادر ابن يعيش إلى صياغة حد للِاستثناء،إذ يقول:"هو صرف اللفظ عن عمومه بإخراج المستثنى من أن يتناوله الأول،و حقيقته تخصيص صفة عامة"."2"

عموما تراوح التحليل عند ابن يعيش بين ثلاثة مستويات هي:المستوى النحوي و المستوى الصوتي و المشترك بينهما.فابن يعيش من الناحية النحوية اهتم بدراسة الجملة من ناحية ترابط عناصرها و ترتيب مفرداتها و أنواعها المختلفة،و توضيح إعراب كلماتها لأجل الوصول إلى المعنى المقصود،حيث يبدأ في شرحه بوصف الظواهر اللغوية ثم تحليلها دون فرضها أو رفضها،لأنه لم يأخذ بمنهج النحو التعليمي الذي يعتمد معيار الخطإ و الصواب،و هو في شرحه يستشهد بكثير من الآيات القرآنية والشواهد الشعرية،كما استشهد بالأحاديث والأمثال و الأقوال،فكان يشرح ما يجده صعبا من الألفاظ و ينسُبُ الأبيات التي لم ينسبها الزمخشري و يبين موضع الِاستشهاد فيها ويعرض الآراء المختلفة في المسألة الواحدة ثم يناقشها لهذا جاء شرحه محققا غايته مستوفيا شروطه.

"1":ابن يعيش موفق الدين:شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الثاني،ص:21 ،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى،2013،دمشق،سوريا.

"2": ابن يعيش موفق الدين : نفسه،:الجزء الثاني،ص:75-76.

كما كان ينقل من كتاب المفصل فقرة برمتها،ثم يعود إليها فيتناولها جزءً جزءً في فكرة متحدة،كلمات و تراكيب ومقاطع حسب القاعدة التي يريد بيانها أو إيضاحها،وإذا فرغ منها انتقل إلى غيرها.يستمر على هذا الحال حتى يأتي على آخر الفقرة،و إذا تعرض إلى المسألة المرة بعد المرة فلا يعود إلى شرحها،و إنما يحيل عليها مبينا أنه قد مضى البيان،و قد يتطرق إلى أمور لم ترد لها أية إشارة في نص المفصل من ذلك ما وقع في مبحث"**عطف البيان**"حيث تعرض الزمخشري للفرق بين البدل و عطف البيان،فذكر وجهين من أوجه المقارنة.غير أن ابن يعيش بدأ بأوجه الموافقة أولا فقال:"عطف البيان له شبيه يبدل الشيء من الشيء و هو من حيث أن كل واحد منهما تابع و إن الثاني هو الأول في الحقيقة.فلذلك تعرض للفصل بينهما و جملة الأمر أن عطف البيان يشبه البدل من أربعة أوجه".[1]"فذكر أن أوجه المقارنة أربعة،بينما اكتفى الزمخشري من ذلك بوجهين إيغالا في الإيجاز و تقليص العبارة ما أمكن،و نشير هنا إلى أن إعجاب ابن يعيش بالزمخشري لم يكن مانعا له من الإختلاف في الرأي معه في تحليل بعض الظواهر اللغوية.

عموما يمكن تلخيص أهم ما يتصف به منهج ابن يعيش في ما يلي:

- سعة اطلاعه على مؤلفات السابقين،انعكس على شروحه القيمة التي استوفت كل الظواهر اللغوية.
- شرح ابن يعيش كتاب المفصل بنوع من الصبر و الروية، فكانت الحصيلة هي سهولة المادة اللغوية للإدراك و الإفهام،إذ يحلل المسألة تحليلا دقيقا مستوفيا كل الجوانب.
- عمق نظره و دقة ملاحظته في الكلمة و التركيب ،إذ يستطيع أن يوافق بين المعاني و عرض الأمثلة.
- اِبن يعيش يبدو عبر مؤلَّفه إما موافقا لفريق من العلماء فيما ذهبوا إليه،فيؤيدهم في مذهبهم أو مخالِفا لآخرين يرى آراءهم ضعيفة واهية أو مخالفا للجميع يشُقُّ لنفسه سبيلا وسطا يعتقد أنه أقوى و أثبت.

"1":ابن يعيش موفق الدين :شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الثالث،ص:72،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى،2013،دمشق،سوريا.

الفصل الثاني:

الأسس الإِستعمالية و التداولية في كتاب شرح المفصل لِابن يعيش.

اِهتم اللغويون العرب القدامى ببنية النصوص و الخطابات باعتبارها نشاطا إنسانيا يلقيه الفرد للتفاعل مع محيطه،كما فطنوا إلى أن الكلام له وظيفة و معنى في التواصل الاِجتماعي و في ارتباط وثيقٍ بسياق الحال لا خارجه،و بالتالي يصعب دراسة اللغة بمعزل عن سياق إنتاجها،كما اشترطوا التواصل بها في إطار النصوص لا المفردات و الجمل،مع مراعاة مقاصد المتكلمين و أحوال المتخاطبين و ملابسات الخطاب و دلالاته و أغراضه.فلم يكن نحوهم صوريا خالصا ينظر للغة على أنها مجرد قواعد جافة،بل كان لهم إحساس دقيق نحو اللغة و قوتها التداولية و الاِستعمالية،إذ لا قيمة للعلامة النحوية و لا قيمة للكلمات المنتقاة في ذاتها ما لم يكن ذلك في سياق ملائم،لأن الكلام مجرد عن مقامه تصير محامله كثيرة و لا يمكن تحديد أحدها دون تحديد المقام الذي أُنْتِجَ فيه.إن الخطاب النحوي العربي القديم يتجاوز مستوى الدلالة الوضعية المباشرة إلى مستوى الكشف عن قصدية المتكلم و ذلك بربط الجملة بالسياق التداولي الذي أنجزت فيه.كما أن اللسانيات التداولية ليست علما لغويا محضا يقتصر على رصد البنى اللغوية و تفسيرها،بل هو علم جديد في التواصل الإنساني،ينصب اهتمامه على دراسة الخطابات في سياق استعمالها،و إن تحليل الفعل اللغوي يتجاوز الوقوف على المكونات اللغوية إلى عناصر أخرى غير لغوية،و يتعلق الأمر بمعطيات السياق التداولي و قواعد الاِستعمال.إن التوسل بالمنهج التداولي في قراءة التراث اللغوي العربي القديم سيمثل لا محالة نافذة جديدة لإدراك الخصائص الاِبستملوجية و المنهجية له،إنه أداة فعّالة لقراءَته و فهمه خاصة بعدما أثبت هذا المنهج كفايته المنهجية و الإجرائية.

سنحاول في هذا الفصل تلمس الأبعاد التداولية في كتاب شرح المفصل لاِبن يعيش،بغية الوقوف على حقيقة الممارسة الإنجازية لأدوات الأجرأة التواصلية في الدرس النحوي القديم عامة و كتب الشروح النحوية بصفة خاصة، التي لا تقف عند سرد القاعدة النحوية فقط،بل تتعداها إلى دراسة الخطاب في سياق استعماله مع الوقوف على طبيعة التوظيفات المتنوعة للآليات التداولية المراعية لأحوال التخاطب و حيثيات المقام و لمكانيزمات لسانية أخرى،كما نروم الوقوف على حقيقة التطور العلمي في الميدان اللساني بمكونيه اللغوي و البلاغي في الدرس النحوي العربي القديم.لتحقيق هذه الأهداف سوف نعتمد المستويات المتدرجة التي قدمها هانسن سنة 1974.إذ يُعتبر أول من حاول التوليف النسقي بين مختلف مستويات التداولية،توليفا يُوحِي باغتناء السياق و تعقُّده من درجة إلى أخرى.(ندين لهانسون بما أسهم به من نظام و برنامج تطوير للتداولية،فهو أول من حاول التوحيد النسقي و الربط بين مختلف الأجزاء المتقدمة إلى حد

الآن بطريقة مستقلة نسبيا،و ذلك لتمييزه لثلاث درجات، إن اختيار اصطلاح الدرجات بدل الأجزاء،يدل على فكرة العبور المتنامي من مخطط إلى آخر.و سنرى أن العلاقة بكل درجة تقوم على اعتبار مظهر من مظاهر السياق. و يمكننا القول باغتناء السياق من درجة إلى درجة ،و تعقده.)"1" إن للسياق أثرا بالغا في تحقيق النمط التداولي للغة،حيث غدا العامل المشترك بين مختلف النظريات التداولية المؤلفة للسانيات التداولية،غير أن نظرية تدخل السياق في كل نظرية هو الذي يحدد مميزات و خصائص كل منها،كما أصبح هذا التصور هو الخطوة الأولى في تنظيم و هيكلة النظريات التداولية.

لقد وحد هانسن بين مختلف أجزاء التداولية في درجات ثلاث تحدد فكرة المرور من مستوى إلى آخر،هذه الدرجات هي:

1. تداولية الدرجة الأولى.
2. تداولية الدرجة الثانية.
3. تداولية الدرجة الثالثة.

"1":أرمينكو فرنسواز:المقاربة التداولية:ترجمة علوش سعيد:ص:38 ،مكتبة الأسد،مركز الإنماء القومي،بيروت،لبنان.

1. تداولية الدرجة الأولى:

تهتم بدراسة الرموز الإشارية و التعابير المبهَمة ضمن ظروف استعمالها و سياق تلفظها،و هي الرموز التي تمثل الموجودات أو محددات الموجودات سياق هذه الدرجة.يتعلق الأمر في هذه الدرجة بالعلامات الإشارية التي تحضر في الأقوال و لا تتبين إحالاتها إلا عبر السياق الذي تستعمل فيه ،كما تتضح أكثر في إطار العلاقة بين طرفي الخطاب–المتكلم و المخاطب– و الزمان و المكان،فهذه الرموز الإشارية تختلف إحالتها باختلاف ظروف استعمالها،و بذلك يمكن القول إن البدايات الأولى للسانيات التداولية ارتبطت بمبحث الإشاريات"1"،إذ أشار شارل موريس إلى أن البعد الثالث في دراسة السيميوز هو بحث في العلاقة بين العلامات و مؤوليها،و في تلك الأثناء اتضح له أن مجال التداولية لا يخرج عن نطاق العناية بضمائر المتكلم و المخاطب و ظروف الزمان و المكان و جميع التعابير التي تستمد مرجعيتها من سياق التواصل.للمبهمات أو الإشاريات دور هام في تكوين بنية الخطاب من خلال القيام بدورها النحوي و وظيفتها الدلالية،إذ توجد في كل اللغات كلمات تعتمد بشكل كبير على السياق الذي توظف فيه ،و لا يمكن إنتاجها أو تفسيرها بعيدا عنه.إنها قائمة في المعجم الذهني دون ارتباطها بمدلول ثابت،و لا يتحدد مدلولها إلا عبر التلفظ بالخطاب في سياقه التداولي، نظرا لكونها خالية من أي معنى في ذاتها و رغم ارتباطها بمرجع إلا أنه مرجع متغير ،لأجل ذلك يجب أن يكون التلفظ بها في سياق يحضر فيه أطراف الخطاب حضورا عينيا أو حضورا ذهنيا لإدراك مرجعها. لذلك فالإشاريات مثل أسماء الإشارة و الضمائر من العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق معين.يرى **لفنسون** أن التعبيرات الإشارية تذكير دائم للباحثين اللغويين بأن اللغات الطبيعية وضعت أساسا للتواصل المباشر بين الناس وجها لوجه،و تبرز قيمتها عندما يغيب عنَّا ما تُشير إليه،فيسود الغموض و يستغلق الفهم."2 "

لا يقف دور الإشاريات في السياق التداولي عند الإشاريات الظاهرة،بل يتجاوزها إلى الإشاريات ذات الحضور الأقوى و هي الإشاريات المستقرة في بنية الخطاب العميقة عند التلفظ به،و هذا ما يعطيها دورها التداولي في استراتيجية الخطاب،لأن التلفظ يحدث من ذات بسمات معينة و في مكان و زمان معينين:هما مكان التلفظ و لحظته،

"1":يجب التمييز هنا بين الإشارة و الإحالة:

- الإشارة:هي علاقة بين اللفظ و ما يشير إليه في السياق الذي ورد فيه.

-الإحالة:هي علاقة بين اللفظ بالمفهوم العام الذي يحيل عليه في ذهن المخاطب بغض النظر عن المقام او السياق الخاص الذي ورد فيه.

"2":محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:ص.ص:15-16 ،طبعة 2002، دار المعرفة الجامعية، مصر.

إذ تجتمع في الخطاب الواحد على الأقل ثلاث إشاريات هي:الأنا،الهنا،الآن.و لذلك تكون الإشاريات هي تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم مع التفريق الأساس بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه."1 "

لا يمكن إذن أن تتم عملية التلفظ بالخطاب دون حضور هذه الأدوات الإشارية الثلاث:و هي(الأنا و الهنا و الآن) و يمثل كل منها نوعا من الإشاريات،و هي:الإشاريات الشخصية و الزمانية و المكانية،و لأنها موجودة في كفاءة المرسل اللغوية، فإن المرسل لا ينطقها في كل حين.عموما المشيرات هي تلك الإحالات على المراجع التي يريد المتكلم تبليغها إلى المخاطب بقرينة أحوال التخاطب المقامية و السياقية،و يُراد بالسياق في هذا المستوى من التداولية:"الموجودات أو محددات الموجودات و من تم فالسياق الوجودي الإحالي هو:المخاطبون و محددات الفضاء و الزمن"2"و يعد جون كلود ميلنر أول لساني اقترح نظرية لسانية في الإحالة الإشارية،إذ استطاع عبرها تعيين حدود التحليل اللساني في إسناد المراجع،و تفسير ما تعرفه من نقص التعابير الإحالية،حيث يميز بين الإحالة الحاصلة لتعيين مرجع العبارة و بين الإحالة المحتملة لتعيين دلالته المعجمية."3 "

من المشيرات الإحالية التي سوف تكون محط دراسة و تحليل في شرح المفصل لِابن يعيش:

1.1.أسماء الإشارة .

2.1.ظروف الزمان و المكان.

3.1.الضمائر الشخصية.

"1": الشهري عبد الهادي بن ظافر:استراتيجيات الخطاب:مقاربة لغوية تداولية.ص:81.الطبعة الأولى ،2004 ،دار الكتب الوطنية بنغازي، ليبيا.

"2":أرمينكو فرنسواز:المقاربة التداولية:ترجمة علوش سعيد:ص:38 ،مكتبة الأسد،مركز الإنماء القومي،بيروت،لبنان.

"3":موشلار جاك و آن روبول :القاموس الموسوعي للتداولية:ترجمة عز الدين المجدوب،ص:374،المركز الوطني للترجمة،دار سينتارا،تونس.

1.1.أسماء الإشارة:

يقول ابن يعيش:"اِعلم أن هذا الضرب من الأسماء هو الباب الثاني من المبنيات،و هي الأسماء التي يشار بها إلى المسمى،و فيها من أجل ذلك معنى الفعل،و لذلك كانت عاملة في الأحوال...و إنما كانت مبنية لتضمنها معنى حرف الإشارة،و ذلك أن **الإشارة معنى،و الموضوع لإفادة المعاني إنما هي الحروف**،فلما استفيد من هذه الأسماء الإشارة عُلِمَ أن للإشارة حرفا تضمنه هذا الاِسم،و إن لم ينطق به،فبني كما بني من و كم و نحوهما."[1] لم يكتف ابن يعيش في شرحه للمفصل بمجرد الوصف و الاِستقراء للظواهر اللغوية،بل كان يحاول في غير ما مرة استكناه البعد الاِستعمالي و التداولي لهذه الظواهر.في حديثه عن أسماء الإشارة نجده يتجاوز مسألة الخوض في قضية بناء و إعراب اسم الإشارة إلى مستوى الغوص في وظيفة ذلك الاِسم و دواعي استعماله، مما ينبئ عن حس تداولي إجرائي سابق لأوانه،تحقق ذلك عبر توظيفه لآليات تداولية إجرائية مستحضرا طرفا الخطاب و علاقتهما بالمشار إليه. يقول ابن يعيش:"و يقال لهذه الأسماء مبهمات لأنك تشير بها إلى كل ما بحضرتك،و قد يكون بحضرتك أشياء فتلبس على المخاطب فلم يدر إلى أيها تشير فكانت مبهمة لذلك،و لذلك لزمها البيان بالصفة عند الإلباس،و معنى الإشارة الإيماء إلى الحاضر بجارحة أو ما يقوم مقام الجارحة."[2]إذا كانت كتب النحو العربي القديم قد أدرجت أسماء الإشارة في خانة المعارف السبعة التي تدل جميعها على شيء معين،فإن ابن يعيش استطاع بفضل حسه التداولي أن يقدم تمييزا استعماليا بين اسم الإشارة و باقي المعارف،هذا التمييز قائم على الآلة المحددة للمرجع كما هو في العالم الخارجي.يقول ابن يعيش:"فتعريف الإشارة أن تخصص للمخاطب شخصا يعرفه **بحاسة البصر** و سائر المعارف هو أن تخصص شخصا يعرفه المخاطب **بقلبه**،فلذلك يقول النحويون:إن أسماء الإشارة تتعرف بشيئين بالعين و القلب."[3]

إذا كان المفهوم التخاطبي من منظور اللسانيات التداولية يفترض أن تكون إسهامات المتخاطبين متماسكة و مترابطة فيما بينها و خاضعة لمبدإ التعاون الذي يستوجب رغبة كل من المتكلم و المخاطب في تحقيق تخاطب ناجح،فإن هذا التصور نجده حاضرا و بقوة لدى ابن يعيش الذي ينظر لصناعة النحو وفق الأسس التداولية التي

"1":ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله:الجزء الثالث،ص:226، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2":ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله:الجزء الثالث،ص:227.

"3":ابن يعيش:نفسه:227.

تُعنى بالمتكلم و المخاطَب على حد سواء،فلولا المخاطب لما احتيج للتعبير عما يختلج في نفس المتكلم، و مراعاة للمخاطب و اعترافا بقيمته في العملية التخاطبية،نجده يقدم تبريرا حجاجيا مقنعا لِاختلاف حركات الكاف في"ذلك" باختلاف أحوال المخاطب من حيث تذكيره و تأنيثه.يقول:"فالمراد أنه تختلف حركات هذه الكاف ليكون ذلك أمارةً على اختلاف أحوال المخاطَب من التذكير و التأنيث،و تلحقه علامات تدل على عدد المخاطَبين، و يوضح لك ذلك نعت اسم الإشارة و نداء المخاطَب،فإذا سألت رجلاً عن رجلٍ قلت:كيف ذلكَ الرجلُ يا رجلُ بفتح الكاف لأنك تُخَاطِبُ مذكَّراً،قال الله تعالى:(**ذلكَ** لِيَعلمَ أنِّي لمْ أَخُنْهُ بِالغَيْبِ)و إذا سألت امرأة عن رجُل قلتَ:كيف **ذلكِ** الرجلُ يا امرأةُ؟كسرتَ الكاف حين خاطبت مؤنثا،قال الله تعالى:(**كذلكِ** قالَ ربُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ) و إذا سألت رجلَين عن رجُل قلت:كيف **ذلكما** الرجُلُ يا رجُلان؟ألحقت الكاف علامة التثنية حيث خاطبتَ رجُلَين ،قال الله تعالى:(**ذَلِكُمَا** مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي)فإن سألت رجلا عن رجلين قلت:كيف **ذانك** الرجلان يا رجلُ؟ثنَّيْتَ"ذ" حيث كنتَ تسألُ عن رجُلين، و فتحت الكاف حيث كنت تُخاطبُ واحدا،و إذا سألت رجالا عن رجال قلتَ:كيف **أولئكَم** الرجالُ يا رجالُ؟جمعتَ اسم الإشارة لأن المسؤول عن عنه جمعٌ،و ألحقت الكافَ علامةَ الجمعِ إذ كنتَ تُخاطِبُ جماعةً،قال الله تعالى:(**ذَلِكُمُ** اللهُ ربُّكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ)،فإن سألتَ رجُلاً عن جماعة مذكَّرين قلت:كيف **أولئكَ** الرجالُ يا رجُلُ؟فإن سألت نساءً عن نساء قلت:كيف **أُولئكنَّ** النساء يا نساءُ؟قال الله تعالى:(**فذَلِكُنَّ** الذِي لُمْتُنَّنِي فيهِ)،أَلحقَ علامة جمع المؤنث حيث كان الخطاب للنسوة... و على هذا فقِسْ ما يأتيك من هذا،**هذه هي اللغة الفاشية التي يقتضيها القياس و عليها معظم الإستعمال.**"[1]"كما تناول ابن يعيش اسم الإشارة من حيث القربُ و البعدُ من المرجع الخارجي و في ذلك يقول:(قولهم ذلك الإسم فيه ذا، و الكاف للخطاب ،و زيدت اللام لتدل على بُعْدِ المشار إليه،و كسرت لِالتقاء الساكنين، و لم تُفتحْ لئلا تُلْبسَ بلام المِلْكِ لو قلتَ:ذَا لَكَ،فذا إشارة إلى القريب بتجردها من قرينة تدلُّ على البعد،فكانت على بابها من إفادة قُرْب إليه لأن حقيقة الإشارة الإيماء إلى حاضر،فإذا أرادوا الإشارة إلى مُتنحٍّ متباعدٍ زادوا كاف الخطاب و جعلوه علامة لتباعد المشار إليه،فقالوا ذاك،فإن زاد بُعْدُ المشار إليه أَتَوا باللام مع الكاف فقالوا:ذلك،و اسْتُفِيدَ باجتماعهما زيادةٌ في التباعد لأن قوة اللفظ مشعرة بقوة المعنى"[2]

"1":ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الثالث،ص:242 -243، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2":"ابن يعيش موفق الدين :نفسه،الجزء الثالث،ص:244.

2.1.الإشاريات الزمانية و المكانية:

الإشاريات الزمانية هي كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التكلم،لأن زمان التكلم هو مركز الإشارة الزماني في الكلام،فإذا لم يعرف السامع زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية،التبس عليه الأمر،فقولك مثلا:**بعد أسبوع**:يختلف مرجعها إذا قلتها اليوم أو قلتها بعد شهر أو بعد سنة.ما يحدد المقصود من هذا القول هو زمان التكلم و سياقه،و أيضا عبارات من قبيل:أمس و غدا و الآن و منذ و شهر و يوم...و تجدر الإشارة إلى أن الإحالة إلى الزمان قد تستغرق المدة الزمانية كلها.مثال:**يوم الخميس**.و قد تستغرق مدة محددة من الزمان.مثال:**قطفتِ البنت وردة يوم الخميس**.هذا الحدث لا يستغرق يوم الخميس كله، بل يحدث في جزء منه.هناك أيضا بعض الإستعمالات اللغوية التي تخرج عن نطاق الإشارة الزمانية مثل قولنا :صباحُ الخير.فهي لا تقال إلا في الصباح و تقع المفارقة إذا قيلت في المساء."1 "

إن لحظة التلفظ هي المرجع و لهذا يجب أن نربط الزمن بالفعل ربطا قويا في مرحلة أولى و نربط كذلك بين الزمن و الفاعل لأهميته الكبرى في مرحلة ثانية،و من أجل تحديد مرجع الأدوات الإشارية الزمانية و تأويل الخطاب تأويلا صحيحا يجب على المخاطب أن يعي لحظة التلفظ فيتخذها مرجعا يحيل عليه و يؤول مكونات التلفظ اللغوية بناء على معرفتها،فالمتكلم يلجأ في خطابه إلى توظيف الإشاريات الزمانية في سياق الإنتاج و من أشهر الخطابات التي تستعمل فيها خطاب الإعلانات التجارية.مثال:

- اِنتهزوا فرصة التخفيضات **الآن**.

إن مرجع الأداة الإشارية الزمانية(الآن) هو لحظة التلفظ بها،مع أنه يصعب تحديد هذه اللحظة تحديدا دقيقا،فقد تمتد لبضعِ سنواتٍ و قد تقتصر دلالتها على لحظة التلفظ فقط،لذلك فمنتج الإعلان التجاري يستثمر تداولية هذه الإشارة في خطابه الإعلاني عبر"نقل المركز الإشاري إلى الإطار الزماني المكاني الذي يطلع فيه السامع أو القارئ على النص".."2"

"1": محمود أحمد نخلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:ص: 21،طبعة 2002، دار المعرفة الجامعية، مصر.

"2":الشهري عبد الهادي بن ظافر:استراتيجيات الخطاب:مقاربة لغوية تداولية.ص:83،الطبعة الأولى ،2004 ،دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا.

الإشاريات الزمانية هي كل صيغة لفظية تشير إلى زمن محدد يُعَيِّنُهُ السياق التداولي،بناء على زمن التلفظ بالخطاب الذي يمثل مركز الإشارة الزمانية،حيث إن افتقار الخطاب لمؤشرات زمانية محددة تجعله قولا يعتوره الغموض و الإلباس فيستغلق الفهم.من أمثلة هذه الصيغ الإشارية الدالة على الزمان:أمس و الآن و غدا.هذه الصيغ الإشارية لا يتحدد معناه بغير الإشارة إلى زمن محدد بناء زمن التكلم أو مركز الإشارة الزمانية،و لكي يكون الكلام مفيدا لابد أن يدرك المخاطب زمن التكلم و يجعله مرجعا يحيل عليه.هذا التصور الإجرائي للإشاريات الزمانية نجده حاضرا لدى ابن يعيش في حديثه عن الظرف الِاستفهامي "متى"،إذ حاول تقديم مفهوم لهذا المحدد الزمني لحظة الِاستعمال و التداول متوسلا في ذلك بآليات محاذثية و استعمالية.يقول ابن يعيش:"و أما (**متى**) فسؤال عن زمان مبهم يتضمن جميع الأزمنة، فإذا قيل:متى الخروج؟فتقول:اليوم أو الساعة أو غدا.و المراد بها الِاختصارُ، و ذلك أنك لو سألت إنسانا عن زمن خروجه لكان القياس:اليومَ تخرجُ أم غداً أم الساعةَ، و الأزمنة أكثر من أن يحاط بها، فإذا قلت:متى؟أغنى عن ذكر ذلك كله." "1" الإشاريات الزمانية إذن تؤطر عملية التخاطب في حيزها الزمني كما تعبر عن تفاعل بين كل من المتكلم و المخاطب في بوثقة الزمن النصي و التلفظي و التخاطبي،مثلما تعبر أيضا عن تعاون مثمر بين المتكلم و المخاطب في موقف تواصلي محدد.هذا التصور الِاستعمالي للظروف نجده لدى ابن يعيش أيضا في حديثه عن الظرف الِاستفهامي للمكان "أين".يقول:"و أما أين فظرف من ظروف الأمكنة و هو مبني لتضمنه همزة الِاستفهام و الغرض به أيضا الإيجاز و الِاختصار و ذلك أن سائلا لو سأل عن مستقر زيد،فقال:أفي الدار زيد؟أفي المسجد زيد؟و لم يكن واحد منهما فيجيب المسؤول بِلا،و يكون صادقا و ليس عليه أن يجيب عن مكانه الذي هو فيه لأنه لم يسأل إلا عن هذين المكانين فقط،و الأمكنة غير منحصرة، فلو ذهب يعدد مكانا مكانا لقصر عن استيعابها، و طال الأمر عليه، فجاءوا ب(أين) مشتملا جميع الأمكنة و ضمنوه معنى الِاستفهام، فاقتضى الجواب من أول مرة.و وجب أن تبنى على السكون لوقوعها موقع همزة الاستفهام،إلا أنه التقى في آخره ساكنان، فحركت النون لاجتماعهما،و فتحت طلبا للخفة و استثقالا للكسرة بعد الياء،فآثروا تخفيفها لكثرة دورها و سعة استعمالها.)"2"

"1": ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الرابع ص:166،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2": ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الرابع ص:166،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

عموما اللغة العربية مثلها مثل باقي اللغات الطبيعية،تضم كلمات تعتمد اعتمادا كليا على السياق المادي الذي توظف فيه مثلما تعتمد على معرفة المرجع الذي تحيل عليه،مثلما تدل هذه العناصر الإشارية على الزمان الكوني من فصول و سنوات و أشهر و أيام و ساعات... تدل أيضا على الزمن النحوي و قد يتطابقان في سياق الكلام و قد يختلفان .

أما **الإشاريات المكانية** ف:"هي عناصر إشارية إلى أماكن يَعتمِد استعمالها و تفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع،و يكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قربا أو بعدا أو جهة.و يستحيل على الناطقين باللغة أن يستعملوا أو يفسروا كلمات مثل هذا و ذاك و هنا و هناك و نحوها إلا إذا وقفوا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه".[1]"لا ينفصل المتكلم عن المكان لحظة تلفظه بالخطاب،و هذا ما يمنح الإشاريات المكانية سلطة إسهامها في الخطاب،إنها تختص بتحديد المواقع انطلاقا من نقاط مرجعية في الحدث الكلامي و تظهر قيمة التحديد المكاني انطلاقا من الحقيقة القائلة أن هناك طريقتان رئيستان للإشارة إلى الأشياء: التسمية أو الوصف من جهة و إما تحديد أماكنها من جهة أخرى."[2]

أكثر الإشاريات المكانية استعمالا هي كلمات الإشارة نحو هذا و ذاك للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانية و هو المتكلم و كذلك هنا و هناك و فوق و تحت و أمام و خلف...فهي عناصر توظف للإشارة إلى مكان لا يتبين إلا بمعرفة موقع المتكلم و اتجاهه.إن تعيين المرجع المكاني قائم على تداولية الخطاب مما يؤكد أهمية توظيفه لمعرفة مواقع الأشياء،و ذلك كما في خطاب من يصف موقع المسجد لغريبٍ لا يَعرِفُ طريقَه:

- **يقع المسجد على بعد كيلومتر.**

فلا يستطيع أن يحدد موقع المسجد بالضبط عبر معرفة المسافة وحدها،لأنه هذا المقدار من المسافة يمتد على جميع الإتجاهات،و عليه فإن معرفة المواقع في الخطاب تستلزم و تقتضي عنصرين هامين هما:معرفة مكان التلفظ و اتجاه

"1": محمود أحمد نخلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:ص: 21،طبعة 2002، دار المعرفة الجامعية، مصر.

"2": الشهري عبد الهادي بن ظافر:استراتيجيات الخطاب:مقاربة لغوية تداولية.ص:84 ،الطبعة الأولى ،2004 ،دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا.

المتكلم،لأن توظيف الإشاريات المكانية بشكل غير دقيق عند التلفظ يؤدي إلى اللبس،و تجنبا لذلك اللبس يفترض المتكلم موقع المرجع و موقع المخاطَب و لا يقتصر المرسِل في تعيين مرجع الإشاريات المكانية على تعريفها بناءً على موقع المخاطَب و اتجاهه فحسب،بل بناء على الأشياء الأخرى التي يوظف دوالها اللغوية في خطابه."1"

إن الإشاريات المكانية تشير إلى أماكن محددة و يتعين عليها تحديد الإطار المكاني الذي يشكل المسرح الفعلي لعملية التخاطب بحضور طرفي الخطاب من متكلم و مخاطب.من هذه الصيغ نجد أسماء الإشارة و ظروف المكان الدالة على القرب أو البعد من مكان التكلم أو مركز الإشارة المكانية بالنظر إلى خطاب المتكلم.إن الكلمات من قبيل **هذا** أو **هنا** أو **يمينا** أو **شمالا**،هي كلمات مبهمة لا يمكن تحديد معناها من غير تحديد موقع المتكلم زمن التلفظ بالخطاب و بتعبير آخر من غير تحديد المركز الإشاري للمكان،و عليه يمكن القول إن الإشاريات المكانية تتحدد وظيفتها الإستعمالية و التداولية في تحديد المواقع بالإنتساب إلى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي،و بالرجوع إلى شرح المفصل نجد ابن يعيش يسمي ظروف المكان و الزمان بالغايات،و الغاية نهاية الشيء.و تعتبر الظروف غايات لأنها حين أضيفت كانت غايتها آخر المضاف إليه.إن الخطاب لحظة التلفظ ينتهي مكانه عند حد معين مثلما ينتهي زمنه عند حد معين لأجل ذلك نجده ينسب حدود الزمان و المكان إلى تمام الكلام و تمام الكلام نهايته.يقول ابن يعيش:"**إنما قيل لهذا الضرب من الظروف غايات،لأن غاية كل شيء ما ينتهي به ذلك الشيء**،و هذه الظروف إذا أضيفت كانت غايتها آخر المضاف إليه،لأن به يتم الكلام و هو نهايته،فإذا قُطعت عن الإضافة و أريد معنى الإضافة صارت هي غايات ذلك الكلام،**فلذلك من المعنى قيل لها غايات**..."2" إن التعبير الإشاري مفهوم تداولي جامع لكل العناصر اللغوية و لتحديد المقصود منها لابد من استحضار السياق الزماني و المكاني الذي تمخضت عنه، إذ لا يتحدد معناها إلا في خضم سياق تداولي استعمالي محدد،و إن عزل الإشارة المكانية أو الزمانية عن سياقها التداولي يولد الغموض و الإبهام في الخطاب، و تماشيا مع هذا الطرح التداولي يؤكد ابن يعيش على مسألة

"1": الشهري عبد الهادي بن ظافر:استراتيجيات الخطاب:مقاربة لغوية تداولية.ص:84 ،الطبعة الأولى ،2004 ،دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا.

"2": ابن يعيش موفق الدين:شرح المفصل:تحقيق،إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الرابع،ص:135 ،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

افتقار هذه الظروف لمعنى في ذاتها فلا يتحدد معناها إلا بإضافتها إلى غيرها يقول:"أما بناؤها فلأن هذه الظروف حقها أن تكون مضافة لأنها من الأسماء الإضافية التي لا يتحقق معناها إلا بالإضافة،ألا ترى أن قَبْلا إنما هو بالإضافة إلى شيء بعده،و بعد إنما هو بالإضافة إلى ما قبله،فلذلك كان حقها الإضافة،نحوُ جئتُ قبلَ يومِ الجمعةِ و بعدَ يومِ خروجِكَ،فلما حُذِفَ ما أضيفت إليه مع إرادته و اكتُفِيَ بمعرفة المخاطب عن ذكره،و فُهِمَ منها بعدَ الحذف ما كان مفهوما منها قبلَ الحذف صارت بمنزلة بعض الاسم،لأن المضاف و المضاف إليه كالشيء الواحد."[1]

"1":ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،،الجزء الرابع،ص:135 دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

3.1.الضمائر الشخصية:

من أوضح العناصر الإشارية الدالة على شخص– person هي ضمائر الحاضر،و يراد بها الضمائر الشخصية التي تدل على المتكلم المفرد:"أنا"أو المتكلم الجمع:"نحن"،و الضمائر التي تدل على المخاطب مفردا أو مثنى أو جمعا.تكون ضمائر الحاضر دائما عناصر إشارية،نظرا لكون مرجعها يعتمد بشكل كُلِّي على السياق الذي تُوظَّف فيه.للضمائر أنا و أنت و نحوهما دلالة في ذاتها على المتكلم أو المخاطب،غير أن السياق يعد ضروريا لمعرفة مَنِ المتكلم أو المخاطب الذي تحيل عليه هذه الضمائر.أما ضمير الغائب فيندرج ضمن الإشاريات إذا كان حرا أي لا يُعرف مرجعه من السياق، أما إذا عُرِف مرجعه من السياق اللغوي خرج من الإشاريات،كما لا يندرج ضمن الإشاريات الضمير غير الشخصي في مثل:It rains في الأنجليزية،لأنه ليس ضميرا حقيقيا يشير إلى بعض الموجودات:true pronoun إنه مورفيم نحوي يشغل موقعا تقتضيه قواعد التركيب في اللغة الأنجليزية."1 "

إن الإشاريات الشخصية بشكل عام هي الإشاريات الدالة على المتكلم أو المخاطب أو الغائب و تتغير الذات المتلفظة بتغير السياق الذي تتلفظ فيه،هذه الذات هي محور التلفظ في الخطاب تداوليا، لأن الأنا قد تحيل على المتلفظ و ممارسة التلفظ هي التي تدل على المرسل في بنية الخطاب العميقة مما يجعل حضور (الأنا) يَرِدُ في كل خطاب،لهذا فالمتكلم لا يُضَمِّنُهَا خطابه في كل لحظة لأنه يُعَوِّل على وجودها بالقوة في كفاءة المخاطب ،و هذا ما يساعده على استحضارها لتأويل الخطاب تأويلا مناسبا.يقول ابن يعيش: "فأَعْرَفُ المضمرات المتكلم لأنه لا يوهمك غيره ثم المخاطَب والمخاطَب تِلْوَ المتكلم في الحضور و المشاهدة"2"تكون الجمل ملتبسة إذا كانت تحتوي على عبارة من العبارات التي سماها بار هليل1954 "بالقرائن الإشارية"و هو متأثر في ذلك ببيرس،فكلمة "أنا" لا تُعَيِّنُ شخصا بعينه،لكنها تُعَيِّنُ في كل مرة الشخص الذي حققها،إذ هناك علاقة واقعية بين تحقيقات"أنا"و بين ما يمثله هذا التحقيق.فكلمة"أنا"ليست رمزا بل قرينة،بيد أن الأمر ليس كذلك إذ أن كلمة"أنا" وفق تصور بيرس تشترك مع القرائن الأخرى في خاصية كون كل تحقيق من تحقيقاتها يرتبط إِنْ سببا أو واقعيا بما يمثله،كما أنها تشارك الرموز في خاصية كونها علامة عُرفية،فالعرف هو الذي يجعل كل تحقيقات كلمة "أنا" تمثل الذي يتلفظ بها كما أنه ليس من العرف أن

"1":محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:ص:17-18 ،طبعة 2002، دار المعرفة الجامعية، مصر.

"2":أرمينكو فرنسواز:المقاربة التداولية:ترجمة علوش سعيد:ص:38 ،مكتبة الأسد،مركز الإنماء القومي،بيروت،لبنان.

يكون البكاء دليلا على التألم،و بكل بساطة فإن العلاقة العرفية للترميز غير مباشرة بين الكلمة المثال و ما تمثله في قائمة بين الكلمة المثال و ما يربط كل تحقيق من تحقيقاتها بالشيء الذي تمثله بواسطة هذا التحقيق دون أن تكون قرينة إشارية صرفة أو رمزا إشاريا."1"كما يندرج النداء في الإشاريات الشخصية،باعتباره ضميمة اسمية تشير إلى مخاطَب لتنبيهه أو توجيهه أو استدعائِه، و هي ليست مدمجة فيما يليها من كلام،بل تنفصل عنه بتنغيمٍ يُميزها و لا يُفهَم النداء إلا إذا تَبَيَّنَ المرجعُ الذي يُشير إليه.هذا الإدماج للنداء ضمن الإشاريات الشخصية يدافع عنه ابن يعيش بالحجج الدامغة مفترضا مخاطبا يحاول إقناعه يقول:"فإن قيل:فأنتم تقولون:يا هذا،و هذا معرفة بالإشارة،و قد جمعتم بينه و بين النداء فلِمَ جاز ههنا و لم يَجُزْ مع الألف و اللام و ما الفرق بين الموضعين؟فالجواب عنه من وجهين:

أحدهما:أن تعريف الإشارة **إيماء و قصد إلى حاضر** لتعرفه لحاسة النظر،و تعريف النداء **خطاب لحاضر و قصد لواحد بعينه**،فلتقارب معنى التعريفين صارا كالتعريف الواحد ...

و الوجه الثاني و هو قول المازني:أن أصل هذا أن يشير به الواحد إلى واحد،فلما دعوتَه نزعتَ منه الإشارة التي كانت فيه و ألزمتَه إشارة النداء،فصارت"يا" عوضا من نزع الإشارة.و من أجل ذلك لا يقال:هذا أَقْبِلْ،بإسقاط حرف النداء."2"و يقول في موضع آخر موضحا علة إدراج النداء في المبهمات يقول:"المبهم في النداء شيئان:أحدهما:أيُّ،و الثاني:اسم الإشارة،فأما أيُّ فنحو قولك:يا أيها الرجلُ،و هي أشدُّ إبهاما من أسماء الإشارة،ألا ترى أنها لا تثنى و لا تُجمع،فتقول:يا أيها الرجلُ و يا أيها الرجلانِ و يا أيها الرجالُ،و لذلك لزمَها النعتُ،فيا أداة النداء،وأيُّ المنادى،و ها تنبيهٌ،و الرجلُ نعتُهُ."3"

تشكل الضمائر الشخصية النمط الأول من أنماط السياق عند بارهييل و مونتاك،نظرا لكونها محددة لهوية المخاطبين."3"بالرجوع إلى كتاب شرح المفصل نجد ابن يعيش يعتبر الضمائر الشخصية كاشفة عن هوية المخاطبين،كما عرض لأسباب المجوزة لتوظيف الإضمار و التي حددها في عامل الإيجاز مع الإحتراز من التطويل و القصد في الكلام،و يشكل استحضار هذا العنصر مراعاة للبعد التواصلي في استعمال الضمائر الشخصية،على

"1": السيدي محمد:محاضرة:الفصل الثالث:وحدة:التداوليات و فلسفة اللغة،ماستر اللغة و الأدب :مقاربات نظرية و منهجية:2013-2014.كلية الآداب و العلوم الإنسانية:محمد الخامس،الرباط،المغرب.

"2": ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الثاني،ص: 18،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى،2013،دمشق،سوريا.

"3":ابن يعيش موفق الدين :نفسه:الجزء الثاني،ص:16.

أن ذلك يمثل جوهر الدرس اللساني التداولي المعاصر.يقول ابن يعيش:"و إنما أتى بالمضمرات كلها لضرب من الإيجاز و احتراز من الإلباس"1"،فأما الإيجاز فظاهر لأنك تستغني بالحرف الواحد عن الاِسم بكامله،فيكون ذلك الحرف كجزء من الاِسم،و أما الإلباس فلأن الأسماء الظاهرة كثيرة الاِشتراك،فإذا قلت:زيدٌ فعلَ زيدٌ،جاز أن يُتَوهم في زيد الثاني أنه غير الأول،و ليس للأسماء الظاهرة أحوال تفترق بها إذا الْتَبَسَتْ،و إنما يُزِيل الاِلتباس منها في كثير من أحوالها الصفات.كقولك:مررت بزيد الطويل و الرجل البزاز.و المضمرات لا لبس فيها، فاستغنت عن الصفات لأن الأحوال المقترنة بها قد تغني عن الصفات، و الأحوال المقترنة بها حضور المتكلم و المخاطب و المشاهدة لهما.و تقدم ذكر الغائب الذي يصير به بمنزلة الحاضر المشاهد في الحكم."2 "كما يعتبر ابن يعيش الضمائر الشخصية نوعا من الكنايات،و قد فصَّلَ ابن يعيش هذه النسبة في شرحه للمفصل بقوله:"المضمرات نوع من المكنيات،فكل مضمر مكني[حسب البصريين]،و ليس كل مكني مضمرا،**فالكناية إقامة اسم مقام اسمٍ تورية و إيجازاً**،و قد يكون ذلك بالأسماء الظاهرة نحو فلان و الفلان و كَيْتَ و كَيْتَ و كذا و كذا،ففلان كناية عن أعلام الأناسي و الفلان كناية عن أعلام البهائم،و كيت و كيت كناية عن الحديث المدمج،و كذا و كذا كناية عن العدد المبهم،و إذ كانت الكناية قد تكون بالأسماء الظاهرة كما تكون بالمضمرة كانت المضمرات نوعا من الكنايات."3 "

يقوم شرح ابن يعيش للمفصل على آليات التحليل التداولي الذي يستمد شرعيته من فقه الاِستعمال اللغوي بصفته المسرح الفعلي لجميع الظواهر اللغوية،يبدو ذلك جليا في عرضه المفصل للتراتبية المعرفية لأعرف المعارف في الضمائر الشخصية- بضمائر المتكلمين و ضمائر المخاطبين و ضمائر الغائبين ،و لقد اعتمد في هذه التراتبية على آلية الاِعتداد بعنصر العالم الخارجي أو المرجع الذي تعتمده التداولية في المتابعة التحليلية لأحوال المقام،و قد عبر عن العالم الخارجي بعنصري:**الحضور و المشاهدة**،مؤمنا بأولوية المتكلم في الترتيب فالمخاطب ثم الغائب، دون أن يغفل مسألة اختلاف آراء اللغويين العرب القدامى حول القضية المطروحة.يقول ابن يعيش:"أعرف المضمرات المتكلم لأنه يوهمك

"1":اللَّبس: أنواع منه ما يرجع إلى التركيب و منه ما يسمى باللبس المجازي الذي يلازم التراكيب المجازية و الاِستعارية و هناك اللبس الإنجازي المتولد عن دلالة اللغة سياقيا.

"2":":إبن يعيش موفق الدين النحوي:شرح المفصل، تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله، الجزء الثالث، ص:84 ، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع، الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"3":ابن يعيش موفق الدين :نفسه:الجزء الثالث،ص:154 .

غيره ثم المخاطب و المخاطب تلو المتكلم في الحضور و المشاهدة، و أضعفها تعريفا كناية الغائب،لأنه يكون كناية عن معرفة و نكرة.حتى قال بعض النحويين كناية النكرة نكرة"1" و قوله في موضع آخر من شرحه للمفصل: (و اعلم أن المضمرات و إن كانت أعرف المعارف إلا أنها تتفاوت أيضا في التعريف فبعضها اعرف من بعض،فأعرفها و أخصها ضمير المتكلم،نحو أنا و التاء في "فعلت" و الياء في غلامي و ضربني،لأنه لا يشارك المتكلم أحد فيدخل معه فيكون ثَمَّ لَبس،ثم المخاطب،و إنما قلنا:إن المخاطَب مُنْحَطٌّ في التعريف عن المتكلم لأنه قد يكون بحضرته اثنان أو أكثر فلا يعلم أيَّهم يخاطب،ثم الغائب،و إنما انحط ضمير الغائب عنهما لأنه قد يكون كناية عن معرفة و عن نكرة،حتى قال بعض النحويين:إن كناية النكرة نكرة،ولذلك أجازوا"رب رجلٍ و أخيه"،فهذا ترتيبها في التعريف،فاعرفه.)"2 "إن عرض ابن يعيش بالحجج الدامغة لأعرف المعارف(الضمير) ثم عرضه لأعرف معارف الضمير يشكل طرحا إجرائيا من صميم اللسانيات التداولية التي تربط بين الكلام – باعتباره الإنجاز الفعلي للغة– و الظروف السياقية لِاستعمالات اللغة.

باختصار تبقى الإشاريات بشتى أصنافها عنصرا لا يستهان به في تحقيق عملية الفهم و الإفهام المحدِّدة و الموجِّهة للخطاب و تأويله،إذ لها وظيفة تداولية واضحة المعالم تُعنى بدراسة العلاقة بين تركيب الخطاب و السياق الذي ورد فيه،و يعول بشكل كبير على كفاءة المخاطب التواصلية و التداولية في فك شفرة هذه الإشاريات و تحديد مرجعها.

"1":ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق،إبراهيم محمد عبد الله،:الجزء الثالث،ص:154 ،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى،2013،دمشق،سوريا.

"2": ابن يعيش موفق الدين:نفسه:الجزء الخامس:ص:157

2.تداولية الدرجة الثانية :

تُعنى تداولية المعنى الحرفي و المعنى التواصلي بدراسة الدلالة الضمنية للقول بتجاوز المعنى الحرفي أو بالأحرى دراسة العلاقات الرابطة بين الملفوظ و مقتضاه أي بين الكلام والقصد منه، اعتمادا على سياق التلفظ.يقصد بالسياق في هذه الدرجة الإخبار و الإعتقادات المشتركة أو هو السياق المترجَم إلى تحديدات العوالم الممكنة و ليس السياق الذهني،كما تدرس أيضا كيفية انتقال الدلالة من المستوى الصريح إلى المستوى الضمني.إن تداولية الدرجة الثانية هي درجة السياق المتنامي و الموسع عن الدرجة الأولى،تعنى بدراسة العلاقة بين الكلام و القصد منه بناء على سياق التلفظ،و يعد الفيلسوف الإنجليزي **بول جرايس**(1913-1988) أول من سخر جهده الفلسفي لمفهوم المعنى،كما يعد الفيلسوف الوحيد الذي أولى المتكلمين و مقاصدهم مكانة محورية عند تفسير المعنى،و لقد جاءت النظرية القصدية في المعنى لدى جرايس على مرحلتين:

- **تحليل مفهوم المعنى لدى المتكلم.**
- **اِستعمال مفهوم المعنى لدى المتكلم ناهيك عن فكرة المواضَعة التي تعد أساسا لنظرية المعنى اللغوي.**

لقد انطلقت نظرية التضمين الجرايسية من اعتبار أن التواصل الإنساني يكون قصديا في عمومه،كما أن مفهوم القصد عند جرايس لا يقتصر على القصد الإخباري بل يتعداه إلى صنوف أخرى من المقاصد،لأن الإقتصار على القصد الإخباري غير كافٍ،بل الغاية قصد آخر أعمق هو القصد إلى **تغيير المحيط المعرفي للمخاطب**،فالقصد الإخباري أو التواصلي للمتكلم لا يقوم على الدلالة اللسانية للقول فحسب،لكن ينطلق منها و يتجاوزها و يتحقق ذلك عبر تشغيل كل ضروب المقدمات و المؤشرات و القرائن السياقية،كما يجند المخاطب كل طاقته و قدراته الإستدلالية و الإستنتاجية و ذلك في ارتباط وثيق بالسياق التداولي.من هنا تأتي قيمة التضمين في الأفعال غير المباشرة وفق تحليل سيرل،فالإنتقال من الأفعال المباشرة إلى الأفعال غير المباشرة يكون بناءً على مبادئ الحوار و التعاون التي حددها جرايس(مثلا الإنتقال من الإستفهام إلى الطلب)."1"

يعد جرايس من رواد الفلسفة التحليلية،تميز باسهاماته في فلسفة اللغة و خاصة اهتمامه بتحليل المعنى لدى المتكلم أو ما يسمى بالنظرية القصدية في المعنى أو مشروع علم الدلالة القائم على القصد أو نظرية الإقتضاء التخاطبي.

"1": أرمينكو فرنسواز:المقاربة التداولية:ترجمة علوش سعيد:ص:38 ،39،مكتبة الأسد،مركز الإنماء القومي،بيروت،لبنان.

برزت أعماله في شكل مقالات،كما دشن جرايس عهدا جديدا في اللسانيات التداولية حين ابتكر نظريته في "الإقتضاء التخاطبي"1""،إذ لم تكن مجرد نظرية لغوية فحسب،بل هي أداة فعَّالة لحل الكثير من المشكلات الفلسفية و المنطقية.كما أجبر علماء اللغة على التفكير باهتمامٍ في أنواع الحقائق التي تروم النظرية الدلالية تفسيرها،بل و أجبرهم على التأمل في الأفكار النظرية الأساسية التي ربما سَلَّمُوا بصحتها.لقد أثر جرايس تأثيرا بالغا في الدرس الفلسفي المعاصر في اللغة مثله مثل كبار الفلاسفة،ذلك أن مفهومه عن المعنى لدى المتكلم(ضمن نظرية المعنى) و نظريته في الإقتضاء التخاطبي (ضمن نظرية المحادثة) يتموقعان من حيث القيمة العلمية إلى جانب تمييز فريجة بين المعنى و الإشارة و نظرية الأوصاف عند رسل.إن القاسم المشترك بين جرايس و فلاسفة اللغة العادية هو التأكيد على اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية و أن الخطاب العادي غير الفلسفي جدير بعناية و اهتمام الفيلسوف.إن كتاب جرايس يتضمن تنقيحا و نقدا لفكرة محورية أخرى اتفق عليها فلاسفة اللغة العادية مفادها **أن المعنى هو الإستعمال** و أن المعنى يتجدد عن طريق الإستعمال،و تتلخص نظرية الإستعمال في المعنى في الشعار المشهور القائل:(**لا تسأل عن المعنى،بل اسأل عن الإستعمال**)"2" و إذا كان رواد اللسانيات التداولية أمثال أوستين و مالينوفسكي قد ركزوا على البعد الاجتماعي،فإن جرايس قد ركز على البعد النفسي من استعمال اللغة عبر نظريته.

يميز جرايس بين المعنى الطبيعي و المعنى غير الطبيعي.

- **المعنى الطبيعي**:هو المعنى الذي تملكه الأشياء في الطبيعة و يعتمد على العلاقات السببية و قوانين الطبيعة.
- **المعنى غير الطبيعي**:تملكه كلماتنا و عباراتنا و بعض أفعالنا و إيماءاتنا،فهو يقوم على القصد.

إن المعنى غير الطبيعي وفق جرايس هو سليل المعنى الطبيعي و مشتق منه،كما أن تحليل المعنى المنطوق

"1":الإقتضاء لغة:مصدر من الفعل:اقتضى،و هو فعل مزيد،و المجرد منه هو الفعل:قضى يقضي قضيا،و المقصود به:الفصل و الحكم،و قضاء الشيء:إحكامه،و قضى الغريم دينه قضاء:بمعنى أداه إليه و استقضاه:طلب إليه أن يقضيه.انطلاقا من المعنى اللغوي فالاقتضاء يفيد الطلب و الإستلزام في إنهاء الشيء.

"2":صلاح إسماعيل:النظرية القصدية في المعنى عند جرايس:حوليات الآداب و العلوم الاجتماعية،الحولية الخامسة والعشرون،الرسالة:230،يونيو،2005:ص:من:09إلى 117 ،القاهرة،مصر.

مناسبة و سياقا يسبق المعنى المعياري للمنطوق،و يعطي جرايس الأولوية لمعنى المناسبة على المعنى الخالد نظرا لكون المعنى ظاهرة لغوية تتجاوز اللغة. "1"

أراد جرايس التأسيس لمفهوم المعنى اللغوي على مفهوم المعنى لدى المتكلم،هذا التقديم و الأسبقية للمعنى لدى المتكلم يتفق مع نظرة جرايس لمفهوم المعنى بوصفه أوسع من المعنى اللغوي،لأن المعنى يقع في اللغة و خارجها.هذه النظرة الواسعة للمعنى لم تمنع جرايس و أنصاره من الملاءَمة بين تحليلهم للمعنى و المعنى اللغوي.إن المعنى اللغوي هو معنى خالد،لأنه لا يعتمد على أية مناسبة محددة للإِستعمال،في مقابل المعنى لدى المتكلم الذي يرتبط بموقف النطق أو الكلام،و يتم تفسيره في حدود مقاصد المتكلمين،فقد يتطابق المعنى لدى المتكلم مع معنى الجملة أحيانا و يختلف عنه أحيانا أخرى:

التطابق:يكون في العبارات التقريرية و الجمل التي تدخل في إطار العلوم الطبيعية.

الإِختلاف:يأتي بصور متنوعة."2 "مثال:أحمد: هل تريد مزيدا من القهوة؟

محمد: القهوة تبقيني منتبها.

إن هذا الجواب يمكن أن يفهم بمعنيين:

1. المعنى الأول:هو أن محمدا لا يرغب في مزيد من القهوة لأن موعد النوم قد اقترب.
2. المعنى الثاني:هو أن محمدا يريد مزيدا من القهوة،لأنه يريد مواصلة العمل و يحتاج إلى أن يظل منتبها.

إن التمييز بين المعنى الفحوي للجملة و المعنى القضوي هو تمييز بين علم الدلالة و علم الإِستعمال،و تعد نظرية جرايس في الإِقتضاء إسهاما أصيلا في كيفية التوصل إلى المعاني الأخرى التي تنضاف للمعاني الحرفية للجمل،و هو

"1":**صلاح** إسماعيل:النظرية القصدية في المعنى عند جرايس:حوليات الآداب و العلوم الاجتماعية،الحولية الخامسة والعشرون،الرسالة:230،يونيو،2005:ص:من:09إلى 117 ،القاهرة،مصر.

"2":هذا التمييز بين التطابق و الإِختلاف نجده حاضرا لدى جلال الدين السيوطي حين قال في الأشباه و النظائر الجزء الثالث،ص173:(صناعة النحو قد تكون فيها الألفاظ مطابقة للمعاني و قد تكون مخالفة لها إذا فهم السامع المراد،فيقع الإسناد في اللفظ إلى شيء و هو في المعنى شيء آخر إذا علم المخاطب غرض المتكلم.)

يعتبر بذلك أول من قدم دراسة نسقية منهجية تعالج الإختلافات الحاصلة بين معنى المتكلم و معنى الجملة و ما يقتضيه المتكلم و ما تقتضيه الجملة،و المقصود بالإقتضاء التداولي: شيء يعنيه المتكلم و لا يمثل جزءً من المعنى الحرفي للجملة،إنه المعنى غير المباشر لدى المتكلم.بتعبير آخر إنه يعني عمل المعنى أو لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر أو قل إنه شيء يعنيه المتكلم و يوحي به و يقترحه و لا يمثل جزءً مما تعنيه الجملة بشكل حرفي مباشر.مثال:

- **أحمد:**هل تستطيع الذهاب إلى حديقة الحيوان؟
- **محمد:**يتعين علي مراجعة دروسي.

إن جواب محمد يقتضي أنه لا يستطيع الذهاب إلى الحديقة، و هذا المعنى يعد إضافيا يتجاوز المعنى الحرفي لقوله:(يتعين علي مراجعة دروسي) فالجملة الأولى تقتضي الجملة الثانية،لأن المتكلم لا يمكنه توظيف الجملة الأولى توظيفا مناسبا بغير أن يقتضي الثانية،و عليه يمكن القول إن:"الإقتضاء التخاطبي للجملة شيء يلزم عنها،و لكنه ليس بالمعنى المنطقي الدقيق.فالإقتضاء شيء لا تقرره الجملة تقريرا واضحا و لكنها توحي به فقط،إنه ليس نتيجة منطقية، و إنما نتيجة غير منطقية بمعنى ما".[1]

يميز جرايس بين نوعين من الإقتضاء:

- **الإقتضاء الإتفاقي:**ينتج بوساطة المعنى الإتفاقي للكلمات المنطوقة من قبيل(لكن و من ثَمَّ)و هو يفهم مباشرة و لا يستدعي استدلالا عقليا.
- **الإقتضاء التخاطبي:**هو اقتضاء غير اتفاقي يرتكز على السياق التخاطبي و هو اقتضاء تخاطبي يضعه المرء بتوظيف الإستدلال العقلي الذي يقوم على قواعد التخاطب،و يتحقق الإقتضاء التخاطبي بطريقتين تتحدد الأولى بالإمتثال لقواعد التخاطب و مراعاتها،أما الثانية فتتحدد بالخروج عن قواعد التخاطب و كسرها.[2]

إن الإقتضاء التخاطبي هو نقل المعنى بغير وجهه الصريح عبر ما يدل عليه من القرائن و السياقات،لأن جمل بعض

"1":صلاح إسماعيل:النظرية القصدية في المعنى عند جرايس:حوليات الآداب و العلوم الإجتماعية،الحولية الخامسة والعشرون،الرسالة:230،يونيو،2005:ص:من:09إلى 117 القاهرة،مصر.

"2":صلاح اسماعيل:المرجع نفسه.

اللغات الطبيعية و في بعض المقامات تدل على معنى غير محتواها القضوي.من أهم مميزات الإقتضاء التخاطبي:

- يقدم تفسيرا واضحا لقدرة المتكلم في أن يعني أكثر مما يقول.
- هو اقتضاء لا عرفي يقوم على مجموع القواعد التخاطبية التي وضعها جرايس و خاصة مبدأ التعاون،و هذا يعني أنه لا يكفي اعتماد المخاطَب على الحدس لإدراك ما يصدر عن المتكلم من خطابات،بل لابد من الأخذ بعين الإعتبار العناصر الآتية:

1. المدلول الأصلي للكلمات المستعملة.
2. مبدأ التعاون و مبادؤه المتفرعة عنه.
3. سياق العبارة اللفظي و الحالي.
4. المعلوات السابقة.
5. المعلومات المشتركة بينه و بين المتكلم."1"

الإستلزام الحواري هو المعنى المستفاد من السياق التداولي و يعتبر من أهم المبادئ التداولية و يعني أن التواصل اللغوي محكوم بمبدإ عام هو مبدأ التعاون و بمسلمات حوارية ،ناهيك عن سلامة القول و قبوله من المتكلم و النظر في مدى ملاءمته لمستوى الحوار."2"يختلف مفهوم الاستلزام الحواري عن مفهوم الإقتضاء فالإستلزام مفهوم لساني تداولي يتغير بتغير ظروف إنتاج العبارة اللغوية أما الإقتضاء فلا يتغير مهما تغيرت ظروف استعمال العبارة إنه ملازم لها في كل الظروف و الأحوال."3"

باختصار يعد الإستلزام الحواري صلة وصل بين المعنى الفحوي و المعنى الضمني.إنه المعنى التابع للدلالة الأصلية للعبارة،و يعد مفهوم الإستلزام الحواري من أهم المفاهيم التي تقوم عليها التداولية،كما أنه مفهوم لصيق بلسانيات

"1":حمد يوسف الرومي،مجلة عالم الفكر:المجلد العشرون،العدد الثالث،أكتوبر،1989.

"2":محمود عكاشة النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)–دراسة المفاهيم و النشأة و المبادئ– ص 87،مكتبة الآداب،القاهرة ،مصر.

"3":الإقتضاءات :هي سبيل عقلي موصل إلى قصد المتكلم دون وسائط منطقية من وجهة نظر التداولية،أو هي"استلزام القول لمعنى تابع للمعنى العباري من غير توسط دليل،و مع توقف فائدة القول عليه كما يصنف الدارسون الإقتضاءات إلى اقتضاءات الوجود اقتضاءات معجمية اقتضاءات عامة و اقتضاءات خاصة .

الخطاب التي أخذ معها البحث اللساني منحى متميزا،فلم يعد الإهتمام منصَبا على وضع نظريات عامة لعملية الخطاب،بل على العملية التواصلية في حد ذاتها"1".لقد ظهر مفهوم الإستلزام الحواري مع جرايس الذي استطاع وضع نحو قائم على أسس تداولية للخطاب آخذا بعين الإعتبار كل الأبعاد المؤسِّسة لعملية التخاطب،مؤكدا على تعذر التأويل الدلالي للعبارات في اللغات الطبيعية القائم على الشكل الظاهري لهذه العبارات،لأجل ذلك اقترح بول جرايس في ضوء الإستلزام الحواري نحوا قائما على أسس تداولية للخطاب يتم فيها مراعاة ما يلي:

1. معنى الجملة المتلفَّظ بها من قبل متكلم في علاقته بمخاطب.
2. المقام الذي تُنجَز فيه الجملة.
3. مبدأ التعاون ."2"

تؤسس ظاهرة الإستلزام الحواري لصنف من التواصل يمكن اعتباره تواصلا ضمنيا غير معلن،لأن المتكلم يقول كلاما و يقصد غيره،كما أن المخاطب يسمع كلاما و يفهم غيره.إن العديد من العبارات اللغوية إذا تم مراعاة ارتباط معناها بسياقات إنجازها لا تتحدد فقط فيما تدل عليه بنيتها الصورية و عليه يجب إيجاد تأويل آخر مناسب يستوجب الإنتقال من المعنى الصريح المباشر إلى معنى مستلزم.هذا الإنتقال لا يتم بشكل اعتباطي بل تؤطره الظروف المحيطة بالخطاب من متكلم و مخاطب و سياق و مقاصد...إن الاهتمام في إطار اللسانيات التداولية لم يعد منصبا على وضع نظريات للخطاب،بل أصبح منصبا على عملية التخاطب ذاتها."3" عموما ينجم الإستلزام الحواري عن العدول عن إحدى القواعد المتحكمة في التواصل اللغوي مع التشبث بمبدإ التعاون،كما يعد الإستلزام من أهم المظاهر المميزة للغات الطبيعية و مرد ذلك إلى كون الكثير من الجمل إذا أخذنا بعين الإعتبار مقامات إنجازها لا ينحصر في ما تدل عليه صيغها الصورية.إنه آلية من آليات إنتاج الخطاب يقدم تفسيرا صريحا لقدرة المتكلم على أن يعني أكثر مما يقول بالفعل،فلا يتكلم المتكلم مع غيره إلا إذا كان لكلامه قصد و هذا القصد محدد عند التكلم و ثابت لا يتغير،و هو لذلك يتخذ من الوسائل الكلامية و المقامية ما يُعِين المخاطَب

"1":السيدي محمد:إشكال المعنى من الإستعارة إلى الإستلزام الحواري،مجلة فكر و نقد،السنة الثالثة،العدد 25،يناير،2000،المغرب.

"2":صلاح إسماعيل:النظرية القصدية في المعنى عند جرايس:حوليات الآداب و العلوم الاجتماعية،الحولية الخامسة و العشرون،الرسالة:230،يونيو،2005:ص:من:09إلى 117، القاهرة،مصر.

"3":أدراوي العياشي:الإستلزام الحواري في التداول اللساني:من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها:ص:7-11 ،الطبعة الأولى،2011،دار الأمان،منشورات الإختلاف،الرباط،المغرب.

على بلوغ ما يقصد،غير أن مراتب المخاطَبين تتفاوت في إدراك مقاصد المتكلمين تبعا لتفاوت قدراتهم العقلية و اللغوية و الثقافية.

إذا كانت جمل كثيرة تدل –بحكم استقراء الخطاب العربي–في بعض المقامات على معنى غير ذلك الذي يوحي به معناها الحرفي، فكيف يتم التفاعل بين المتحاورين لإبلاغ و إدراك المعنى المستلزم؟ و كيف تعامل ابن يعيش مع هذه الظاهرة؟

إن ابن يعيش لم يكن في منأى عن التفكير التداولي للغة،إذ كان حريصا أشد ما يكون الحرص على ربط اللغة بسياق استعمالها في الواقع،لأن معرفة مقاصد كلام العرب يستلزم بالضرورة معرفة مقتضيات الأحوال،بغية الوقوف على المقاصد العامة للخطاب،و يعد مراعاة الغرض من الكلام قرينة تداولية تسعف في تحديد الوظيفة النحوية للكلمة و بيان مكانتها في التحليل النحوي للجملة.إن مبدأ القصد كان هو الغاية التواصلية التي يروم المتكلم بلوغها من الخطاب،لأجل ذلك نجد ابن يعيش يدخل مفهوم القصد في تعريف الكلام،مما يقوم دليلا على أن نظرة ابن يعيش للظواهر اللغوية كانت نظرة تداولية قصدية ضمن نطاق موضوعي عملي و حدث تواصلي يتجاوز الرؤية الوصفية المجردة"1".يقول:(إعلم أن الكلام عند النحويين عبارة عن كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه ويسمى الجملة ،نحو:زيد أخوك و قام بكر،و هذا معنى قول صاحب الكتاب...و قوله:" أُسنِدَت إحداهما إلى الأخرى"فصل ثان احترز به عن مثل معدي كرب و حضرموت و ذلك أن التركيب على ضربين:تركيب إفراد و تركيب إسناد،فتركيب الإفراد أن تأتي بكلمتين فتركبهما و تجعلهما كلمة واحدة بإزاء حقيقة واحدة بعد أن كانتا بإزاء حقيقتين،و هو من قبيل النقل،و يكون في الأعلام نحو،معدي كَرِب و حضرموت وقالِيْ قَلاَ،و تفيد هذه الكَلِم بعد التركيب حتى يُخْبَرَ عنها بكلمة أخرى،نحو معدي كَرِب مُقْبِلٌ و حضرموت طيِّبَةٌ،و هو اسم بلد باليمن.و تركيب الإسناد أن تركِّبَ كلمة مع كلمة تُنْسَبُ إحداهما إلى الأخرى.فعرَّفك بقوله:"أُسنِدَتْ إحداهما إلى الأخرى"أنه لم يُرِدْ مطلق التركيب،بل تركيب الكلمة مع الكلمة إذا كان لإحداهما تعلق بالأخرى على السبيل الذي به يحسن موقع الخبر و تمام الفائدة.و إنما عبر بالإسناد و لم يعبر بلفظ الخبر،و ذلك من قِبَلِ أن الإسناد أعمُّ من الخبر لأن الإسناد يشمل الخبر و غيره من الأمر و النهي و الاستفهام،فكل خبر مُسنَدٌ و ليس كل مسند خبرا،و إن كان مرجِعُ الجميع إلى الخبر من حيث المعنى،ألا ترى أن معنى قولنا:""قُمْ"أطلبُ قيامك و كذلك الإستفهام و النهي ،فاعرفه.)"1 "

"1": ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الأول،ص: 46-47،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

إن القصد من الكلام وفق ابن يعيش هو الإفادة التي لا تجنى إلا من الكلام المركب المفيد الذي يعمد المتكلم إلى سبكه وفق حاجة المخاطب بعيدا عن كل أشكال اللغو،لأن تركيب الكلام خاضع لمقاصد المتكلمين و أغراضهم في التواصل،إذ لا عبرة منه ما لم يكن صادرا عن قصد."1" لقد جاءت عناية ابن يعيش بمبدإ الإفادة و مبدإ القصد انطلاقا من إيمانه المطلق بقيمة كل من المتكلم و المخاطب في عملية التواصل،فهما طرفان أساسيان،لأن القصد ألصق بالمتكلم أما الإفادة فتتعلق بالمخاطَب و ما يجنيه من فائدة تواصلية.

تتجلى عناية ابن يعيش بطرفي الخطاب عبر توظيفه لمجموعة من المصطلحات الدالة عليهما،حيث أطلق على المتكلم مصطلحات من قبيل:المتكلم و الحاضر و المخاطِب،و يبقى المصطلح الأكثر تداولا في شرحه للمفصل هو مصطلح المتكلم،إذ لم يوظف لفظ المخاطِب سوى مرةٍ واحدة،تفاديا للخلط و التوهم بين صيغة الفاعل و صيغة المفعول،كما أنه لم يوظف مصطلح"**المخاطِب**"إلا بحضور صيغة المفعول لتمييز هذا من ذاك،و رغم توظيفه مصطلحات من قبيل:الحاضر و السامع و المخاطَب يبقى مصطلح المخاطَب ثم السامع الأكثر استعمالا.

من الشروط التي اشترطها ابن يعيش لتكون للجملة فائدة لدى السامع ما يلي:

1-ثبوت معنى دلالي عام للجملة:إن الجملة بغير معنى من منظوره تعد لغوا و يجب أن يكون هذا المعنى مشتركا بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة.

2-أن تكون للجملة نسبة كلامية،فتكون عناصرها محددة و دالة تفيد المخاطب.

تصنف الحمولة الدلالية للعبارة اللغوية في اللغة العربية إلى صنفين:

- المعاني الصريحة:تدل عليها صيغة الجملة.
- المعاني الضمنية:لا تدل عليها صيغة الجملة،بل تتولد وفق السياقات و المقامات التي تنجز فيها،فقد توظف جملة ما يُقصَد بها معنى جملة أخرى،فيتم الإنتقال من معنى صريح مباشر إلى معنى مضمر مستلزم حواريا.بتعبير آخر،عندما ننجز جملة ما في سياق محدد،فإننا ننجز فعلين لغويين:فعل لغوي مباشر و فعل لغوي غير مباشر و يسمي جرايس هذه الظاهرة اللغوية بالإستلزام الحواري،كما ميز في "نظرية الأفعال اللغوية" بين القوة الإنجازية الحرفية و القوة الإنجازية المستلزَمة.

"1":دلال وشن:الإفادات و المقاصد التبليغية في الجملة العربية:أبحاث لسانية،مجلة معهد الدراسات و الأبحاث للتعريب عدد 2012/30.ص.ص:63-80،الرباط،المغرب.

- **القوة الإنجازية الحرفية**:هي قوة إنجازية مدركة مقاليا أو حرفيا بصيغة الفعل مثل الأمر.
- **القوة الإنجازية المستلزمة**:هي قوة إنجازية مدركة مقاميا و هي التي تستلزمها الجملة في سياقات معينة و محددة."1 "

أولى ابن يعيش قضية المعنى عناية كبيرة، فالألفاظ أدلة على المعاني و قوالب لها على حد تعبيره،لقد أيقن أن معنى الكلمة لا يتحدد بغير استعمالها في سياق معين و محدد،و هذا ما أكد عليه (فيرث) الذي يؤكد غير ما مرة على أن المعنى لا ينكشف بغير تسييق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة،لذلك فدراسة معانِ الكلمة تستوجب تحليلا للسياقات و المواقف التي تحتويها. إن ابن يعيش رسم معالم الجملة و حدد خصائصها في سياق التخاطب و عدها فعلا كلاميا يُنجَز وفق مقامات تواصلية معينة،إنها محل الإفادة الإبلاغية المنعقدة بين المتكلم و السامع،مؤمنا بمسلمة مفادها أنه من أسمى غايات و مرامي الدراسة النحوية إفادة المخاطب معنى الخطاب."2 " تحقيقا لهذا المبتغى التواصلي نجده يربط غير ما مرة بين الملفوظ و مقتضاه ،أو بالأحرى يربط بين الكلام و القصد منه بناء على الموقف التداولي الذي ورد فيه، يظهر ذلك جليا في باب مجيء النعت للمدح و التعظيم أو الذم و التحقير، مشيرا إلى أنه في أحيان كثيرة قد يوظف النعت و يراد به المدح و التعظيم أو الذم و التحقير.يقول ابن يعيش:"و قد يجيء النعت لمجرد الثناء و المدح،لا يراد به إزالة اشتراكٍ و لا تخصيصُ نكرةٍ،بل لمجرد الثناء و المدح أو ضدهما من ذم أو تحقير و تعريفِ المخاطبِ من أمر الموصوف ما لم يكن يعرفه و ذلك نحو قولك:جاءني زيدٌ العاقلُ الكريمُ الفاضلُ،تريد بذلك تنويهَ الموصوف و الثناءَ عليه بما فيه من الخصال الحميدة،و من ذلك صفات الباري سبحانه،نحوُ الحيّ العالِم القادرِ، لا تريد بذلك فصله من شريكٍ،تعالى الله عن ذلك،و إنما المراد الثناءُ عليه بما فيه سبحانه على جهة الإخبار عن نفسه بما فيه لمعرفة ذلك و الندبِ إليه."3 "

في إطار عنايته بالعملية التخاطبية،سَنَّ ابن يعيش شروطا استعمالية تتحقق بموجبها الإفادة.يقول:"إن الغرض بالنداء التصويت بالمنادى ليُقبِلَ،و الغرض من حروف النداء امتداد الصوت و تنبيه المدعوّ،فإذا كان المنادى متراخيا عن

"1":صلاح إسماعيل:النظرية القصدية في المعنى عند جرايس:حوليات الآداب و العلوم الاجتماعية،الحولية الخامسة و العشرون،الرسالة:230،يونيو،2005:ص:من:09إلى 117، القاهرة،مصر.

"2": مختار عمر أحمد: علم الدلالة :ص:70 ،عالم الكتب،1993،القاهرة،مصر.

"3":ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الثالث،ص:87 ، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

المنادي أو معرضا عنه لا يُقْبِل إلا بعد اجتهاد أو نائما قد استثقل في نومه استعملوا فيه جميع حروف المنادى ما خلا الهمزة."[1]" نلمس في هذا النص تأكيدا واضحا على فكرة جوهرية في اللسانيات التداولية مفادها أن الأصل في الإفادة أن تصدر عن إرادة واعية من المتكلم. يقول ابن يعيش:"ألا ترى أن إنسانا قد يتكلم بكلام مفيد،و ربما فعل أفعالا منتظمة و هو نائم أو ساهٍ،فلم يكن فيه غرض فلم يكن في فعله دلالة على مفعوله".[2]" إن القصد من النداء جلب المخاطب لدائرة التخاطب،و الغاية من رفع الصوت إبلاغ المعلومة المقصودة للمخاطب،فشرط الإفادة حصول الإرادة الواعية و القصد من لدن المتكلم،إذ المعنى المحقَّق بغير قصد ليست له قيمة لدى المخاطب و لا يُعَد حجة على المتكلم.إن جوهر الكلام من منظور اللسانيات التداولية لا يتم بمجرد التصويت بألفاظ و عبارات معزولة،فقد يقع هذا التصويت عَرَضًا كما في حالات النوم أو السهو،بل جوهره كامن في ارتكازه على قصدين رئيسين هما:

"أما القصد الأول،فمقتضاه أن المنطوق به لا يكون كلاما حقا حتى **تحصل من الناطق إرادة توجيهية إلى** غيره، و ما لم تحصل منه هذه الإرادة،فلا يمكن أن يُعَد متكلما حقا حتى لو صادف ما نطق به حضورَ من يتلقفه...فالمتلقي هو عبارة عن المتلقف الذي قصده المُلْقِي بفعل إلقائه...و أما القصد الثاني،فلا يكون المنطوق به كلاما حقا حتى **تحصل من الناطق إرادة إفهام الغير**،و ما لم تحصل هذه الإرادة،فلا يمكن أن يُعَد متكلما حقا حتى لو صادف ما لفظ به فهما ممن التقطه،لأن الملتقط لا يكون مستمِعا حتى يكون قد أُفهم ما فَهِم،سواء أوافق الإفهام الفهم أم خالفه،أو قل حتى يدرك رتبة "الفاهم،فالفاهم هو عبارة عن الملتقط الذي قصده المفهِم بفعل إفهامه"[3]"إن مفهوم القصد مفهوم متأصل في الدرس اللغوي العربي القديم باعتباره ذلك الغرض الذي يرومه المتكلم من الخطاب و الفائدة التي يجنيها المخاطب من الكلام،فلن يكون هناك نص و لا خطاب دون قصد و هذا ما يركز عليه اللسانيون المعاصرون.من شروط نجاح العملية التخاطبية أيضا وفق تصور ابن يعيش حرص المتكلم على انتقاء العبارات اللغوية المؤدية للمعنى المقصود من الكلام،درءً لكل أنواع اللبس و التوهم،و مادام المخاطب محط اهتمام المتكلم و أحد أعمدة الحدث الكلامي،فلابد من مراعاة كل الظروف الإنجازية لهذا الحدث الكلامي،فقد تتوافر جميع شروط العملية التخاطبية غير أن العبارات الموظفة في الكلام يشوبها الغموض و الإحتمالات المتعددة نظرا لحمولاتها الدلالية المتنوعة،الأمر الذي يحتم على المتكلم حسن انتقاء العبارات المسْعِفة و المؤدية للقصد التواصلي.

"2":":ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الثالث،ص:46 ، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"3": طه عبد الرحمن:اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي:ص 214،الطبعة الثالثة،2012،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب.

يقول ابن يعيش:"و ربما احتاجوا إلى ذلك في بعض الإستعمال،و ذلك أنك لو قلت:أعطيتُ بهذه السلعة خمسة و عشرة.جاز أن يتوهم المخاطب أنهما صفقتان أعطى بهما مرة خمسة و مرة عشرة،فإذا ركبت زال هذا الإحتمال و ارتفع اللبس و تحقق المخاطب."[1] إن ما سنه ابن يعيش من شروط لإنجاح العملية التخاطبية ترتبط بكل من المتكلم و المخاطب قبل بدء عملية الإنجاز الكلامي،لكن قد تعتري المخاطب غفلة أو شك لحظة التخاطب أو سهو،الأمر الذي يقتضي من المتكلم القيام بنوع من التأكيد لتمكين المعنى في نفس المخاطب و درء إمكانية سوء الفهم و من ثمة يتعذر التأويل المناسب لقصد المتكلم.يقول ابن يعيش:(إذا قلت جاء زيد نفسه أو عينه،**فيزيل التأكيد ظن المخاطب من إرادة المجاز و يؤمن غفلة المخاطب.**)[2]و رغبة في إيصال قصد المتكلم بطريقة سلسة و سهلة بعيدا عن كل إشكال الإسهاب و الإطالة في الكلام و كل ما من شأنه أن يولد الملل و الضجر في نفس المخاطب،حث ابن يعيش على ضرورة انتقاء الألفاظ المختصرة و المختزِلة للمعاني الكثيرة.مثال ذلك العَلم الذي يختزل مجموعة من الصفات والسمات الفردية.يقول:"...و إنما أتي بالأعلام للإختصار و ترك التطويل بتعداد الصفات،ألا ترى أنه لولا العلم لاحتجت إذا أردت الإخبار عن واحد من الرجال بعينه أن تعدد صفاته حتى يعرفه المخاطَب،فأَغْني العلمُ عن ذلك أجمع."[3]

قد يدل السياق التداولي دلالة خفية عن المعنى المقصود رغم خلو الخطاب من العبارات و الألفاظ الدالة على ذلك المعنى،فيتم الكشف عن مراد المتكلم بقرائن الإستعمال و التداول.يقول ابن يعيش:(قوله:"ما اختلف آخره" يريد من الأسماء،لكنه تركه **ثقةً بعلم المخاطب به.**)[4]و يقول في موضع آخر:(إعلم أن المضاف قد حذف كثيرا من الكلام،و هو سائغ في سعة الكلام و حال الإختيار،إذا لم يشكل،و **إنما مسوغ ذلك الثقة بعلم المخاطب،إذ الغرض من اللفظ الدلالة على المعنى،فإذا حصل المعنى بقرينة حال أو لفظ بآخر استغنى عن اللفظ**)[5]و قد تحذف الصفة إن دل عليها المقام يقول ابن يعيش:(و أما الصفة فلا يحسن حذفها ...و لأن الغرض من الصفة إما التخصيص و إما الثناء و المدح،و كلاهما من مقامات الإطناب و الإسهاب،و الحذف باب

"1":ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الثالث،ص:87 ، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2":ابن يعيش موفق الدين : نفسه،الجزء الثالث، ص: 78.

"3":ابن يعيش موفق الدين : نفسه،الجزء الأول،ص: 63

"4": ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل،نفسه،ص:115.

"5":ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل،نفسه،ص:23.

الإيجاز و الإختصار،فلا يجتمعان لتدافعهما،و قد حذفت الصفة على قلة و ندرة،و ذلك عند قوة دلالة الحال عليها... و ذلك إذا كنت في مدح إنسان و الثناء عليه، فتقول:كان و اللهِ رجلاً،و تزيد قوة اللفظ بالله و تمطيط اللام و إطالة الصوت بها،فيُفهَم من ذلك أنك أردت كريما أو شجاعا أو كاملا.و كذلك في طرف الذم،إذا قلت:سألتُ فلانا فرأيته رجلا،و تزري وجهك و تقطبه،فتغني عن بخيلا أو لئيما،و منه الحديث"لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد"،و المراد لا صلاة كاملة أو تامة و نحو ذلك،فإن عَرِيَتِ الحالُ من الدلالة لم يَجز الحذف،فاعرفه.)و قد يتم الإحتكام في حذف أحد عناصر الجملة إلى كثرة الإستعمال و التداول.يقول ابن يعيش:(...و قد يستغني الإسم عن الفعل،و إذا ثبت أنه **أكثر في الكلام كان أكثر استعمالا،و إذا كثر استعماله خفَّ على الألسنة لكثرة تداوله.**)"2 " و يقول في موضع آخر:(إعلم أن الفاعل قد يذكر و فعله الرافع له محذوف لأمر يدل عليه،و ذلك أن الإنسان قد يرى مضروبا أو مقتولا و لا يعلم من أوقع به ذلك من الضرب أو القتل،و كل واحد منهما يقتضي فاعلا في الجملة،فيسأل عن الفاعل فيقول:من ضربه؟ أو من قتله؟ فيقول فيقول المسؤول:زيدٌ أو عمرو،يريد ضربه زيدٌ أو قتله عمرو،فيرتفع الاسم بذلك الفعل المقدر،و إن لم يُنطَقْ به لأن السائل لم يشك في الفعل،و إنما شك في فاعله.)"3"

تعد الفوارق الإستلزامية للعلامة الإعرابية من أهم الظواهر التداولية باعتبارها علامة من علامات الكشف عن قصد المتكلم و ثمرة من ثمار ذلك التعاون الحاصل بين المتكلم و المخاطب لإنجاح العملية التخاطبية.إن انتقاء المتكلم لحركة إعرابية دون أخرى مع ورود الصحة التجويزية للحركتين لغويا يُعد فعلا استلزاميا يتم عبره الإهتداء إلى قصد التكلم،فتغدو هذه الحركة الإعرابية المنتقاة وسيلة لصرف المخاطب عن المعنى الفحوي للكلام لآخر مضمر و خفي و هو المعنى المقصود.يقول ابن يعيش:(...بل يجوز فيها العطف على ظاهر الفعل المتقدم فيشاركه في إعرابه إن رفعا و إن جزما،ألا ترى أنك إذا قلت :لا تأكل السمكَ و تشرب اللبن،بجزم الثاني،كنت قد عطفت الثاني على الأول، و يكون المعنى أنك نهيته عن كل واحد على الإنفراد،حتى لو أكل السمك وحده كان عاصيا،و لو شرب اللبن وحده كان عاصيا،فإذا أريد غير معنى العطف الصريح و كان له مساغ عدلوا إليه...)"4 "

"1": ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الثالث،ص:115، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2": ابن يعيش موفق الدين : نفسه،الجزء الأول،ص:114.

"3": ابن يعيش موفق الدين : نفسه،الجزء السابع،ص:55.

يؤتى بالإعراب"1" للكشف عن المعاني و الإبانة عنها،و بغيره يكون الكلام مبهما و ملتبَسا:(اِعلم أن الإعراب في اللغة البيان". و يقول في موضع آخر من شرح:"الإعراب إنما أُتِي به للفرق بين المعاني،و إذا أخبرت عن الاِسم بمعنى من المعاني المفيدة أحتيج إلى الإعراب ليدل على ذلك المعنى.)"2 " فالإعراب وفق تصور ابن يعيش وطيد الصلة بالمستوى الدلالي و التداولي،إنه الإبانة عن المعاني المختلفة،و مادام الأصل في الإعراب أن يكون للفرق بين المعاني،فيجب على كل دارس للدلالة مراعاة الجانب النحوي لكل مفردة داخل تركيب الجملة ف:"الفاعل يظهر برفعهِ فائدة دخول الإعراب الكلامَ من حيث كان تكلفُ زيادةِ الإعراب إنما احْتُمِلَ للفرق بين المعاني التي لولاها وقع لبس،فالرفع إنما للفرق بين الفاعل و المفعول اللذين يجوز أن يكون كل واحد منهما فاعلا و مفعولا،و رفع المبتدإ و الخبر لم يكن لأمر يخشى التباسه،بل لضرب من الاِستحسان و التشبيه بالفاعل من حيث كان كل واحد منهما مخبرا عنه،و افتقار المبتدإ إلى الخبر الذي بعده كافتقار الفاعل إلى الخبر الذي قبله،و لذلك رُفِعَ المبتدأ و الخبر."3 "كما يتحدد بمقتضى الحركة الإعرابية قصد المتكلم الاِستعمالي و التداولي،و هو وسيلة للإفصاح عما يقصده إليه المتكلم.يقول ابن يعيش:"و اعلم أن(حتى)إنما يتحقق العطف بها في حالة النصب لا غير نحو قولك:رأيت القومَ حتى زيداً فالاِسم بعد(حتى)داخل في حكم ما قبلها،و لذلك تبعه في الإعراب.فأما إذا قلت:قدم القومُ حتى زيدٌ،فإنه لا يتحقق ها هنا العطف لاِحتمال أن يكون حرف ابتداء.و هو أحد وجوهها،و ما بعدها مبتدأ محذوف الخبر و كذلك إذا خفضت ربما يُتوهم فيها الغاية،على نحو قوله تعالى(حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ)"" ."4

للإعراب أثر بارز في تأدية المعنى و كشفه مع إزالة اللبس،إنه الأثر الجلي للاِستعمال،كما له ميزة كبيرة في منح الكلمة حرية داخل التركيب من حيث التقديم و التأخير،إذ يُعد التقديم و التأخير من أهم مميزات اللغة العربية و الذي يمنح المتكلم فرصة تقديم ما يرغب في تقديمه لغرض ما ذو علاقة بقصده،من غير أن تُسلَب الكلمةُ وظيفتَها،كما يمنح الإعرابُ المتكلمَ حريةَ الحركة و تنوعَ مواقع كل مكون من مكونات الجملة،مما يعد **اتساعا** في اللغة.

"1": كلمة إعراب من مصدر الفعل(أعرب)يقال أعرب الرجل عن حاجته أي أبان عنها.و الإعراب في النحو مأخوذ من معنى الإبانة عما في النفس و الكشف عنه.

"2": ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء السابع،ص: 55، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"3": ابن يعيش موفق الدين : نفسه،الجزء الأول،ص:171.

"4": ابن يعيش موفق الدين : نفسه،الجزء الثامن،ص:172.

و لولاه ما ميز المخاطب بين الفاعل و المفعول ،و لكانت اللغة جامدة مقيدة برتبة واحد لا تتغير في جميع الحالات.إن الإعراب يخضع خضوعا مطلقا للمعنى،به يتم الكشف عن الفاعل و المفعول و عن الزمان و المكان...و به نميز العمد من الفضلات.إن حركات الإعراب دوال على المعاني. يقول ابن يعيش:"اِعلم أن الإعراب في اللغة **البيان**،يقال:أعرب عن حاجته إذا أبان عنها.ومنه قوله عليه السلام:(الثيب تُعرِب عن نفسها) و هو مشتق من لفظ العرب معناه، و ذلك لما يُعزى إليهم من الفصاحة،يقال:أعرب و تعرب إذا تخلق بخلق العرب في البيان و الفصاحة...و الإعراب:**الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم لتعاقب العوامل في أولها**،ألا ترى أنك لو قلت:ضرب زيد عمرو بالسكون من غير إعراب لم يُعلم الفاعلُ من المفعول،**و لو اقتُصِرَ في البيان على حفظ المرتبة فيُعلم الفاعلُ بتقدمه و المفعولُ بتأخره لضاق المذهب،و لم يوجد من الاِتساع بالتقديم و التأخير ما يوجد بوجود الإعراب**،ألا ترى أنك تقول:ضَرب زيدٌ عمروا و أَكرمَ أخاك أبوك فيُعلمُ الفاعلُ برفعه و المفعولُ بنصبه سواء تقدم أو تأخر)"[1] نستخلص من قول ابن يعيش أن العلامات الإعرابية من ضم و فتح و كسر و جزم معانٍ دالة على موقع اللفظ من الكلام بغير الاِلتزام برتبة واحدة،مما يمنح الكلام دقة في المعنى و غنى في التعبير .

"1":ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،**الجزء الأول ص**،ص: 168-169، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

3.تداولية الدرجة الثالثة:

المقصود بها دراسة أفعال الكلام و مفهوم الإنجازية،و السياق في هذه الدرجة غني جدا،بحيث إن الأقوال الصادرة عن المتكلمين في إطار وضعيات محددة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية."2"فاللغة من منظور"نظرية الفعل الكلامي" أداة لتغيير العالم و صنع أحداثه و التأثير فيه و ليست مجرد أداة وظيفية تواصلية،كما أنها ليست رموزا للتعبير عن الفكر كما في التصور التوليدي التحويلي.يأتي هذا التصور من القصد الأساس الذي جاءت من أجله نظرية الأفعال اللغوية،باعتبارها ذلك التصرف أو العمل الإجتماعي أو المؤسساتي المنجَز بالكلام.فالأمر و النهي و الوعد و السؤال مثلا ليست مجرد ملفوظات ذات مضامين لغوية محايدة،بل هي إنجازات تواصلية هدفها صناعة أفعال و مواقف اجتماعية أو مؤسساتية بواسطة الكلمات."1 "

تمثل الأقوال عالَما فيزيائيا متحركا في سلسلة لامتناهية من التداعيات و الإرتباطات و العلاقات على مستوى التنظير و الممارسة و التأويل.لذلك عالجت نظرية الأفعال اللغوية لأوستين(1970)هذه الأبعاد فعَدَّت اللجوء إلى اللغة أمرا يندرج في الإطار العام للفعل اللغوي،فكل قول يتضمن أبعادا متعددة:

- **بُعْدٌ يتمثل في القول ذاته.**
- **بُعْدٌ يتمثل في ما يتحقق في استعماله الخاص.**
- **بُعْدٌ يكمن فيما يتحقق بفعل هذا القول."2 "**

المقصود **بالإنجازيات** دراسة أفعال الكلام،و تعد أفعال الكلام أو أفعال اللغة أحد أهم الوظائف التداولية،و قد بدأها أوستين بتمييزه بين الأقوال الوصفية القائمة على ثنائية الصدق و الكذب و بين الأقوال الإنشائية أو الأفعال الإنجازية القائمة على النجاح و الإخفاق.تنطلق هذه النظرية من مسلمة مفادها أن الأقوال الصادرة عن المتكلمين ضمن وضعيات محددة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية.يرجع الفضل في هذا التصور إلى فلاسفة اللغة الإنجليز أمثال أوستين و سيرل اللذين أكدا أن اللغة ليست مجرد بنى و دلالات فحسب،بل هي أيضا أفعال كلامية ينجزها

"1":لقد جمع أوستين آراءه في كتابه (Quand dire c'est faire) و هي فكرة استوحاها من المثل الإنجليزي:(كيف نصنع الأشياء بالكلمات) و التي هي صدى ثقافي لمقولة شعبية(كيف نبني مسكننا بأنفسنا)إذ بواسطة الفعل ننجز فعل الكلام

"2":محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:ص:51 ،طبعة 2002، دار المعرفة الجامعية، مصر.

المتكلم لتحقيق أغراض معينة أو بالأحرى إحداث تغيير معين في سلوك المخاطب بالفعل أو بالكلام،فكل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري،و فضلا عن ذلك يعتبر نشاطا ماديا نحويا يتوسل بأفعال قولية لتحقيق أغراض إنجازية ،كالطلب و الأمر و الوعد و الوعيد،و غايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض و القبول"2".و بذلك فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا،أو بالأحرى يطمح إلى أن يكون ذا تأثير على المخاطب اجتماعيا و مؤسساتيا لإنجاز شيء ما."1" يعتبر الفعل الكلامي من أهم المفاهيم التي قامت عليها اللسانيات ،إنه دعامة أساسية من دعائم اللسانيات التداولية،ظهر هذا المفهوم في إطار نظرية الأفعال الكلامية التي جاء بها كل من أوستين و سيرل،كما يعود الفضل في ظهوره إلى الفلسفة التحليلية و خاصة اللغة العادية، و يُقصَد بالفعل الكلامي:**التصرف أو العمل الإجتماعي أو المؤسساتي الذي يُنْجِزُهُ المتكلم بالكلام**،كما يراد به ذلك **الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة**.للإجابة عن سؤال:كيف ننجز فعلا حين ننطق قولا ؟ أكد أوستين على أن الفعل الكلامي مؤلف من ثلاثة أفعال تعتبر جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد، و لا يُفصل بينهما إلا لغرض الدرس.

"1":صحراوي مسعود:التداولية عند العلماء العرب:دراسة تداولية لظاهرة"الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي:ص:62:الطبعة الأولى،2005،دار الطليعة للطباعة و النشر،بيروت،لبنان.

"2": يصنف سيرل الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف هي:

أ. –الإخباريات أو التقريريات:و غايتها الكلامية تكمن في جعل المتكلم مسؤولا عن وجود وضع الأشياء و اتجاه المطابقة في القصد الإخباري هو من الكلمات إلى العالم (words to world) ويتحقق الغرض الإنجازي فيها بنقل المتكلم لواقعة ما عبر قضية معينة.و جميع أفعال هذا الصنف تحتمل الصدق و الكذب و تتضمن أفعال الإيضاح.

ب. التوجيهيات:و تسمى كذلك الأمريات أو الطلبيات و الغرض الإنجازي منها هو محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما.و يكون اتجاه المطابقة في القصد التوجيهي من العالم إلى الكلمات world to words و يعد المخاطب هو المسؤول عن ذلك كما يتمثل شرط الإخلاص في الرغبة و الإرادة الصادقة.و يتحدد المحتوى القضوي دائما في إنجاز السامع شيئا في المستقبل.

ت. الوعديات:و تسمى الإلتزاميات غايتها الكلامية تتحدد في التزام المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل أم اتجاه المطابقة في الغرض الإلتزامي فيكون من العالم إلى الكلمات.و يعد المتكلم هو الطرف المسؤول عن ذلك،كما أنه لا يحاول التأثير في المخاطب و يكمن شرط الإخلاص في القصد أي في قدرته على أداء ما يلزم نفسه به.

ث. التعبيريات أو البوحيات:الغرض الإنجازي من هذا الصنف من الأفعال هو التعبير عن الموقف النفسي تعبيرا يتوفر فيه شرط الإخلاص.كما أن هذا الصنف ليس له اتجاه المطابقة،إذ المتكلم لا يسعى إلى أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي و لا العالم الخارجي يطابق الكلمات.و المطلوب هو الإخلاص في التعبير عن القضية و يندرج تحت هذا النوع من الأفعال:أفعال الشكر و التهنئة و الإعتذار و التعزية والترحيب.

ج. الإعلانيات:الغاية الكلامية لهذه الأفعال إحداث تغيير عن طريق الإعلان.و ما يميز هذه الأفعال هو أن أداءَها الناجح يكمن في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي.كما أنها تُحدث تغييرا في الوضع القائم و يتحدد شرط الإخلاص في إنجازها بنجاح لتحقيق المطابقة.

لإنتاج فعل كلامي كامل قسمه أوستين إلى ثلاثة أقسام فرعية هي:

- **الفعل القولي أو الفعل التلفظي**: نحققه حين نقول شيئا ما،و يتمثل في ثلاثة مستويات للجملة و ليس الكلمة،هذه المستويات هي:المستوى الصوتي و المستوى التركيبي و الدلالي للجملة التي يعبر بها المتكلم عن قصده،إنه المعنى المستفاد من التركيب.
- **الفعل المتضمن في القول أو الفعل الإنجازي**: يُقْصَدُ به الحدث الذي يَقْصِدُهُ المتكلم بالجملة،مثل الأمر أو النصيحة.هذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية بشكل عام،إنه القوة الفاعلة المصاحبة للجملة.لقد اقترح أوستين تسمية الوظائف اللسانية المضمَرة في هذه الأفعال بالقوى الإنجازية.مثال ذلك: السؤال و التأكيد و التحذير و الوعد و الأمر...و الفرق بين الفعل الأول و الثاني هو أن الفعل الأول مجرد قول أما الفعل الثاني فهو إنجاز فعل ضمن قول.
- **فعل التأثير بالقول أو الفعل الناتج عن القول**:هو الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في المخاطب و رد فعل المتلقي،مثل قبول الدعوة و إجابة السؤال و الإمتثال لأمر أو توليد فعل آخر موازٍ للقول."1 "

إن الأفعال اللغوية غير المباشرة لا تدل هيئتها التركيبية على الزيادة في المعنى الإنجازي الحرفي، بل الزيادة في معنى المتكلم على حد تعبير سيرل،فالمخاطب يَبْلُغُ مراد المتكلم انطلاقا من اعتماد مبدإ التعاون الحواري عند جرايس، و ما سماه سيرل استراتيجية الإستنتاج.لقد وصل سيرل إلى حقيقة مفادها أننا نتواصل بالأفعال اللغوية غير المباشرة أكثر من تواصلنا الأفعال اللغوية المباشرة.إن نظرية الأفعال اللغوية عند سيرل تعد مرحلة أساسية و تالية لمرحلة الإنطلاق عند أوستين.و لعل أهم ما جاء فيها:

- الفعل الإنجازي عند سيرل هو الوحدة الصغرى للإتصال اللغوي و للقوة الإنجازية،لاسيما أن دليل القوة الإنجازية يحدد لنا نوع الجملة المنطوقة من طرف المتكلم.
- لا يقتصر الفعل الكلامي على مراد المتكلم بل هو وطيد الصلة بالعرف اللغوي و الإجتماعي و يلخص سيرل ذلك بعبارته المأثورة:

(Meaning is more than amatter of intention ,it is a matter of convention)

"1":عشير عبد السلام:عندما نتواصل نغير:مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل و الحجاج:ص.ص:65-64،إفريقيا الشرق،2006،الدار البيضاء،المغرب.

يقوم المتكلم وفق تصور سيرل بأربعة أفعال لحظة نطقه لجملة ما:

- إنجاز فعل التلفظ بالكلمات.
- إنجاز فعل القضية أو الجملة.
- إنجاز فعل قوة التلفظ.
- فعل أثر التلفظ:هو المفهوم الذي قدمه أوستين و يتلازم مع مفهوم فعل قوة التلفظ و يجسد النتائج و التأثيرات التي تحدثها الأفعال الإنجازية السابقة في وعي المتلقي و معتقده.إذ يمكن إقناع المخاطب بآلية الحجاج كما يمكن تخويفه أو تنبيهه بالإنذار و يمكن حثه على القيام بفعل ما.

تناول سيرل مستويات الإستعمال اللغوي و صنف معان القول إلى صنفين:

- **المعنى الحرفي أو المعنى المباشر**:في هذا المستوى يتم تناول اللغة العادية ذات المعنى المحدد.
- **المعنى غير المباشر**:هو مستوى أعمق من الأول،يتم فيه إعمال العقل و كذا التخييل لإدراك المعنى المفهوم غير المباشر،مثلما نجد في مجال الإستعارة و المجاز.

كما قسم الأفعال الإنجازية إلى قسمين:

- **الأفعال الإنجازية المباشرة**:هي التي تطابق قوتها الإنجازية قصد المتكلم.
- **الأفعال الإنجازية غير المباشرة**:هي التي تخالف قوتها الإنجازية قصد المتكلم."1"

تعمل تداولية الدرجة الثالثة على توظيف السياق بعمق في تحليلاتها،إذ له الفضل في الكشف عن مقاصد المتكلم و نواياه من الإنجاز الكلامي،كما يعد السياق من أهم دعائم اللسانيات التداولية في دراستها للغة لحظة التداول و الإستعمال،إنه أداة إجرائية فعالة يتم عبرها تجاوز الجانب اللغوي المحض و الإنفتاح على السياق الإجتماعي و النفسي و الثقافي،و السياق صنفان:

"1":صحراوي مسعود:التداولية عند العلماء العرب:دراسة تداولية لظاهرة"الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي:ص:40:الطبعة الأولى،2005،دار الطليعة للطباعة و النشر،بيروت،لبنان.

- **سياق لغوي**:وثيق الصلة بالجانب التركيبي للغة،يُعنى بدراسة العلاقات الداخلية القائمة بين مكونات الجملة الواتحدة.
- **سياق مقامي**:يمثل مجموع المعطيات المشتركة بين المتكلم و المخاطب.بناء على السياق بصنفيه يحاول المخاطب الكشف عن قصد المتكلم الذي يراعي في إنجازه الكلامي قرائن الأحوال و مقامات الكلام،و بذلك يمكن القول إن المتكلم بصفته منشئ الخطاب و منجزه ينطلق من المعنى إلى المبنى بينما ينطلق المخاطب من المبنى إلى المعنى.

باعتماد المنظار التحليلي لسيرل في دراسة كتاب شرح المفصل لِابن يعيش،نقف على القضايا التالية:

1.3.الأفعال الكلامية في الغرض(القصد) و الإفادة.

2.3.الأفعال الكلامية في حروف المعاني.

3.3.الأفعال الكلامية في الأساليب اللغوية.

1.الأفعال الكلامية في القصد و الإفادة.

أ.القصد:

تتنوع دلالة الأفعال اللغوية على القصد،هذا التنوع رهين بقصد المرسل لا بالشكل اللغوية لهذه الأفعال،و ذلك عبر الملاءمة بين الشكل اللغوي المناسب و بين العناصر السياقية.إذ لا يعقل أن يكون المعنى الحرفي للغة هو معنى الخطاب الوحيد،و يعد هذا الأمر من أهم دوافع توسع اللسانيات التداولية إذ بدأ التركيز أكثر على المعنى التداولي أو بالأحرى التركيز على الكلام و القصد و كيفية التعبير عنه بالفعل اللغوي غير المباشر.يتشكل القصد وفق السياق و ملابساته إذ يعتبر عماد الخطاب لتجسيد معنى المتكلم عوض التقيد بالمعنى الحرفي الصرف رغم تطابقهما في بعض السياقات،كما تعد نظرية القصدية لجرايس من أهم الدراسات المعاصرة التي جعلت قصد المرسل صلب النظرية اللسانية.

القصد لغة:استقامة الطريق.قصد يقصد قصدا،فهو قاصد.و قوله تعالى:"وَ عَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ"،أي على الله تبيين الطريق المستقيم و الدعاء إليه بالحجج و البراهين الواضحة...و القصد إتيان الشيء.تقول:قصدته و قصدت له و قصدت إليه بمعنى." "1" عموما يتحدد المعنى اللغوي للقصد في بلوغ الشيء و إتيانه،و يعد القصد جوهر العملية التواصلية،و في غياب القصد ينعدم التواصل،كما يضطلع القصد بمهمة تصنيف العلامات إلى علامات ذات دلالة طبيعية و علامات ذات دلالة مقصودة،و بلغة جرايس المعنى الطبيعي و المعنى غير الطبيعي.يمكن القول إذن إن القصد يتصل اتصالا وثيقا بالإستعمال و التداول.يقول طه عبد الرحمن:"ينضبط هذا التقسيم بما يمكن أن نسميه القصدية،و مقتضاه أنه لا كلام إلا مع وجود القصد من القول الذي يورث استلزاماته الصبغة السياقية أو المقامية."2" إن المقاصد هي الأساس في كل خطاب،كما لا يسمى الفعل فعلا ما لم يكن مقرونا بالقصد.إن الاهتمام بقصد المتكلم يعد جوهر نظرية جرايس،إذ يفترض وجود تعاون يؤسس لتفاعل ايجابي بين كل من المخاطب و المتكلم،فيعبر المتكلم عن قصده وفق احترام قواعد التخاطب أو خرقها أحيانا أخرى،فيغدو القصد وفق هذا التوجه الإستعمالي هو

"1":إبن منظور:لسان العرب:المجلد12،(مادة قصد)، الطبعة الثالثة،1994،دار صادر،بيروت،لبنان.

"2":طه عبد الرحمن:التكوثر العقلي،ص:246.

معنى المتكلم لحظة إنجاز أفعال كلامية في سياقات كثيرة و متنوعة.لقد جاء شرح ابن يعيش للمفصل حافلا بالألفاظ و المصطلحات الدالة على القصد والمراد و الغرض و النية مما يعبر عن اعتداد كبير بالعملية التخاطبية و القصد منها.يقول ابن يعيش: :"اِعلم أن التمييز و التفسير و التبيين واحد،و **المراد** به رفع الإبهام و إزالة اللَّبس،و ذلك نحو أن تُخبر بخبر أو تذكر لفظا يحتمل وجوها،فيتردد المخاطب فيها،فتنبهه على **المراد** بالنص على أحد محتملاته تبيينا **للغرض**،و لذلك سمي تمييزا و تفسيرا."[1] و يقول في موضع آخر:"و في هذا الباب تخصه بفعل يعمل فيه النصب **تقصد به** الإِختصاص على سبيل الإِفتخار و التفضيل له.و الإِسم المنصوب في هذا الباب لابد أن يتقدم ذكره و يكون من أسماء المتكلم و المخاطب،نحو قوله:

أبى اللهُ إلاَّ أَنَّنَا آلَ خِنْدِفٍ بِنَا يَسمعُ الصوتَ الأنامُ و يُبْصِرُ

فآلُ خِنْدِفٍ هم النون و الألف في أَنَّنَا،و كذلك قولهم:نحنُ العربَ أقرى الناسِ للضيف،فالعرب هم نحن ،و نصب هذه الأسماء كنصب ما ينتصب على التعظيم و الشتم بإضمار **أريد** أو **أعني** أو أختصُّ،فالإِختصاص نوع من التعظيم و الشتم،فهو أخص منهما لأنه يكون للحاضر نحو المتكلم و المخاطب،و سائر التعظيم و الشتم يكون للحاضر و الغائب،و هذا الضرب من الإِختصاص **يُراد** به تخصيص المذكور بالفعل و تخليصه من غيره على سبيل الفخر و التعظيم،و سائر التعظيم و الشتم ليس **المراد به** التخصيص و التخليص من موصوف آخر،و إنما **المراد** المدح و الذم."[2] و قد يعمد المتكلم إلى تقديم مكون من مكونات الجملة لغرض العناية و الإِهتمام بهذا المكون ،يقول ابن يعيش:"و قد تقدم المفعول لضرب من التوسع و الإِهتمام به و **النية** به التأخير،و لذلك جاز أن يقال:ضرب غلامَه زيدٌ،فالغلام مفعول و هو مضاف إلى ضمير الفاعل و هو بعدَه متأخِّر عنه،فهو في الظاهر إضمار قبل الذكر لكنه لما كان مفعولا كانت **النية به** التأخير لأنه لما وقع في غير موضعه كانت النية به التأخير إلى موضعه،و يكون الضمير قد تقدم في اللفظ دون المعنى"[3].

"1": ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الثاني ،ص:172 ، دار سعد الدين للطباعة و النشر التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2": اِبن يعيش موفق الدين:نفسه، **الجزء الثاني** ،ص:46 .

"3": اِبن يعيش موفق الدين:نفسه،الجزء الأول ،ص:177 .

ب.الإفـــادة:

يكاد يجمع أغلب اللغويين العرب القدامى على أن الجملة لا تسمى جملة و لا كلاما إلا إذا كان لها معنى يفهمه السامع و إلا كانت لغوا،و يقصد بالإفادة عند التداوليين حصول الفائدة لدى المخاطب و هي التمرة التي يجنيها المخاطب من الخطاب،بها نقيس مدى نجاح التواصل اللغوي"1".كما أنها ألصق بالمخاطب و ما يجنيه من فائدة تواصلية من خطاب المتكلم ،لأن المقصود بها حصول الفائدة لدى المخاطب من الخطاب و وصول الرسالة الإبلاغية إليه و يناقش اللغويون في إطار اللسانيات التداولية مسألة الإفادة ضمن عدة ظواهر أسلوبية منها :التعيين و النفي و الإثبات و الذكر و الحذف و التقديم و التأخير.

إن الإفادة لا تحصل لدى المخاطب من منظور ابن يعيش إلا باستيفاء بعض الشروط التي يكون بها الكلام "كلاما" أي خطابا متكاملا يحمل رسالة إبلاغية واضحة يسعى المتكلم إيصالها للمخاطب.من أهم الشروط:

- ثبوت معنى دلالي عام للجملة.
- أن تكتمل النسبة الكلامية للجملة،فتحصل للسامع إفادة من الكلام يكتفي بها،و ذلك بأن تكون عناصر العبارة معينة و دالة .

أما إذا انتفى أحد هذين الشرطين،فإن الجملة تفقد أهم شرط و هو حصول الفائدة لدى السامع،و لا يصح عندئذ تسميتها بالجملة و لا بالكلام .يقول ابن يعيش في تعريف الكلام : "إن الكلام عبارة عن الجمل المفيدة و هو جنس لها فكل واحدة من الجمل الفعلية و الإسمية نوع له يصدق إطلاقه عليها ،كما أن الكلمة جنس للمفردات فيصح أن يقال :كل زيد قائم "كلام"و لا يقال "كل كلام"زيد قائم" و كذلك مع الجملة الفعلية"2"

إن هذا التعريف الذي وضعه ابن يعيش للكلام شكل أساسا سوف يستمر و يمضي عليه النحاة و بخاصة بعد أن قال ابن مالك في ألفيته:"كلامنا لفظ مفيد كاستقم "و الناظر في شرح المفصل يجد أن ابن يعيش كان يراعي في توجيهاته المختلفة للمسائل النحوية هذه الظاهرة إفادة المخاطب ما لم يكن عنده،لأن عنصر الإفادة متعلق بالمخاطب.لقد قامت قواعد النحو على اعتبار عنصر إفادة المخاطب موجها في التقعيد النحوي و يتجلى عنصر الإفادة واضحا في كتب الشروح النحوية و لاسيما

"1":صحراوي مسعود:التداولية عند العلماء العرب:دراسة تداولية لظاهرة"الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي:ص: 186،الطبعة الأولى،2005،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت،لبنان.

"2":": ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،:**الجزء الأول ص**:21، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

شرح المفصل،إذ وظف ابن يعيش مبدأ الإفادة في توجيه المبتدإ المعرفة و الخبر النكرة.من ذلك شرحه للتعريف و التنكير المتعلقين بالعملية الإسنادية في الجملة الاِسمية(المبتدأ و الخبر)إذ يقول:"اِعلم أن أصل المبتدإ أن يكون معرفة،و أصل الخبر أن يكون نكرة،و ذلك أن الغرض في الإخبارات **إفادة المخاطب ما ليس عنده و تنزيله منزلتك في علم ذلك الخبر** و الإخبار عن النكرة لا فائدة فيه."[1] يوضح هذا النص مفهوم الإفادة بكل تفصيل ،فهو يبين أن الإفادة تكون للسامع المخاطب لا لغيره،كما بين أن موطن الإفادة في الخطاب النكرة(من حيث الأصل) و أن غرض المتكلم من الخطاب إنزال المخاطب منزلته في العلم بمضمون الخطاب،و سميت النكرة نكرة لأن المخاطب يجهلها يقول ابن يعيش:"و لأن النكرة ما لا يعرفه المخاطب،و إن كان المتكلم يعرفه ألا ترى أنك تقول:عندي رجل ،فيكون منكورا و إن كان المتكلم يعرفه،فالمعرفة و النكرة بالنسبة إلى المخاطب."[2] فالاِبتداء بالنكرة لا يحصل إلا بمسوغات مخصوصة تجعل من النكرة كالمعرفة في العلم بها.لقد أكد ابن يعيش أن الجملة دالة على الفائدة في معناها الدلالي العام الحاصل بعملية الإسناد،فإذا دخل عليها استفهام كان استفهاما عن الفائدة المتحصل عليها بوصفها معنى عاما للجملة،فيقول:"فإذا قيل:إذا كان الاِستفهام يقتضي الفعل على ما أقررتم،فما بَالُكُمْ ترفعون بعده المبتدأ و الخبر،فيقولون:أزيد قائم؟و هل زيد قائم؟فالجواب أن الجملة قبل دخول الاِستفهام تدل على فائدة،فدخل الاِستفهام سؤالا عن تلك الفائدة".[3]و يجعل ابن يعيش الفائدة بوصفها ثمرة معنى عام(الجملة)و الفائدة بمحدد الاِعتماد و المحل بقوله:"اِعلم أن المبتدأ و الخبر جملة مفيدة تحصل الفائدة بمجموعهما،فالمبتدأ معتمد الفائدة و الخبر محل الفائدة فلابد منهما."[4]

الإفادة وفق تصور ابن يعيش قرينة تداولية مهمة في تحقيق إنجازية الخطاب،إذ يؤمن بأن قصد المتكلم لا يمكن بلوغه و إدراكه بغير قرائن نصية تركيبية في الكلام،و يعد هذا الأمر عنصرا مهما في اللسانيات التداولية،فلا يتحقق القصد بغير اللغة التي هي مجال كشف المقاصد عبر توظيف آليات الحذف و الذكر و التعريف و التقديم و التأخير...و هي خواص تركيبية ينتقي منها المتكلم ما يتواءم و قصدَه التداولي،فوجوب الحذف مثلا مشروط

"1": اِبن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق،إبراهيم محمد عبد الله،: **الجزء الأول،ص**:200، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2":اِبن يعيش موفق الدين :نفسه،**الجزء الأول ص**:200.

"3" اِبن يعيش موفق الدين :نفسه،**الجزء الأول، ص**:190.

"4": اِبن يعيش موفق الدين :نفسه،**الجزء الأول، ص**:218.

بإرادة المتكلم الإبانة و الإفصاح أما إذا كان مدعاة للغموض و الإبهام فلا يجب الحذف.نموذج ذلك "التمييز"، فالغرض من توظيفه في الجملة رفع الإبهام و إزالة اللبس.يقول ابن يعيش:"اِعلم أن التمييز و التفسير و التبيين واحد، و المراد به رفع الإبهام و إزالة اللَّبس،و ذلك نحو أن تُخبر بخبر أو تذكر لفظا يحتمل وجوها،فيتردد المخاطب فيها،فتنبهه على المراد بالنص على أحد محتملاته تبيينا للغرض،و لذلك سمي تمييزا و تفسيرا."[1]

لإقامة تواصل لغوي مفيد أي محقق لمبدإ "الإفادة " كشرط أساس لعملية التواصل،اهتم ابن يعيش بظاهرة التعيين.كما ربط مفهوم الإفادة بمقولة "التعريف و التنكير "في ظواهر و علاقات نحوية كبرى كالإسناد،و في هذا الإطار نجده يشترط في المسند إليه (المبتدأ) ألا يكون نكرة محضة تجنبا للإخلال بالإفادة،مثال : رجلٌ قائمٌ – رجلٌ عالمٌ. إن الجملتين غير مفيدتين للسامع و من تم فهما لاحِنَتَان و العرب ينهجون هذا المسلك في أحاديثهم درءً للبس،فَهُم يكرهون البدء بما فيه لبس لئلا يقع تشويش على المخاطب في تلقي الرسالة الإبلاغية لذلك يرى ابن يعيش أن المعروف–المعين – هو المبدوء به، و إذا لم تحصل الإفادة لدى المخاطب لم يجُزِ الِابتداء بالنكرة،أما إذا تحققت الإفادة في النكرة جاز الإخبار عنها و الإسناد إليها.تحقيقا لهذا المطلب نجد ابن يعيش يحمل الظاهرة على قاعدة لغوية هامة هي **قاعدة أمن اللبس** أو حصول الفائدة التواصلية لدى المخاطب،بناءً على هذا التحليل التداولي الصريح يؤكد ابن يعيش على قاعدة أساسية في النحو العربي و هي أن الأصل في المبتدإ (المسند إليه)أن يكون معرفة و أن الأصل في الخبر (المسند) أن يكون نكرة،و التعليل النحوي الذي قدمه هو أن لا فائدة من الإخبار عن النكرة و الِابتداء بالنكرة يؤدي إلى اللبس.يقول ابن يعيش:"اِعلم أن أصل المبتدإ أن يكون معرفة، و أصل الخبر أن يكون نكرة،و ذلك لأن الغرض في الإخبارات إفادة المخاطب ما ليس عنده و تنزيله منزلتك في علم ذلك الخبر،و الإخبار عن النكرة لا فائدة فيه،ألا ترى أنك لو قلت:رجلٌ قائمٌ أو رجلٌ عالمٌ لم يكن في هذا الكلام فائدة لأنه لا يُستنكَر أن يكون رجلٌ قائما و عالما في الوجود ممن لا يعرفه المخاطب،و ليس هذا الخبر الذي تنزَّلَ فيه المخاطَبُ منزلتَك فيما تَعلم،فإذا اجتمع معك معرفة و نكرة فحق المعرفة أن تكون هي المبتدأ و أن يكون الخبر هو النكرة لأنك إذا ابتدأت بالِاسم الذي يعرفه المخاطب كما تعرفه أنت فإنما ينتظر الذي لا يعلمه"[2]

"1": ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،:الجزء الثاني،ص:172 ، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2": ابن يعيش موفق الدين :نفسه،الجزء الأول:201.

فصل ابن يعيش في حالات الإبتداء بالنكرة في مواضع مخصوصة لحصول الفائدة:

أ. **الموصوفة**:رجلٌ من بني تميم جاءني.

ب. **النكرة إذا كانت مسبوقة باستفهام أو نفي**:أرجل عندك أم امرأة؟ و ما أحدٌ خيرٌ منك.

ت. **إذا كان الخبر عن النكرة ظرفا أو جارا و مجرورا و تقدم عليها**،نحو:تَحْتَ رأسي سَرْجٌ و لِي مَالٌ."1"

لكل بنية تركيبية معناها و مقصدها و غايتها التداولية،كما أنه لكل صيغة لفظية وظيفة إبلاغية توحيها ملابسات الخطاب و مقاصده. من أهم هذه المقاصد و الملابسات مراعاة حال المخاطب و الفائدة التي يجنيها من الخطاب.لأجل ذلك يربط ابن يعيش مصطلح الفائدة بمصطلح الإسناد،إذ لا تتحقق الفائدة بغير الإسناد،يقول:(إعلم أن الكلام عند النحويين عبارة عن كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه و يسمى الجملة،نحو:زيد أخوك و قام بكر.)"2"و قد اشترط النحاة العرب على الإسناد شروطا،من ذلك أن شرط الإسناد أن يكون عن معروف أي ما يعرفه المخاطب.و لقد درس ابن يعيش باب المبتدأ و الخبر دراسة تركيبية و تداولية يقول:(المبتدأ معتمد الفائدة و الخبر محل الفائدة)و قوله:(أصل المبتدإ أن يكون معرفة)(فالمعرفة و النكرة بالنسبة إلى المخاطب)(لأن النكرة ما لا يعرفه المخاطب و إن كان المتكلم يعرفه)و هذا يتفق مع ما يُنَظِّرُ له التداوليون في الدرس اللساني الحديث،فالمبتدأ عند فان ديك هو ما يحدد مجال الخطاب.

إن بنية الجملة في اللغة العربية تقوم على وظيفتين تعدان دعامتين أصليتين هما:المسند و المسند إليه،و يكون بين المبتدإ و الخبر أو بين الفعل و الفاعل،يطلق عليهما ابن يعيش مصطلح" العمد"،لأنها اللوازم للجملة و العمدة فيها،ما عداها من التوابع و التقييدات فضلة يستقيم الكلام دونها.يرى ابن يعيش أن الكلام بمعنى الجمل المفيدة(لا يتأتى إلا من اسمين أو من اسم وفعل،فلا يتأتى من فعلين و لا حرفين...)لابد إذن من وجود الإسم في كل جملة مفيدة،لذلك كان من أنواع الإسم الضمير الذي يكون صالحا للبروز و الإستتار حتى تستقيم فكرة الإسناد. و بناء على فكرة الإسناد صنف ابن يعيش أنواع الجمل في اللغة العربية إلى صنفين:الجملة الإسمية

"1":ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله، **الجزء الأول** ،ص:201، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2":ابن يعيش موفق الدين : نفسه،الجزء الأول،ص:46.

و الجملة الفعلية،و أمكن رد الجملة الشرطية إلى الجملة الفعلية.إذ يقول:في أقسام الجمل:(و اعلم أنه قَسَّمَ الجملة(الزمخشري) إلى أربعة أقسام فعلية و اسمية و شرطية و ظرفية و هذه قسمة أبي علي،و هي قسمة لفظية، و هي في الحقيقة ضربان:فعلية و اسمية،لأن الشرطية في التحقيق مركبة من جملتين فعليتين.الشرط فعل و فاعل و الجزاء فعل وفاعل.)"1" إن تصنيف الجملة لديه يتم على أساس وضع المسند في الجملة و نوع الكلمة التي تقوم به. فإذا كان المسند متأخرا عن المسند إليه فالجملة لابد أن تكون اسمية أيا كان نوع المسند و إذا تقدم المسند و كان فعلا أسند إلى الفاعل الموجود في الجملة نفسها كانت الجملة فعلية و ترتب على هذا أن طرفي الإسناد في الجملة الاِسمية لها حرية الرتبة إلا لعارض و أن الترتيب ملتزم به في الجملة الفعلية.لقد كان ابن يعيش على صواب عندما قال إن جملة " زيد قام " جملة اسمية لا فعلية و ذلك لانتمائها إلى خصائص الجملة الاِسمية،و قد عبر ذلك معللا بأن الفاعل لا يجوز أن يتقدم على فعله،لأنك "لو قدمت الفاعل فقلت " زيد قام " لم يبق عندك فاعلا و إنما يكون مبتدأ و خبرا معرضا للعوامل اللفظية."2 "

الإسناد لغة إضافة شيء إلى آخر أو ضم شيء إلى شيء (لسان العرب)و هو في اصطلاح النحويين العرب ضم كلمة إلى أخرى بحيث يفيد السامع منها فائدة تامة،إنه باب ناظم للعلاقات التركيبية وأحد أسس اكتمال العملية التواصلية في بعدها التداولي لتوقف تمام الفائدة عليه من جهة و لحاجة المخاطب في وضعه الاِنتظاري إعلامه بما تتوقف عليه الفائدة،و شرط الإسناد أن يكون عن معروف أي ما يعرفه المخاطب كما أنه حتى في الحالات الاِستخبارية يقع على جزء من معرفة المستخبرين."3 "يَنظر ابن يعيش للإسناد بكونه الأساس الذي لا يمكن أن تنعقد الجملة دونه،إنه عماد كل العلاقات الأخرى،كما يعتبره أعم من الخبر لأن الإسناد يشمل الخبر و غيره من الأمر و النهي والاِستفهام:يقول ابن يعيش:(إعلم أن الكلام عند النحويين عبارة عن كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه ويسمى الجملة ،نحو:زيد أخوك و قام بكر،و هذا معنى قول صاحب الكتاب... و قوله:" أُسنِدَت إحداهما إلى الأخرى"فصل ثان احترز به عن مثل معدي كرب و حضرموت و ذلك أن التركيب على ضربين:تركيب إفراد و تركيب إسناد،فتركيب الإفراد أن تأتي بكلمتين فتركبهما و تجعلهما كلمة واحدة بإزاء حقيقة

"1": ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،**الجزء الأول،ص**:206-207، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2": ابن يعيش موفق الدين :نفسه،**الجزء الأول،ص**:174.

"3":إدريس مقبول: البعد التداولي عند سيبويه :مجلة عالم الفكر، العدد الأول المجلد :33 ،يونيو –سبتمبر 200،الكويت.

واحدة بعد أن كانتا بإزاء حقيقتين،و هو من قبيل النقل،و يكون في الأعلام نحو،معدي كَرِب و حضرموت وقاليْ قَلاَ،و تفيد هذه الكَلِم بعد التركيب حتى يُخْبَرَ عنها بكلمة أخرى،نحو معدي كَرِب مُقْبِلٌ و حضرموت طيِّبَةٌ،و هو اسم بلد باليمن.و تركيب الإسناد أن تركِّبَ كلمة مع كلمة تُنْسَبُ إحداهما إلى الأخرى.فعرَّفك بقوله:"أُسنِدَتْ إحداهما إلى الأخرى"أنه لم يُرِدْ مطلق التركيب،بل تركيب الكلمة مع الكلمة إذا كان لإحداهما تعلق بالأخرى على السبيل الذي به يحسن موقع الخبر و تمام الفائدة.و إنما عبر بالإسناد و لم يعبر بلفظ الخبر، و ذلك من قِبَلِ أن الإسناد أعمُّ من الخبر لأن الإسناد يشمل الخبر و غيره من الأمر و النهي و الاستفهام،فكل خبر مُسنَدٌ و ليس كل مسند خبرا،و إن كان مرجِعُ الجميع إلى الخبر من حيث المعنى،ألا ترى أن معنى قولنا:""قُمْ"أطلبُ قيامك و كذلك الإستفهام و النهي ،فاعرفه.)"[1]

يرى ابن يعيش أن التركيب الذي ينعقد به الكلام و تحصل منه **الفائدة** لا يتم إلا من اسمين مثل:زيد أخوك أو من فعل و اسم،مثل:قام زيد و لا يتأتى من فعل و حرف و لا حرف و اسم معللا ذلك بقوله:(و قوله: "و هذا"إشارة إلى التركيب الذي ينعقد به الكلام و يحصل منه الفائدة،فإن ذلك لا يحصل إلا من اسمين،نحو:زيد أخوك و الله إلهنا،لأن الإسم كما يكون مُخبَرا عنه فقد يكون خبرا،أو من فعل و اسم،نحو:قام زيد و انطلق بكر،فيكون الفعلُ خبراً و الإسمُ المخبَر عنه،و لا يتأتى ذلك من فعلين لأن الفعلَ نفسَه خبرٌ و لا يفيدُ حتى تُسندَه إلى محدَّث عنه،و لا يتأتى من فعل و حرف و لا حرف و اسم لأن الحرف جاء لمعنى في الإسم والفعل،فهو كالجزء منهما و جزء الشيء لا ينعقد مع غيره كلاما و لم يُفد الحرف مع الإسم إلا في موطن واحد.وهو النداء خاصة و ذلك لنيابة الحرف فيه عن الفعل،و لذلك ساغت فيه الإمالة.)"[2]

"1": ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،**الجزء الأول ص**:46-47 ، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2": ابن يعيش موفق الدين : نفسه،**الجزء الأول ص.ص**:47-48.

2.3.أفعال الكلام في حروف المعاني:

اللغة نظام من العلاقات النحوية و الدلالية و السياقية تنتظم في عدة أنساق لغوية أهمها الجملة،و يعد الربط و الترابط من أهم العناصر التي تتحكم في الجملة ،كما يتحقق بآليات عدة،و يعتبره جون كوهن:"ملفوظا تتصل عناصره بمحمول أو أكثر بينهما ترابط " "1 إذ بواسطتها تُستنبَط المعاني المطلوبة و بها يُزالُ اللبس في الكلام دون الحاجة إلى كثرة التعليلات و التأويلات بغية الوصول إلى فهم المعنى. إنها "القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم و المتخلجة في نفوسهم و المتصلة في خواطرهم و الحادثة في فكرهم ،تحل المنعقد و تجعل المهمل مقيدا و المقيد مطلقا و كلما كانت الدلالة أوضح و أفصح و كانت الإشارة أبين و أنور ،كانت المعاني أنفع و أنجع."2" إنها علامة من علامات تحديد المعنى من ذلك اللفظ لتشكل مع غيرها من القرائن علامات مؤكدة للمعنى الواحد دون غيره من المعاني. ف"حيث يوجد كلام ، متتالٍ ،يوجد بالضرورة تتبع،تسلسل،و باختصار يوجد ربط للعبارات."3" إن الجملة وحدة تركيبية تؤدي معنى دلاليا واحدا و قضية استقلالها فكرة نسبية تحكمها علاقات الارتباط و الربط و الاِنفصال في السياق،لأجل ذلك تعتمد الجملة عنصر الربط بجميع أشكاله،لضم أجزاء النص و تركيب مقاطعه و نسج خيوطه ثم الوصل بين قضاياه.يعد الربط" قرينة لفظية على اتصال أحد المترابطين بالآخر."4" إنها علاقة قائمة بين السابق و اللاحق في سياق لغوي محدد و بإحدى وسائل الربط و هي ظاهرة في التراكيب اللغوية تُسْهِم في إدراك علاقات مفردات الجملة و علاقات الجمل بعضها ببعض .

من أهم الوسائل التي تتحقق بها قرينة الربط الحرف أي ما يسمى بالأداة أو حروف المعاني و هي بذلك تتميز عن أحرف البناء التي تبنى منها صيغة الكلمات،كما تتصل حروف المعاني مثل باقي أقسام الكلم في التراث اللغوي العربي اتصالا وثيقا بمستويين أساسيين هما:المستوى الدلالي الذي يروم دراسة المعاني الوضعية لهذه الحروف بحصر دلالاتها في أصل اللغة و الثاني تداولي استعمالي يروم دراسة الملفوظ اللساني في إطار السياق الذي ورد فيه.

"1":كوهن جان: بنية اللغة الشعرية:ترجمة:محمد الولي و محمد العمري:ص :22،الطبعة الأولى،1986،دار توبقال للنشر،المغرب.

"2": الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر:البيان و التبيين:تحقيق:عبد السلام هارون:الجزء الأول،ص:75،الطبعة السابعة،1998 ،**سلسلة مكتبة الجاحظ،مكتبة الخانجي،القاهرة،مصر**.

"3 : كوهن جان:نفسه:ص :166.

"4":حسان تمام:اللغة العربية معناها و مبناها: ص :213،طبعة 1994،دار الثقافة،الدار البيضاء،المغرب.

إذا كان الربط في اللغة ينصرف إلى العملية الآلية للشد و التلاحم،فإن الربط في الإصطلاح اللساني التداولي هو العملية التي تتصل بها جمل النص من أجل إقامة علاقة دلالية بينها.فيه يتمثل التماسك الشكلي و الدلالي تمهيدا للوصول إلى التماسك الكلي الذي يتحقق بعوامل داخل النص و أخرى خارج النص،و للإشارة فإن الترابط هو عملية أخرى تختلف عن الربط و هي عملية ثابتة تمثل محصلة لعملية الربط السابقة و يفرق بين المفهومين الكاتب مصطفى حميدة بقوله :"...فأما **الإرتباط** فهو نشوء علاقة نحوية سياقية بين معنيين دون اللجوء إلى واسطة لفظية تعلق أحدهما بالآخر،فهي أشبه بعلاقة الشيء بنفسه و أما **الربط** فهو اصطناع علاقة نحوية سياقية بين معنيين باستعمال واسطة تتمثل في أداة رابطة تدل على تلك العلاقة أو ضمير بارز عائد.و يكون الربط إما لأمن لبس الإنفصال أو لأمن لبس الإرتباط.و أما الإنفصال فهو انعدام العلاقة الدلالية النحوية بين معنيين."[1]

إن تراصف الكلمات في النص دون تلاحمها و ترابطها يجعل منها مجرد ألفاظ لغوية يجاور بعضها بعضا لا تؤدي أي معنى أو هدف لغوي،و لا يمكن للغة متقطعة الأوصال،متنافرة التراكيب أن تحقق هدف التواصل و تحظى بالتناسق و المقبولية،فعلاقات الربط تساهم في بناء التركيب السليم للغة "و إنعاش الذاكرة لاستعادة مذكور سابق بواسطة إحدى الوسائط اللفظية التي تعين على الوصول إلى هذه الغاية."[2] هذه الوسائط اللفظية هي الروابط، إنها أهم وسيلة لتحقيق التلاحم في جسد اللغة التي يولد منها النص المتماسك.إن وظيفة الأداة ناشئة من تلخيصها لمعنى نحوي كالعطف و الشرط و الإستثناء و غيرها من المعاني،كما تفيد الأدوات في تماسك النص لما لها من أثر فعّال في خلق التضام بين مفرداته.ذلك إن بعضا منها لا يدخل إلا على نوع واحد من العناصر اللغوية كأن يختص بالإسم فقط مثل حروف الجر أو يختص بالفعل فقط كأحرف النصب أو الجزم و الأداة.

من أهم الوسائل التي يتحقق بها الربط وسيلة الحرف أي ما يسمى الربط بحروف المعاني و هي قسم من أقسام الكلام.تتميز بذلك عن أحرف البناء أو الحروف الهجائية التي تبنى منها صيغة الكلمات.تضم الروابط كلمات تنتمي لأقسام نحوية مختلفة من النحو التقليدي (أقسام الكلم) غير أن لها وظيفة في مستوى الخطاب هي وظيفة

"1": حميدة مصطفى:نظام الإرتباط و الربط في تركيب الجملة العربية:ص:203،الطبعة الأولى 1997،مكتبة لبنان،الشركة المصرية العالمية للنشر،بيروت،لبنان.

"2": حميدة مصطفى:نفسه:ص:203.

الربط بين الأقوال."1" إذ تعتبر قرينة الأداة من القرائن المهمة في الِاستعمال العربي و هي قرينة لفظية أساسية. تشترك الأدوات جميعا في كونها لا تدل على معانٍ معجمية بل تدل على معنى وظيفي عام هو التعليق ثم تختص كل طائفة منها تحت هذا العنوان بوظيفة خاصة ،بمعنى أنها كلمات فارغة من مضمونها المعجمي و لا يظهر معناها إلا حين توصل بغيرها و تعد من أشهر أنواع التعليق في اللغة العربية."2"إن المعنى الوظيفي الذي يؤديه الحرف ينسحب على مجموع عناصر الجملة،إذ يلخص العلاقة بين أجزاء الجملة ،كما تقوم هذه الأداة بوظيفة الربط في الجملة التي تدخل عليها و بين الجمل الكائنة فيها ، لأنها بشتى أنواعها تدل على معنى وظيفي هو الربط السياقي"3".إن الحرف الداخل على الجملة يلخص الأسلوب النحوي للجملة كالنفي أو الِاستفهام أو الشرط ... لأنه من المنطقي أن يتعلق الحرف بمجموع الجملة و هو بذلك يحقق أهم تعليق للجملة و الجمل،و يعتبر تمام حسان التعليق بالأداة من أشهر أنواع التعليق في اللغة العربية الفصحى .

إن الأداة التي تدل على معنى في غيرها تقتصر على حروف المعاني.يقول ابن يعيش:(الحرف كلمة دلت على معنى في غيرها.فقولنا:كلمة جنس عام يشمل الِاسم و الفعل و الحرف.وقولنا:دلت على معنى في غيرها ،فصل ميَّزه من الِاسم و الفعل ،إذ معنى الِاسم و الفعل في أنفسهما ، ومعنى الحرف في غيره.ألا تراك إذا قلت :الغلامُ فُهِمَ منه المعرفةُ.و لو قلت :أل مفردةً لم يفهم منه معنىً ،فإذا قُرِنَ بما بعده من الِاسم أفاد التعريف في الِاسم .فهذا معنى دلالته في غيره.)"4"

يعلل ابن يعيش سبب اختياره لهذا التعريف دون غيره بقوله (ما دل على معنى في غيره أمثل من قول من يقول :ما جاء لمعنى في غيره،لأن في قولهم:ما جاء لمعنىً في غيره إشارة إلى العلة .و المراد من الحد الدلالةُ على

"1": موشلار جاك و آن روبول :التداولية اليوم :علم جديد في التواصل:ترجمة سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني،مراجعة:لطيف زيتوني،ص :169 ،المنظمة العربية للترجمة،الطبعة الأولى 2003،دار الطليعة للطباعة و النشر،بيروت،لبنان.

"2": حسان تمام:الخلاصة النحوية:ص:123 ،طبعة 2000،عالم الكتب،القاهرة،مصر.

"3":حسان تمام:نفسه:ص:70.

"4":ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله، **الجزء الثامن،ص5**، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

الذات لا العلة التي وضع لأجلها إذ علة الشيء غيره.و قولنا:كلمة أَسَدٌ من قوله:"ما دلَّ" لأن الكلمة أقرب إلى الحرف،فهي أدل على الحقيقة.)"1"

من أهم خصائص حروف المعاني وفق تصور ابن يعيش :

- لا يُخبَرُ بالحروف ولا يُخبَرُ عنها:فلا نقول :"إلى قائم":على أن يكون "إلى" مبتدأ و قائم خبر.
- لكونه لا يدل على معنى إلا في غيره افتقر إلى ما يكون معه ليفيد معناه فيه.

لَمَّا اشترط في الحرف أن يكون مصحوبا بغيره –إذ لا معنى له في ذاته –استثنى منه حروفا قد يحذف الفعل منها و يبقى الحرف وحده مفيدا معنى ،و قد يُعتقد أن تلك الفائدة من الحرف نفسه ،بيد أن تلك الفائدة حصلت بتقدير المحذوف.هذه الحروف هي التي يُجابُ بها و هي :نَعَم و بَلَى و إيْ وإنَّهْ بمعنى نَعَمْ.

بعد أن وضع ابن يعيش حد هذه الحروف و أزال كل ما من شأنه أن يجعلها ملتبسة مع غيرها من أسماء الإستفهام و الجزاء و الضمائر، انتقل إلى تحديد وظائفها.

لقد لخص ابن يعيش وظيفة حروف المعاني في:

أ. إفادة معنى فيما يدخل عليه.

ب. تعليق لفظ بآخر و ربطه به.

ت. زيادة ضرب من التأكيد.

الأول :ثلاثة مواضع :

- **أحدهما** :أن يدخل على الإسم نحو الرجل و الغلام ،فالألف و اللام أفادت معنى التعريف فيهما ،لأنهما كانا نكرتين .

"1": إبن يعيش موفق الدين : شرح المفصل: تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الثامن،ص5-6، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2": إبن يعيش موفق الدين : نفسه،: **الجزء الثامن ،ص.ص**:11-12-13.

- **ثانيهما:** أنه يدخلُ الفعلَ نحو :قد و السين و سوف ،نحو :قد قام و سيقوم و سوف يقوم.هذه الحروف أحدثت بدخولها الفعلَ معنىً لم يكن قبلُ ،فقد قرَّبته من الحاضر و السين وسوف مختصة بالإستقبال و خلَّصتْهُ له بعد أن كان شائعا في الحال و الإستقبال.هذه الحروف في الأفعال نظيرة الألف و اللام في الأسماء.
- **ثالثهما:**أن يدخل على الكلام التام و الجملة المفيدة نحو قولك:أزيد عندك ؟و ما قام خالدٌ ،فلما دخلت الهمزة أحدثت فيه معنى الإستفهام،و قد كان خبرا و كذلك ما أحدثت معنى النفي و قد كان موجبا.

أما الضرب الثاني من القسمة الأولى فهو في أربعة مواضع :

- **أحدهما** :أن يدخل لربط اسم باسم ،وهو معنى العطف .نحو قولك:جاء زيد و عمرو.
- **ثانيهما** :أن يدخل لربط فعل باسم .نحو قولك :نظرتُ إلى زيد ،وانصرفت عن بعض و هو معنى التعدية.
- **ثالثهما:**أن يدخل لربط جملة بجملة نحو قولك :إن تُعْطِنِي أَشْكُرْكَ .وكان الأصل :تُعْطِنِي أَشْكُرُكَ ،وليس بين الفعلين اتصال و لا تعلُّق .فلما دخلت "إنْ"علقت إحدى الجملتين بالأخرى ،و جعلت الأولى شرطا و الثانية جزاءً.

أما الضرب الثالث:فهو يدخل زائدا لضرب من التأكيد،نحو قول الله عز وجل:(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ) ألا ترى أنَّ "ما" لو كان لها موضع من الإعراب لما تخطَّاها الباءُ و عَمِل فيما بعدها."1"

تقوم حروف المعاني بدور مهم في عمليات فهم الخطاب،إنها منارات تسهم بصورة أساسية في عمليات التأويل و فهم الخطاب،و من دونها تتطلب عملية الفهم جهدا أكبر و تكون التأثيرات السياقية أضعف و إن الإرتباط الوثيق بين المحتوى الإجرائي للروابط و محتوى القضايا المترابطة و السياق المدرك يفسر الآلية التي تم اعتمادها .إن إغناء النص بالروابط من قبيل : لكن و "إذن " يساعد في تيسير التأويل شرط أن تكون بين المحتويات علاقات مناسبة أي منسجمة مع ما تقتضيه إجراءات الروابط و أن تكون السياقات مفهومة."2" لقد أدت أعمال أزوالد دكرو إلى شيوع الروابط التداولية أو الخطابية في علم الدلالة و اللسانيات التداولية ،بل في اللسانيات عموما."3"

"1": ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الخامس،ص:8،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2": ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:نفسه ،الجزء الثامن ،ص.ص:11-12.

"3": موشلار جاك و آن روبول :التداولية اليوم :علم جديد في التواصل:ترجمة سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني،مراجعة:لطيف زيتوني،ص 169 ،المنظمة العربية للترجمة،الطبعة الأولى 2003،دار الطليعة للطباعة و النشر،بيروت،لبنان.

إذ أكد بأن لا جدوى وصفيا من السعي إلى تحديد ما لهذه الروابط من محتوى مفهومي و بين أنه مادام لها محتوى (فكل متكلم يعرف متى يمكنه أو يتعين عليه أن يستعمل "و" عوضا عن "أو" أو "لكن" ...كما يعرف كيف يؤول على نحو مختلف الخطابات التي تحتوي على هذه الروابط)إن هذا المحتوى يوافق مجموعة من التعليمات (أو الإجراءات)"1"أي أنه يوافق محتوى إجرائيا.من وظائف الروابط أيضا تحقيق الأفعال الإنجازية و هي المرحلة الثانية من أفعال الكلام و تتضمن مثلا فعل الإخبار أو الأمر أو النهي أو التوكيد أو التهديد أو الترحيب أو الشكر أو الإستفهام...و هي مقاصد المتكلم من فعل القول .من هذه الروابط :أدوات القسم و النفي و النداء و الإستفهام و الشرط ،مما يقوم دليلا على أن دورها يتجاوز مهمة الوصل المحقق لإتساق الكلام إلى دور تدعيم انسجام النص عبر تحقيق الأفعال الكلامية،لأجل ذلك عَمِل الدرس اللساني التداولي على إخضاع حروف المعاني جميعها إلى عدسة المحتويات الإجرائية.في هذا الإطار نذكر اللساني جون مارك لوشر الذي اقترح بطريقة نسقية تداولية أوصافا إجرائية للروابط في اللغة الفرنسية،فانطلاقا من أمثلة معجم كنز اللغة الفرنسية استخرج تسعة محتويات إجرائية للواو و هي كالتالي:

1. ال"و":تجمع بين كلمات أو مجموعات من الكلمات داخل الجملة.
2. ال"و":تُقِيمُ علاقة غير محددة بين قضايا مترابطة.
3. ال"و":تصل بين قضايا تصف أحداثا تقع بصفة متزامنة.
4. ال"و":تتصدر قضية تصف حدثا واقعا زمنيا بعد حدث تصفه قضية أولى.
5. ال"و":تتصدر النتيجة التي تلي التعبير عن السبب.
6. ال"و":لا تتصدر جملة،بل قولا و عملا لغويا.
7. ال"و": تتصدر محتوى يستلزمه التلفظ بالقضية الأولى.
8. ال"و":تتصدر محتوى متناقضا على ما يستلزمه التلفظ بالقضية الأولى.
9. ال"و":تتصدر محتوى يتناقض مع ما يقتضيه نفي القضية السالفة."2"

"1": موشلار جاك و آن روبول :التداولية اليوم :علم جديد في التواصل:ترجمة سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني،مراجعة:لطيف زيتوني،ص 170 ،المنظمة العربية للترجمة،الطبعة الأولى 2003،دار الطليعة للطباعة و النشر،بيروت،لبنان.

"2": موشلار جاك و آن روبول :نفسه: ص :171.

إن اِستعمالات الرابط تستلزم أحداثا و وقائع ،كما تتصل اتصالا وثيقا بأعمال لغوية.إذ يقدم الرابط تعليمات حول كيفية بناء السياق المناسب وفق محتوى القضايا المتلفظ بها،و يعطي تعليمات تهم نوع الاِستدلال الواجب استخلاصه لفهم الخطاب،فالرابط لا يخضع لمدلول واحد،بل يخضع للإجراء و للسياق و للاِستعمال.يعتمد المتكلم في توظيف هذه الحروف على كفاءة المخاطب اللغوية و التداولية في تأويلها التأويل المناسب و فهم قصده من الخطاب كونه يدرك تماما معاني هذه الحروف.

إن هذا التصور الوظيفي للأداة أو بالأحرى لحروف المعاني نجده حاضرا في التصور اللغوي العربي القديم بشكل عام و في التصور اللغوي لابن يعيش بشكل خاص.يقول ابن يعيش:(**فإن قيل :و لِمَ جيء بالحروف و ما كانت الحاجة إليها ؟فالجواب أن حروف المعاني جُمِعَ جيء بها نائبة عن الجمل و مفيدة معناها من الإيجاز و الاِختصار .فحروف العطف جيء بها عوضا عن أعطف و حروف الاِستفهام جيء بها عوضا عن أَسْتَفْهِم حروف النفي إنما جاءت عوضا عن أَنْفِي،و حروف الاِستثناء جاءت عوضا عن أَسْتَثْنِي،أو لا أَعْنِي،و كذلك لامُ التعريف نابت عن أَعْرَفُ،و التنوين ناب عن خفَّ،و حروف الجر جاءت نائبة عن أُشبِّهُ،و كذلك سائر الحروف،و لذلك من المعنى لا يحسنُ حذف حروف المعاني كحروف الجر و نحوها لأن الغرض منها الاِختصار،و اختصار المختصَر إجحاف.**

فإن قيل:فإذا كانت هذه الحروف نائبة عن الأفعال على ما زعمتم،و الأفعال معناها في نفسها فَلِمَ كانت الحروفُ معناها في غيرها،و الخلف لا يخالفُ الأصلَ في حقِّ الحكم؟فالجواب أن كلَّ فعلٍ متعدٍّ بنفسه و بواسطة ،فإنما هو عبارةٌ و لفظٌ دالٌّ على فعلٍ واصلٍ إلى المفعول،فإذا قلت:أدعو غلامَ زيد فأدعو ليس واصلاً بنفسه إلى غلام زيد،و إنما هو دال على الدعاء الواصل إلى الغلام،فحروفُ أدعو عبارةٌ عن حروف الدعاء،و ليس كذلك قولُكَ:يا غلامَ زيدٍ،فإن إضافة "يا" إلى ما بعدها فُهِمَ منها معنى الدعاء الدال عليه أدعو،فأنت إذا قلت:أستفهمُ كان عبارةً عن طلبِ الفهمِ،و إذا قلت:أقامَ زيدٌ كان نفس الطلب،فلما افترق معناهما افترق حكمهما،فافْهمه،ففيه لطفٌ).[1] إن المعاني و الإفادات المستفادة من حروف المعاني التي تنبه لها ابن يعيش نجدها ممثلة و بوضوح و دقة متناهية لنظرية الأفعال الكلامية التي نظر لها فلاسفة اللغة العادية و على الأخص سيرل لذلك صح أن تُعَدَّ تلك المعاني و الإفادات و المقاصد "أفعالا كلامية" ،فلم ينظر إليها ابن يعيش

"1": ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله، **الجزء الثامن** ،ص:14-15 ، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

على أنها مجرد دلالات و مضامين لغوية فحسب،بل هي أفعال تروم صناعة **أفعال و مواقف اجتماعية بالكلمات أي ترمي للتأثير في المخاطب على فعل أو ترك أو تقرير حكم من الأحكام أو تأكيده أو التشكيك فيه أو النفي أو الوعد**...إن حروف المعاني حروف لا يتحدد معناه إلا في إطار الجملة، إنها حروف عاملة و مضيفة لمعانٍ في الجملة ،كما تحمل عبءَ الأسلوب النحوي للجملة و السلسلة الجملية بشكل عام .من نماذج حروف المعاني التي تحقق أفعالا إنجازية هناك حروف العطف:

حروف العطف:

تسمى حروف العطف"1" و حروف النسق،فالبصريون يُسَمُّونها حروف العطف و عن سبب هذه التسمية،يقول ابن يعيش:(و هو مصدر عطفْتُ الشيء على الشيء إذا أَمَلْتُهُ إليه،و يقال:عطف فلان على فلان،و عطفت الناقة إلى كذا،و عطف الفارسُ عنانه،أي ثناه و أماله،و سمي هذا القبيل عطفا لأن الثاني مثني إلى الأول و محمول عليه في إعرابه)."1" ويسميها الكوفيون حروف النسق:(و هو من قولهم ثغر نسق إذا كانت أسنانه مستوية،و كلام نسق إذا كان على نظام واحد،فلما شارك الثاني الأولَ و ساواهُ في إعرابه سُمي نسقا)."2" يُعد العطف من التوابع،فالأول المتبوع المعطوف عليه و الثاني التابع المعطوف ،و يختلف العطف عن باقي التوابع(البدل و النعت و التوكيد)لأن هذه التوابع تتبع بغير واسطة،بينما المعطوف لا يتبع إلا بواسطة،و يبرر ابن يعيش ذلك بقوله:(لأن الثاني فيه غير الأول،و يأتي بعد أن يستوفي العامل عمله،فلم يتصل إلا بحرف بخلاف ما الثاني فيه الأولُ كالنعت و عطف البيان و التأكيد و البدل،و إن كان يأتي في البدل ما الثاني فيه غيرُ الأولِ،إلا أنه بعضه أو معنًى يشتمل عليه،فكأنه هُو هو،فلذلك لم يَحْتَجْ إلى واسطةِ حرفٍ)."3" يؤكد ابن يعيش على أن العامل في المعطوف الفعل المحذوف بعد الواو لضرب من الإيجاز و الِاختصار،حيث حُذِف الفعل بعد الواو لدلالة الأول عليه. مثال:**ضربتُ زيداً وعمرواً**.أصلها:**ضربتُ زيداً و ضربتُ عمرواً**.فتم حذف الفعل بعد الواو لدلالة الفعل الأول عليه،و يجوز إظهاره وإن ظهر كان هو العامل.مشيرا إلى أن الواو هي أصل حروف العطف .مستدلا على ذلك بأن الواو لا توجب إلا الِاشتراك بين شيئين فقط في حكم واحد،أما سائر حروف العطف فتوجب زيادة حكم على ما توجبه الواو.تربط حروف العطف بين متعاطفين

"1"يتحدد المعنى اللغوي للعطف في الثني و الميل و الرجوع و هو المعنى الذي أراده النحاة القدامى عند اختيارهم لمصطلح "العطف".

"2": ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،**الجزء الثامن** ،ص:159 ، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"3": ابن يعيش موفق الدين : نفسه الجزء الثامن ،ص:159 .

"4": ابن يعيش موفق الدين : نفسه **الجزء الثامن** ،ص:159

سواء مفردات أو جملا و هي إحدى وسائل الربط و السبك .

العطف على ثلاثة أضرب:

1. **عطف اسم على اسم:**إذا اشتركا في الحال.مثال ذلك:قام زيدٌو عمرو.و لو قلت:مات زيدٌ و الشمسُ. لم تصِح لأن الموت لا يكون من الشمس.
2. **عطف فعل على فعل:**إذا اشتركا في الزمان.مثال:قام زيدٌ و قعد.و لا يصح القول:قام زيدٌ و يقعدُ.لِاختلاف زمان الفعل الأول و الثاني.
3. **عطف جملة على جملة:**في ذلك يقول ابن يعيش:"و المراد من عطف الجملة على الجملة ربط إحدى الجملتين بالأخرى و الإيذان بحصول مضمونهما **لئلا يظن المخاطب أن المراد الجملة الثانية و أنَّ ذِكرَ الأولى كالغلط،كما تقول في بدل الغلط:جاءني زيدٌ و عمرو،و مررتُ برجلٍ ثَوبٍ.فكأنهم أرادوا إزالة التوهم بربط إحدى الجملتين بالأخرى بحرف العطف ليصير الإخبارُ عنهما إخبارا واحدا)**"1"

إن ذكر ابن يعيش لعطف الجمل يوحي بتصور استعمالي تداولي عميق لدور العطف في تماسك الخطاب،فالغاية من العطف تكمن في وصل الكلام بعضه ببعض مع الإشراك بين المعطوف و المعطوف عليه في الحكم و الدخول معه في المعنى،فيغدو النص وحدة كبرى.

لقد جعل الدارسون في إطار اللسانيات التداولية من أدوات العطف أهم وسائل الِاتساق،يبدو ذلك واضحا لدى اللساني **هاليداي** في كتابه":**الِاتساق في الإنجليزية**"،إذ يؤكد هذا اللساني على أن العطف يُعد الوسيلة الرابعة من وسائل الِاتساق في الكتابة و هي: (الإحالة – الإبدال – الحذف- العطف –التماسك المعجمي)،حيث جعل العطف أحد وسائل الربط إلى جانب وسائل أخرى تسهم في تماسك النص و انسجامه.

"1": ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،**الجزء الثامن** ،ص:163، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2":إن الحديث عن العطف يستدعي بالضرورة الحديث عن ظاهرة القطع و الفصل ،باعتبارها الظاهرة التي تقابله و تمنحه قيمته ذلك أن القدماء ربطوا العطف بقضية الفصل و الوصل. وقد عرض اللغويون القدامى هذه القضية على ثلاث محاور هي:

- كمال الِاتصال: و المقصود به أن يكون ما قبلها صفة من الموصوف و التأكيد من المؤكد،فذا لا يجوز العطف فيه لشدة الِامتزاج.
- كمال الِانقطاع:لا يجوز العطف فيه،و المقصود به أن يغاير ما قبلها و ليس بينها أية علاقة رابطة،مثل البدل لا يحتاج فيه إلى عطف.
- التوسط بين كمال الِاتصال و كمال الِانقطاع:وجود جهة جامعة تجيز العطف،و هي الحالة الوحيدة التي يجوز فيها العطف.إذ هناك نوع من الِارتباط بين المعطوف و العطوف عليه.

التصور ذاته نجدهحاضرا لدى ديفيد كريستال الذي يعتبر العطف من أهم وسائل تحقيق التماسك النصي إلى جانب الإحالة و التكرار و العلاقات المعجمية و المقارنة."[1]

نظرا لكون حروف العطف تكتسب معانيها من السياق الذي ترد فيه،فقد صنف اللسانيون الربط إلى عدة أصناف:

- **الربط الإضافي**:يتحقق بواسطة الحرفين:"و" و "أو".
- **الربط العكسي**:يعني عكس ما هو متوقع،و الأداة التي تعبر عن هذا المعنى في نظر هاليداي هي: yet و تقابلها في اللغة العربية الأداة "حتى".
- **الربط السببي**:هذا الصنف من الربط يتيح لنا إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر،و تمثله اللفظة "so" و التي يمكن أن تقابلها في العربية:"و هكذا".
- **الربط الزمني**:هو علاقة بين جملتين متتابعتين زمنيا،و تمثله اللفظة:"then" و يمثلها في اللغة العربية حرف العطف:"ثم"."[2]

عموما تعتبر الروابط من أهم القضايا التي استاثرت باهتمام اللسانيين التداوليين ،و الرابط هو كل لفظ يمكن من ربط قضيتين(جملتين) أو أكثر لتكوين قضايا و جمل مركبة.بناء على هذا المفهوم تم تقسيم الروابط في الدرس التداولي تقسيمات جديدة من قبيل الروابط المنطقية و الروابط غير المنطقية.إن ظاهرة الإختلاف و التباين في درجة الشدة للغرض المتضمن في القول التي تحدث سيرل عن وجودها في اللغة الإنجليزية واردة أيضا في اللغة العربية بكثرة بفعل وفرة الأدوات الدالة على المعاني الإنجازية.كما تشتمل اللغة العربية كغيرها من اللغات الطبيعية على أدوات دالة على معان أو بالأحرى على **قوى إنجازية** مختلفة ،التي سماها النحاة بحروف المعاني التي تثري العربية بأساليب كثيرة متنوعة صالحة لمقامات تواصلية متباينة حسب إرادة المتكلم و قصده كدلالة "رب " على التقليل و" كم " على التكثير و دلالة " ليث" على التمني و " لعل" على الترجي و دلالة " هل " على الإستفهام و دلالة "إن" و " أن" على التوكيد و دلالة "الواو" و "الباء "على القسم و دلالة " ألا "على العرض و "هلا" على التحضيض و هذان الأخيران نوعان مختلفان للطلب يحكمهما قانون "درجة الشدة للغرض المتضمن في القول " كما أن التوكيد نوع للخبر يختلف عن القسم و الشرط و يحكم الجميعَ القانونُ نفسُه الذي تحدث عنه سيرل."[3]

"1": محمد حماسة عبد اللطيف:بناء الجملة العربية :ص:193،طبعة 2003،دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع،القاهرة،مصر.

"2": صحراوي مسعود:التداولية عند العلماء العرب:دراسة تداولية لظاهرة"الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي:ص:213 الطبعة الأولى،2005،دار الطليعة للطباعة و النشر،بيروت،لبنان.

"3":صحراوي مسعود:نفسه:ص:214-215.

3.3.الأفعال اللغوية في الأساليب اللغوية:

اِهتم ابن يعيش بالبحث في معاني الأساليب اللغوية و أغراضها التواصلية،فجعلها أساسا معرفيا لتحليله اللغوي، و من معاني الأساليب النحوية و أغراضها التواصلية،نجد:

1.3.3.أسلوب التأكيد:

قبل الشروع في تحديد معنى التأكيد ،دقق ابن يعيش في أصل الكلمة هل هي توكيد أم تأكيد، يقول ابن يعيش:"اِعلم أنه يُقال:تأكيد و توكيد بالهمزة و الواو الخالصة،و هما لغتان،و ليس أحدُ الحرفين بدلا من الآخر لأنهما يتصرفان تصرفا واحدا،ألا تراك تقول:أكَّد يؤكِّد تأكيدا،و وَكَّد يُوَكِّد توكيدا،و لم يكن أحد الِاستعمالين أغلبَ فيُجعلَ أصلا،فلذلك قلنا:إنهما لغتان." "1"

يستفاد معنى التأكيد من صيغ لغوية معروفة ،و التأكيد على ضربين:لفظي و معنوي ،كما يشتمل على القسم و المفعول المطلق و الحال المؤكدة و التوكيد بحروف المعاني(إنّ و أنّ و اللام و الباء...) بيد أن جوهر التوكيد في فائدته العائدة على المخاطب بأي آلية كان،و هو غرض تواصلي يوظفه المتكلم لتثبيت الشيء في نفس المخاطب و إزالة الشك و الظن،و في ذلك يقول ابن يعيش:(فائدة التأكيد تمكين المعنى في نفس المخاطب و إزالة الغلط في التأويل،و ذلك من قِبَل أن المجاز في كلامهم كثير و شائع،يعبرون بأكثر الشيء عن جميعه و بالمسبب عن السبب،و يقولون قام زيد، و جاز أن يكون الفاعلُ غلامَه أو ولده، و قام القومُ،و يكون القائم أكثَرَهم و نحوَهم ممَّن ينطبق عليه اسم القوم،و إذا كان كذلك و قلت:جاء زيدٌ ربما تتوهَّم من السامع غَفلةً عن اسم المخبَر عنه أو ذهابا عن مُراده فيحملُه على المجاز ،فيُزالُ ذلك الوهمُ بتكرير الاسم،فيقال:جاءني زيدٌ زيدٌ،و كذلك النفسُ و العينُ إذا قلت:جاءني زيدٌ نفسُهُ أو عينُهُ،فيُزيلُ التأكيدُ ظنَّ المخاطَب من إرادة المجاز،و يُؤْمَنُ غفلةُ المخاطَب)"2"التأكيد من وجهة نظر تداولية "فعل كلامي" يتجاوز الوظيفة النحوية المحدودة،إنه معنى أسلوبي يتميز بإفادة خاصة مرتبطة بمراعاة حال السامع أو المخاطب ،و بلغة سيرل فعل كلامي مندرج ضمن صنف التقريريات و الغرض المتضمن في القول هو التقرير و المقصود به إدراج مسؤولية المتكلم في صحة ما يتلفظ به،و الشرط الِافتراضي الذي يقوم عليه التقرير هو امتلاك الأسس القانونية و الأخلاقية التي تدعم صحة محتواها.

"1": ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،**الجزء الثامن** ،ص:163، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2": ابن يعيش موفق الدين : نفسه ،الجزء الثالث،ص.ص:72-73.

تجدر الإشارة إلى وجود فرق بين التأكيد و الخبر العادي و المتمثل وفق سيرل دائما في "درجة الشدة للغرض المتضمن في القول".":"...فأما فائدتهما فالتأكيد لمضمون الجملة فإن قول القائل:إن زيدا قائم ناب مناب تكرير الجملة مرتين،إلا أن قولك:إن زيد قائم أوجز من قولك:زيد قائم زيدا قائم،مع حصول الغرض من التأكيد،فإن أدخلت اللام و قلت:إن زيدا لقائم،ازداد معنى التأكيد و كأنه بمنزلة تكرار اللفظ ثلاث مرات،و كذلك(أنَ) المفتوحة..."2" يعد التأكيد من أهم الآليات التداولية التي يوظفها المتكلم لإزالة اللبس أو الظن أو الغلط من ذهن المخاطب،كما تتصل الأبعاد المعنوية للتأكيد بقصد المتكلم و حال المخاطب مما يؤكد الإرتباط القوي بين التراكيب اللغوية و مستعمليها.إن تأكيد المتكلم شيئا ما و تقريره يعود إلى رغبته في تحقيق مقاصد تواصلية مع المخاطب.إن الغرض التداولي هو إعلان حقائق غابت عن ذهن المخاطب باختلاط الأمور لديه و تفعيل الخطاب مع تسريع عملية التواصل و التفاعل بين طرفي الخطاب مع إفادة المخاطب ما تضمنه النص من حقائق و تثبيت المعلومات في نفسه.يقول ابن يعيش"...فالمعنى به المصدر يُذكر لتأكيد الفعل نحو:قمت قياما و جلست جلوسا ،فليس في ذكر هذه المصادر زيادة على ما دل عليه الفعل أكثر من أنك أكدت فعلك ألا ترى أنك إذا قلت:ضربت ضربا،كان كذلك فصار بمنزلة:جاءني القوم كلهم..."1"

"1": ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الثالث،ص:80،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2": ابن يعيش موفق الدين : نفسه،الجزء الثامن ،ص:79.

2.3.3. أسلوب النداء:

يقول ابن يعيش في باب النداء:"إن الغرض من النداء التصويت بالمنادى ليقبل،و الغرض من حروف النداء امتداد الصوت و تنبيه المدعوّ،فإذا كان المنادى متراخيا عن المنادي أو مُعرِضا عنه لا يُقْبِلُ إلا بعد اجتهاد أو نائما قد استثقل في نومه استعملوا فيه جميع حروف المنادى ما خلا الهمزة،و هي يا و أيا و هيا و أي،يمتد الصوت بها و يرتفع،فإن كان قريبا نادَوْه بالهمزة،نحو قول الشاعر:

أَزيدُ أخا ورقاء إن كنت ثائرا .....

لأنها تفيد تنبيه المدعو و لم يُرَدْ امتداد الصوت لقرب المدعو،و لا يجوز نداء البعيد بالهمزة لعدم المدِّ فيها،و يجوز نداء القريب بسائر الحروف توكيدا"[1]

يعتبر أسلوب النداء من آليات التوجيه الِاستعمالي التداولي،نظرا لكونه يحفز المخاطب لردة فعل تجاه المتكلم، و للنداء أدوات كثيرة لعل أهمها على الإطلاق هي:الياء.تحقق آلية النداء أغراضا متنوعة مثل الإغراء و التحذير و الاختصاص و التنبيه...إن أصل النداء أن يكون للبعيد و قد يتم نداء القريب رغبة في إظهار حرص المتكلم على أمر ما و ضرورة إيلاء الخطاب عناية تامة مع تعظيم شأن المدعو و إنَّ حَمْلَ هذه الآليات على بعدها التداولي في الخطاب يمنحها بعدا ديناميا.من الأنواع الأسلوبية للنداء نجد الاستغاثة و الندبة،و قد عرّف ابن يعيش المقصود بالندبة(المندوب) بقوله:"اِعلم أن المندوب مدعو و لذلك ذكر فصول النداء،لكنه على سبيل التفجع،فأنت تدعوه،و إن كنت تعلم أنه لايستجيب كما تدعو المستغاث به،و إن كان بحيث لا يسمع كأنه تعده حاضرا و أكثر ما يقع في كلام النساء لضعف احتمالهن و قلة صبرهن و لما كان مدعوا بحيث لا يسمع أتوا في أوله ب(يا) أو "يا" لمد الصوت و لما كان يسلك في الندبة و النوح مذهب التطريب زادوا الألف آخر للترنم كما يأتون بها في القوافي المطلقة و خصوها بالألف دون الواو و الياء لأن المد فيها أمكن من أختيها." [2]هذا و يمكن إدخال أسلوب الندبة في صنافة سيرل ضمن أفعال الكلام الإنجازية في مقياسه الثالث المتعلق بالحالات السيكولوجية(النفسية) المعبر عنها و هي التفجع من أثر الفقد.

"1": ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،**الجزء الثالث** ،ص:79 ، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2": ابن يعيش موفق الدين :نفسه: ،الجزء الثالث ،ص:80.

3.3.3. أسلوب الأمر:

يقول ابن يعيش في باب الأمر :(اِعلم أن الأمر طلب الفعل بصيغة مخصوصة.و له و لصيغته أسماء بحسب إضافاته،فإن كان من الأعلى إلى من دونه،قيل له أمر،و إن كان من النظير إلى النظير قيل له طلب،و إن كان من الأدنى إلى الأعلى قيل له دعاء...)[1] "يستخلص من هذا القول أن الأمر يستعمل استعمالا أصليا و استعمالات فرعية يترتب عنها الطلب و الدعاء و غيرهما،و إن حديث ابن يعيش عن المعنى الأصلي للأمر و معانيه الفرعية يؤكد مرة أخرى ربطه بين بنية العبارة اللغوية و القصد التواصلي للمتكلم.يقر ليتش بوجود فروق طفيفة في أثر بنية الخطاب،حيث يميز بين طبقتين من الفعل اللغوي الصريح وفق مبدأ التأدب يمثل للطبقة الأولى بالفعل في صيغة (اِفعل) و يمثل للطبقة الثانية بالحالة التي يصرح فيها المتكلم بالفعل الذي يقوم بإنجازه لحظة التلفظ مثال:

- **اُسْكُتْ.**
- **أنا آمرك بأن تسكت.**

إن الصيغة الثانية تعتبر أقل تأدبا من الصيغة الأولى، لأن المتكلم ينتج خطابه بناء على موقعه السلطوي من جهة و ليبين للمخاطب على أن قصده هو الأمر تحديدا و ليس قصده فعلا غيره."[2] و قد يوظف المتكلم الأسلوب الخبري لإنجاز فعل التوجيه و المسوغ لهذا الاِستعمال هو تمتعه بالسلطة أيضا.مثال:

- أريد منك أن تبلغ هذه الرسالة عبر الهاتف.

صنف سيرل و براون و ليفنسون الأمر على أنه صنف من الأفعال التوجيهية ،و تناولوا كيف يعتبر الخطاب أمرا و كيف يخرج عن ذلك إلى مقاصد أخرى و شروط إجرائه على أصله و كذا شروط خروج دلالته عن ذلك

"1": اِبن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله، الجزء السابع ،ص:103 ، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2": الشهري عبد الهادي بن ظافر:استراتيجيات الخطاب:مقاربة لغوية تداولية.ص:345.الطبعة الأولى ،2004 ،دار الكتب الوطنية بنغازي، ليبيا.

الأصل.من أرجح معاني الأمر كونه يجعل من التلفظ بالصيغة دلالة على الوجوب،غير أن هذا ليس على إطلاقه في توظيف الخطاب في التداول،حيث يجب أن تُرَافَقَ الصيغة بسلطة الآمر و إلا خرج الأمر عن معناه الأصلي ليفيد مقاصد أخرى."1" تجدر الإشارة هنا إلى أن توفر السلطة ليس العنصر الحاسم في الأمر، بل لابد من سلطة العلم و المعرفة أيضا،لأن ما يملكه المرسل من خلفية تعد سلطة،فحكم الأمر أنه يصبح حقيقة في الوجوب بتوفر شَرطي الصيغة اللغوية و السلطة،مما يقوم دليلا على كون الصورة اللغوية ليست المعيار الوحيد ،بل لابد أن تدعمه مرتبة المتكلم إذ هي العامل الأساس في انتقال دلالة الصيغة من الأمر إلى غير ذلك،و بالتالي فالقضية في عمقها قضية لغوية تداولية.من خصائص توظيف الفعل الإنجازي "الأمر" دلالته على التوجيه بدوام السياق الأصلي، لأنه إذا تجرد الأمر من القيود و القرائن ،أصبح دالا على طلب حقيقة الفعل المأمور به و من العناصر التي تمنح التوجيه حكما معينا وِجهةُ المنفعة،كما أن للأمر أدوات عدة شرط توفر السلطة و توجه المنفعة تجاه المرسل:

فعل الأمر "اِفعل".

- اِسم الأمر مثل: أنتم مأمورون بكذا.
- فعل المضارع المسبوق باللام.
- اِسم الفعل الأمر. مثل: صه و حذار .
- ألفاظ مخصوصة للوجوب. مثل: يجب و ينبغي و لابد من.
- المصدر النائب عن فعل الأمر..
- صيغ الإخبار من مرسل ذي سلطة.
- الصيغ الصرفية. مثل :الفعل المبني للمجهول.
- شبه الجملة."2 "

"1":أسلوب الأمر من وجهة نظر تداولية هو طلب إجراء فعل يتحقق في صور تداولية عديدة مثل: الدعاء و التهديد و الِالتماس و الِاحتقار و التكذيب و التعجب و الإباحة...أما النهي فالمقصود به طلب الكف عن فعل ما يُحقق تداولية الكراهة و الدعاء و الإرشاد و بيان العاقبة و الإهانة و اليأس...

"2": الشهري عبد الهادي بن ظافر:استراتيجيات الخطاب:مقاربة لغوية تداولية.ص:341-342 ،الطبعة الأولى ،2004،دار الكتب الوطنية بنغازي، ليبيا.

أما النهي،فله صيغة أصلية يتلفظ بها المرسل في خطابه،و له حرف واحد و هو "لا" الجازمة في قولك:لا تفعلْ.إن هذا التنويع في الأفعال الكلامية دليل على كفاءة المتكلم اللغوية و التداولية و قدرته على إيصالها إلى المخاطب سهلة واضحة،ليفهم قصده من الخطاب دون الحاجة إلى عملية التأويل ناهيك عن كون المخاطب يصوغ بعض الإفتراضات القائمة على معرفته بعادة المتكلم في استعماله للغة و هذا يستلزم وجود صلة بين معرفة المخاطب و نجاح التخاطب فكلما كان المخاطب أعرف بالمتكلم و قصده و بيانه و عاداته كانت استفادته للعلم بمراده أكمل و أفيد.

4.3.3 أسلوب التحضيض و العرض:

هو المعنى المستفاد من الحروف:لولا و لوما و هلاَّ و ألاَّ.تفيد معنى الطلب بإلحاح.يعرفها ابن يعيش بقوله:(إعلم أن هذه الحروف مركبة،تدل مفرداتها على معنى،و بالضم و التركيب على معنى آخر لم يكن لها من قبل التركيب، و هو التحضيض،و التحضيض:الحث على الشيء،يقال حضضته على فعله إذا حَثَثْتَهُ عليه...ف"لولا" التي للتحضيض مركبة من لوْ و لا،ف"لو"معناها امتناع الشيء لامتناع غيره،و معنى"لا" النفي،و التحضيض ليس واحدا منهما،و كذلك"لوما"مركبة من لَوْ و ما،و "هَلاَّ" مركبة من هَلْ و لا،و "أَلاَّ"في معناها مركبة من أَنْ و لا، و معناها كلها الحث و التحضيض.)"1" يُعَرَّفُ التحضيض من منظور اللسانيات التداولية بأنه الطلب بشدةٍ و عنفٍ و يتضح ذلك في صوت المتكلم و كذا في اختيار كلماته جزلة قوية.(قد يوجه المرسِل المرسَل إليه إلى فعل شيء في المستقبل،بيد أن الدافع إلى ذلك التوجيه هو فعل سبق أن قام به المرسل إليه في الماضي،و لكنه كان من وجهة نظر المرسل،عملا يشوبه النقص،أو قاصرا عن الدرجة المطلوبة و المتعارف عليها،عندها يوجهه بما يسمى بالتحضيض.)"2" و من أدواته في اللغة العربية :لولا و هلاَّ و ألاَّ و لوما و أحيانا لو.و هي حروف تفيد جميعها التحضيض شرط أن يليها المستقبل أما إذا وليها الماضي كانت للتوبيخ و اللوم.و في ذلك يقول ابن يعيش:(إذا وليهن المستقبل كن تحضيضا،و إذا وليهن الماضي كن لوما و توبيخا فيما تركه المخاطب،أو يقدَّرُ فيه الترك،نحو قول القائل:أكرمتُ زيداً،فتقول:هلاَّ خالداً،كأنك تَصرفُهُ إلى إكرام خالدٍ،و تحثُّه عليه، أو تلومه على تركِ إكرامِه،و حيث حصلَ فيها معنى التحضيض —و هو الحث على إيجاد الفعل و طلبه- جرت مجرى حروف الشرط في اقتضائها الأفعالَ،فلا يقع بعدها مبتدأ و لا غيره من الأسماء.)"3"

"1": إبن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،**الجزء الثامن**،ص:264 ،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2":الشهري عبد الهادي بن ظافر:استراتيجيات الخطاب:مقاربة لغوية تداولية.ص:358 ،الطبعة الأولى ،2004 ،دار الكتب الوطنية بنغازي، ليبيا.

"3": ابن يعيش موفق الدين : نفسه،**الجزء الثامن** ،ص:265 .

5.3.3.أسلوب الإِستفهام:

يُعرِّفُ ابن يعيش الإِستفهام بقوله:"الإِستفهام و الإِستعلام و الإِستخبار بمعنى واحد،فالإِستفهام مصدر استفهمت،أي طلبت الفهم و هذه السين تفيد الطلب،و كذلك الإِستعلام و الإِستخبار مصدر استعلمت و استخبرت،و لما كان الإِستفهام معنًى من المعاني لم يكن بدُّ من أدواتٍ تدلُّ عليه،إذ الحروف هي الموضوعة لإفادة المعاني."[1] تتحقق أصالة الإِستفهام باستعمال:الهمزة و هل لأن الحروف هي الموضوعة لإفادة المعاني حسب قوله.إن هذين الحرفين هما الأصل في باب الإِستفهام.إن معنى الإِستفهام باعتباره غرضا إبلاغيا متعلقا بقضية التحقق أو عدمه يعد فعلا كلاميا يقوم بوظيفة تواصلية مهمة،و من منظور اللسانيات التداولية يعد أسلوب الإِستفهام من الآليات التوجيهية،نظرا لكونها توجه المرسل إلى خيار واحد هو ضرورة الإجابة عن السؤال،و بالتالي فإن المتكلم يوظفها للسيطرة على مجريات الأحداث و السيطرة على ذهن المخاطب،ناهيك عن الرغبة في تسيير الخطاب و توجيهه الوجهة التي يريدها.لقد صنفت أليس فريد الأسئلة وفق مستوى التطابق بين الوظيفة التداولية و الإِجتماعية للسؤال و شكله التركيبي ،مثلما يوظفها المتخاطبون في الحوارات الثنائية العادية و حسب ما يقتضيه السياق،تتوزع هذه الوظائف على أربعة أصناف هي:

أ.الوظائف الخارجية: تنطوي على أربع وظائف هي:

- البحث عن المعلومات العامة.
- البحث عن المعلومات الإِجتماعية.
- البحث عن المعلومات الإشارية.

ب.وظائف الحديث:تضم ثلاث وظائف هي:

- وظيفة توضيح المعلوات.
- وظيفة إعادة المعلومات.
- وظيفة تأكيد المعلومات.

"1": ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله، **الجزء الثامن،ص**:279 ،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2":الشهري عبد الهادي بن ظافر:استراتيجيات الخطاب:مقاربة لغوية تداولية،ص.ص:352-353 ،الطبعة الأولى ،2004 ،دار الكتب الوطنية بنغازي، ليبيا.

ت.وظائف العلاقة بين المتكلم و المخاطب:تندرج تحت هذا الصنف أربع وظائف هي:

- وظيفة تركيز الحوار.
- وظيفة المعلومات المشتركة.
- وظيفة المعلومات القولية."1 "
- وظائف أسلوب التعبير:تندرج ضمنه خمس وظائف هي:

1) الوظيفة التعليمية.

2) الوظيفة البلاغية.

3) وظيفة الدعابة.

4) وظيفة توجيه الذات.

5) الكلام التقريري."2"

"1": وظيفة المعلومات القولية تقابل الوظيفة الإتصالية لدى جاكبسون.(للتوسع أكثر في الموضوع أُنظر الفصل الأول من هذا البحث.)

"2":الشهري عبد الهادي بن ظافر:استراتيجيات الخطاب:مقاربة لغوية تداولية.ص:354 ،الطبعة الأولى ،2004 ،دار الكتب الوطنية بنغازي، ليبيا

6.3.3. أسلوب التحذير و الإغراء:

يعرفه ابن يعيش بقوله:"اِعلم أن هذا الضرب مما ينتصب على إضمار الفعل المتروكِ إظهارُه،و ذلك قولك في التحذير:الأسدَ الأسدَ،و الجدارَ الجدارَ،و الصبيَّ الصبيَّ، و الطريقَ الطريقَ،إذا كنت تُحَذِّره من الأسد أن يُصادِفَهُ و من الجدار المتداعي أن يَقْرَبَ منه لئلاَّ يقع عليه أو يناله،و من الصبي أن يطأه إذا كان في طريقه و هو غافل عنه،و من الطريق المخُوف أن يَمَرَّ فيه.و كذلك قالوا في الإغراء:أخاك أخاك و انتصاب هذه الأسماء بفعل مضمر تقديره اتَّقِ الأسدَ أن يُصَادِفك، واتَّقِ الجدار أن ينالك،و جَانِبِ الصبيَّ لئلاَّ تطأَه،و خلِّ الطريق الْزَمْ أخاك،فحُذِفَت هذه الأفعال لكثرتها في كلامهم و دلالة الحال و ما جرى من الذِّكر عليها." "1"

عموما فالتحذير هو تنبيه المخاطب من أمر مذموم ليتجنبه و الإغراء حث المخاطب على فعل محمود ليفعله،كما يقوم هذا الفعل على أساس التنبيه و الأمر بالاِجتناب أي الدعوة إلى الترك و تلك هي الفائدة المرجوة من التحذير. من منظور اللسانيات التداولية :"يعد أسلوب التحذير من آليات التوجيه،و يتم ذلك من خلال استعمال أدوات معينة في أشكالها المباشرة.و هذا ما يعمد إلى استعماله المرسِل في بعض الخطابات،و له في هذا مآرب،إذ يُنَزِّهُ نفسه عن تهمة التلاعب بعواطف الآخرين،كما أنه يعطي خطابه قبولا من خلال حضور الصرامة التي تدل المرسَل إليه على صدق المرسِل في التوجيه، و بالتالي تكسبه الثقة في خطابه"2" و يدخل فعل التحذير في باب أفعال النصح الضمني للمخاطب،لأن حق التحذير أن يكون للمرسَل إليه،و يشترك أسلوب التحذير مع أسلوب الإغراء في البنية التركيبية،إذ تتألف جملة الإغراء و التحذير من :

- المحذِّر أو المغري و هو المتكلم الذي ينتج الخطاب.
- المحّذَّر أو المغرى.
- المحذَّر منه أو المغرى به.

رغم أن التحذير من آليات التوجيه،بيد أنه من الأدوات ذات المرتبة الدنيا في القوة على اعتبار أن المتكلم يوجه المخاطب لما فيه منفعته هو دون منفعة المتكلم أو غيره،و بالرغم من توفر السلطة لدى المتكلم في سياقات معينة

"1": اِبن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله، **الجزء الثاني**،ص:70 ،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا

"2":الشهري عبد الهادي بن ظافر:استراتيجيات الخطاب:مقاربة لغوية تداولية.ص:355 ،الطبعة الأولى ،2004 ،دار الكتب الوطنية بنغازي، ليبيا.

مثل سياق نصح الأب لِابنه مثلا، فإن وجود جهة المنفعة هو مؤشر على سعة المسافة الفاصلة بينهما و التي من شأنها تخفيف توظيف السلطة.أما الإغراء فيقوم بعمل توجيهي مخالف للتحذير،و إذا كان **التحذير توجيه إبعاد فالإغراء توجيه تقريب**.يعرف الإغراء من وجهة نظر اللسانيات التداولية بكونه:أمر المخاطَب بلزوم ما يُحْمَد،على أنه يتم الِاحتكام للكفاءة التداولية في التمييز بين أسلوبي الإغراء و التحذير و تعيين قصد المتكلم.مثال:

أخاك أخاك.

فالقصد الذي سيبلغه المخاطب- بناء على مخزون القوالب الِاجتماعية و العرفية و كذا المعرفة الثقافية المشتركة-هو :**اِلْزَمْ أَخَاَك** و ليس احذر أخاك.عموما الإغراء و التحذير من الأفعال الكلامية التي تهدف إلى التأثير في المخاطب و حمله على إنجاز ما و الفرق الأساسي بينهما هو أن الإغراء دعوة إلى الفعل و التحذير دعوة إلى الترك."1 "

"1":الشهري عبد الهادي بن ظافر:استراتيجيات الخطاب:مقاربة لغوية تداولية.ص.ص:356-358 ،الطبعة الأولى ،2004 ،دار الكتب الوطنية بنغازي، ليبيا.

مفاد القول:

إن دراسة ابن يعيش للغة كانت وفق أسس استعمالية تنطلق من تداولية الظاهرة اللغوية،إيمانا منه بأن دراسة التراكيب اللغوية بمعزل عن سياقها التداولي لا يحقق أهداف التواصل و لا يُفرِّقُ الِاستعمالات اللغوية المختلفة عن بعضها البعض،فاللغة واقعة اجتماعية و ثقافية تُحَدَّدُ أبنيتها على أساس أنها علاقات وأنظمة داخلية ،تتأثر بما يكتنفها من مؤثرات خارجية ثم على أساس أنها وسيلة للتواصل و التخاطب،مما أدى إلى توسيع مجالات الدرس اللغوي العربي القديم و إخراجه من النطاقات الضيقة ذات الصلة بالكلمة أو الجملة إلى فضاء أرحب و أوسع هو فضاء الخطاب.إن الخطاب النحوي العربي القديم في عمقه خطاب تداولي استعمالي بامتياز يجعل شرط الإسناد تحقق الإفادة،كما تتحقق الأبعاد التداولية في شرح المفصل انطلاقا من ربطه بين بنية الخطاب و أغراضه و ملابساته مع مراعاة مقاصد المتكلمين و أحوال المتخاطبين،مما يدل دلالة واضحة على أن ابن يعيش كان على وعي تام بطبيعة و خصوصية الإنجاز الكلامي لحظة التلفظ بالخطاب.

الفصل الثالث:

اِبن يعيش بين الدرس اللغوي العربي القديم و اللسانيات التداولية.

إن الفكر اللغوي العربي القديم نسق رمزي ذو منحى تداولي، فبقدر ما اهتم بصنعة الكلام،رفع من شأن آليات تبليغه التي اتخذت عدة أشكال تَمَّ التعبيرُ عنها بمفاهيم من قبيل:البلاغة و الفصاحة و البيان و الإعراب والإفادة...إن التأريخ للمقاربات اللسانية دون ذكر لما ورد في إنتاج اللغويين العرب القدامى يُعَدُّ حيفا،إذ هناك خصائص مشتركة تقوي أواصر الإمتداد و تنبذ القطيعة بين تحليلات اللغويين العرب القدماء و اقتراحات اللغويين الوظيفيين المعاصرين و فلاسفة اللغة العادية.

إن المتأمل في الفكر اللغوي العربي القديم،يفطن إلى أن علماء العربية قد تعجَّلوا قطع مسافة التطور التي بلغها الدرس اللساني الحديث،كما أبلوا البلاء الحسن في بناء صرح العلوم العربية،و إذا كان لسانيو الدرس الحديث يؤكدون على أن اللغة تؤدي وظيفتها الإجتماعية على مستويات عدة،فإن اللغويين العرب القدامى قد نادوا بذلك منذ زمن بعيد إما بشكل صريح أو ضمني،كما تمكن علماؤنا القدامى من لغويين و بلاغيين أن يطبقوا خلاصة ما سَنُّوه من قواعد دلالية في دراسة الأنساق الدالة و المعقدة للكلمات و التراكيب،مما يؤكد رؤيتهم الثاقبة لأثر السياق و أصنافه المختلفة في تحديد الدلالة المقصودة من الكلام.لقد أدركوا أثر السياق في بيان المعنى بناءً على وعيهم بالعديد من المفاهيم و الأفكار و الرؤى المحيطة بالعملية التخاطبية في ضوء مقاصد الكلام،كما فطنوا إلى العناصر اللغوية التي تُعِينُ على المعنى،لذلك أكد سيبويه"1"على أن مدار الكلام على تأليف العبارة و ما فيها من حسن أو قبح و إن وضع الألفاظ في غير موضعها مؤشر على فساد النظم و قبحه،و على هذا الأساس فلكل استعمال دلالته و إن تغييرَ الإستعمال يَنْتُجُ عنه تغييرٌ في المعنى.

كما أن كثيرا مما انتبه إليه اللغويون العرب القدامى،يكاد يتطابق مع عدد من مقولات النظريات اللسانية عامة و التداولية خاصة،و يعد ابن يعيش من اللغويين الذين تراءت لنا في أعمالهم بعض خصائص الفكر اللغوي الحديث،مما يؤكد تواصل التفكير اللغوي عبر الأجيال و استمرار البحث في اللغة بوصفها نظاما لسانيا وثيق الصلة بمستعمليه يتحقق بشكل فعلي في الكلام الذي يعبر به الناس عن أفكارهم و أغراضهم و مقاصدهم.

"1":سيبويه:هو عمرو بن عثمان بن قَنْبَر إمام البصريين أبو بشر،و يقال أبو الحسن،مولى بني الحارث بن كعب،ثم مولى آل الربيع بن زياد الحارثي، و لُقِّبَ بسيبويه،و معناه رائحة التفاح،فقيل:كانت أمه ترقّصه بذلك في صغره،و قيل:كان من يلقاه مايزال يشم منه رائحة الطيب،فسمي بذلك. و قيل:كان يعتاد شمّ التفاح،و قيل:لُقِّبَ بذلك لَلطافته،لأن التفاح من أطيب الفواكه.كان أصله من البيضاء من أرض فارس،نشأ بالبصرة،و أخذ عن الخليل و يونس و أبي الخطاب الأخفش و عيسى بن عمر.كان سيبويه علامة،حسن التصنيف.كان المبرد يقول لمن أراد أن يقرا عليه كتاب سيبويه:هل ركبت البحر !تعظيما و استصعابا لما فيه.من مؤلفاته:"الكتاب".

لقد أدرك ابن يعيش في وقت مبكر أهمية تأليف الكلام وفق السياق الذي يربطه بمقام استعماله،مما يؤكد وعيه بمستويات النظام اللغوي وعيا دقيقا،إذ تمكن من تصنيف المعاني النحوية و ضبطها مع ملاحظة الأبعاد الخارجية التي تحيط بالعملية اللغوية و أحوال المتكلمين و مقاصدهم و أحوال المخاطبين و كل الظروف المؤدية لإنجاح الإنجاز الكلامي بين المتكلم و المخاطب،و يمكن اعتبار اللسانيات التداولية من أهم العلوم المكتملة في التراث اللغوي العربي القديم ،إذ كانت له نظرة مُمَيَّزَة للمعنى من أهم سماتها الإحاطة و الشمولية،خاصة على مستوى البحث في سبل إنجاز المعنى في سياقه التداولي و هو ما يعبر عنه بفكرة"لكل مقام مقال".[1]

إن القدرة اللغوية لدى ابن يعيش و غيره من اللغويين العرب القدامى تحكمها ثلاث معارف كل منها يستوجب الآخر:

1- معرفة لسانية:تقتضي ضرورة إدراك المعاني و الدلالات.

2- معرفة لغوية:تستوجب ضرورة امتلاك المتكلم لقواعد لغته.

3- معرفة خطابية:تقتضي أن يتحكم المتكلم في قواعد و شروط إنتاج الخطاب.

إن هذه المعارف الثلاث لا تتعارض و شروطَ التداول اللغوي للمحاورة بأبعادها التواصلية كما يقترحها طه عبد الرحمن في أصول الحوار و تجديد علم الكلام:(1. **النطقية**:لا يكون المحاور ناطقا حقيقيا إلا إذا تكلم لسانا طبيعيا معينا،و حصَّلَ تحصيلا كافيا صيغه الصرفية و قواعده النحوية و أوجه دلالات ألفاظه و أساليبه في التعبير البليغ...

2. **الإجتماعية**:إن المحاوِر يتوجه إلى غيره مُطْلِعاً إياه على ما يعتقد و ما يعرف،و مطالبا إياه بمشاركته اعتقاداته و معارفه،و في هذا "الإطْلاع" و هذه "المطالبة" يكمن البعد الإجتماعي للحوارية،و مما يزيد هذا البعد الاجتماعي رسوخا هو محاولة تجاوز الخلافات في الرأي بين المتحاورين تجاوزا لا يأتي بالحل الوحيد و الأوحد.

"1":هادي نهر:علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي،ص: 286،الطبعة الأولى،2007،دار الأمل للنشر و التوزيع،الأردن.

بقدر ما يأتي بحلول متوازنة و معتدلة تستجيب لأوضاع تتغير عناصرها و تستجد مطالبها على مر الزمن...

3.**الإقناعية**:فعندما يطالب المحاور غيره بمشاركته اعتقاداته،فإن مطالبته لا تكتسي صبغة الإكراه،و لا تَدْرُجُ على منهج القمع،و إنما تتبع في تحصيل غرضها سبلا استدلالية متنوعة تجر الغير جرا إلى الإقتناع برأي المحاور...

4.الإعتقادية:كل محاور يعتقد القضايا الضرورية و البديهية و المسَلَّم بها،فضلا عن كونه يعتقد الرأي الذي يعرضه على الغير...و لا يقتنع برأي الغير إلا إذا اعتقد أن هذا الرأي مقبول،و أن عناصر الدليل الذي أقامه هذا الغير عليه مقبولة،و أن تدليله بها مقبول هو بدوره.)"1"

من أهم مكونات التواصل اللغوي:المتكلم و المخاطب و الرسالة و المقام و القصد،و لقد عملت علوم اللغة (نحوا و بلاغة)منذ بداياتها الأولى على استقصاء هذه المكونات،إذ اللغة في أبسط تعاريفها تعبير المتكلم عن قصده.فالجملة حتى و لو كانت سليمة تركيبيا فهي مردودة إن كانت تفتقر للقصد التداولي.إن ابن يعيش يدرك بعمق شروط التواصل بين المتخاطبين،كما يدرك قيمة طرفي الخطاب،يقول ابن يعيش:(يقال:ناقلته الكلام إذا حدَّثْتَه و حدَّثَكَ،و"المحاورة":المجاوبة و هو مداولة الجواب و مراجعته.)"2"و يقول في موضع آخر من شرح المفصل:(:("المناظرة" مُفاعلة من النظر لأن كل واحد ينظر و يفكر فيما يَفْلِجُ به على صاحبه. و قيل:هو من النظير لأن كل واحد منهما نَظيرُ صاحبِه في النظر.)"3"

"1":طه عبد الرحمن:في أصول الحوار و تجديد علم الكلام:ص.ص:37-38:الطبعة الخامسة،2014،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب.

"2":ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل،تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،:الجزء الأول،ص:8-9 ،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى،2013،دمشق،سوريا.

"3": ابن يعيش،نفسه، الجزء الأول،ص:8-9.

من العراقيل التي تعترض الباحث في خضم دراسته للتراث اللغوي العربي القديم،تمييز البلاغة من النحو،إذ يبدو الأمر عسيرا و ضربا من العبث،إذ لا وجود لفواصل معلومة بين العِلْمَين،فالبلاغيون و إن تعددت مذاهبهم و مشاربهم فَهُمْ في الغالب الأعم نحاةٌ درسوا النحو و أخذوا بناصية اللغة العربية،بل إن أغلبهم له مؤلفات في النحو و غيره من العلوم،و لنا في التراث العربي القديم من المؤلفات ما يؤكد هذا التكامل بين علوم العربية،فعبد القاهر الجرجاني مثلا هو في الأصل نحوي يدرجه السيوطي(بغية الوعاة)و السبكي في خانة النحاة،كما أن أبا يعقوب السكاكي ضَمَّن مُؤَلَّفَهُ مجموعة من العلوم منها علم الصرف،مما يؤكد أن اللغويين كانت لهم اليد الطولى في نشأة البلاغة و تطورها،و تعد البلاغة دعامة أساسية للتراث اللغوي العربي القديم،نظرا لِارتباطها باستعمال اللغة و ما ينجم عنه من خروج الأساليب إلى أغراض أخرى تفهم وفق السياق الذي وردت فيه،كما بنيت البلاغة العربية على ضرورة موافقة الكلام لمقتضى الحال،و تتحدد وظيفتها في إيصال المعنى إلى المخاطب بأداءٍ كلامي فصيح و واضح خالٍ من التنافر و الغموض و التكرار.(و لذلك فإن البلاغة و التداولية البراجماتية تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي،على أساس أن النص اللغوي في جملته إنما هو "نص في موقف".)"1" إن علاقة الترابط بين البلاغة العربية القديمة واللسانيات التداولية تتحقق في مراعاتهما لسياق التخاطب و النظر للأداء الكلامي ضمن السياق،ذلك أن الأداء لم يعد لصيقا بفهم اللغة باعتبارها موضوعا منعزلا عن الممارسة بل إن التواصل قائم على التبادل الكلامي بين متكلم الذي يوجه كلامه إلى مخاطب قصد الفهم و الإفهام .

إذا كانت اللسانيات التداولية تقوم في جوهرها على دراسة اللغة لحظة الِاستعمال،فالبلاغة هي أيضا تلك المعرفة باللغة لحظة الِاستعمال و التداول،تقوم على مبدإ الِاتصال و الِاستعمال السليم للغة مما يضمن وصول المعنى المقصود لذهن المخاطب،إنها فن القول،هذا التعريف المختصر للبلاغة يشير إلى حقلين واسعين

"1":فضل صلاح:بلاغة الخطاب و علم النص:ص:89،سلسلة عالم المعرفة،يناير،1978 المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب،الكويت.

من حقول اللسانيات التداولية،و هو التصور ذاته الذي يؤكده خليفة أبو جادي يقول:(الأول:الفن:و هو كل ما يرتبط بالذوق،و الإستخدام الشخصي للغة،أي أنه يقابل آثار المتكلمين على كلامهم،و كيف يمكن للمتكلم أن يُعَدِّل من موقف سامعه،و هو مجال التداولية الأوسع الذي حدده(بيرس) في دراسة العلامات و علاقتها بمستعمليها.

الثاني:القول:و يشمل الأداء الفعلي للغة،أي اللغة في واقع استعمالها،و لذلك لم يفرق بعض الدارسين المحدثين بين التداولية و البلاغة،يرى ليتش Leitch أن البلاغة تداولية في صميمها،إذ أنها ممارسة الإتصال بين المتكلم و السامع.)"1 "

لقد كانت دراسة ابن يعيش للغة قائمة على أسس استعمالية تنطلق من تداولية الظاهرة اللغوية،إيمانا منه بأن دراسة التراكيب اللغوية بمعزل عن سياقها التداولي لا يحقق أهداف التواصل ولا يُفرِّقُ الإستعمالات اللغوية المختلفة عن بعضها البعض، و إدراكا منه لخصوصية الإنجاز الكلامي لحظة التلفظ بالخطاب.**فهل كان ابن يعيش مجرد حالة معزولة مختلفة عما كان سائدا في الفكر اللغوي العربي آنذاك أم أن الخطاب اللغوي العربي القديم في عمومه خطاب تداولي استعمالي؟**و إذا كانت اللسانيات التداولية قد جاءت للإجابة عن أسئلة من قبيل:مَنْ يتكلم؟و إلى من يتكلم ؟ماذا نصنع حين نتكلم؟ماذا نقول بالضبط حين نتكلم ؟**فما مدى استجابة ابن يعيش لهذا الطرح اللساني الحديث؟**

للإجابة عن هذه الأسئلة لابد من الوقوف على حقيقة الممارسة الإنجازية لأدوات الأجرأة التخاطبية في كتاب شرح المفصل لِابن يعيش- الذي لا يكتفي بسرد القاعدة النحوية فحسب،بل يتعداها إلى دراسة الخطاب لحظة إنجازه - و ذلك بدراسة طبيعة الإستعمالات المتنوعة للآليات التداولية المراعية لأحوال التخاطب و **ملابسات السياق** و لمكانيزمات لسانية أخرى من قبيل:

"1":أبو جادي خليفة:اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم،ص:159،الطبعة الأولى،2009،بيت الحكمة للنشر و التوزيع،سطيف،الجزائر.

1. **المقام أو السياق التداولي.**
2. **تداولية الرتبة .**
3. **القصد التداولي .**
4. **الإِستلزام الحواري.**

1.المقام أو السياق التداولي:

المقام هو مجموع العناصر التي تتوافر في موقف تخاطبي معين،من أهمها زمان التخاطب ومكانه و علاقة المتكلم بالمخاطب و خاصة الوضع التخابري القائم بينهما،أي مجموع المعارف التي تشكل مخزون كل منهما أثناء عملية التخاطب.إلى هذا التعريف العام ترجع مختلف المصطلحات الواردة في علوم اللغة العربية كمصطلحي"مقتضى الحال"و"قرائن الأحوال"،و قد انتبه ابن يعيش إلى أهمية العناصر المقامية بالنظر إلى المقال وتحديد خصائصه،كما تمكن في مؤلَّفِه الوصلَ بين التفسير اللغوي و ملاحظة السياق،إذ لا يقتصر في تفسيراته و تعليلاته على المكون اللغوي الصِّرف،بل يتعداه إلى وصف المواقف الإجتماعية التي تُنْجز فيها و ما يُرافق هذا الإنجاز الكلامي من حال المخاطب و المتكلم و موضوع الكلام،أو لنقل إنه يجعل من موقف الإستعمال حَكَما في التمييز بين التراكيب النحوية الصحيحة و الخاطئة،و مرد ذلك إلى كون اللغة من وجهة نظره لا تنفصل عن ملابسات الإستعمال و التداول،كما أن مقاييس اللغة عنده تُسْتَنْبَطُ من معطيات النظام الداخلي للغة،مثلما تُسْتَنْبَطُ من معطيات السياق الإجتماعي للحدث الكلامي.يقول ابن يعيش:"إذا رأيت رجلا يعد و لا يفي ،قلت :مواعيد عرقوب ،أي :وعدتني مواعيد عرقوب ، فهو مصدر منصوب بوعدتني ، و لكنه ترك لفظه استغناء عنه بما فيه من ذكر الخلف و اكتفاء بعلم المخاطَب بالمراد".[1]

إن الإعتداد بالمقام في التفسير النحوي إلى جانب المكونات اللغوية،له أثر كبير في تحديد معنى الخطاب لدى ابن يعيش و هو ما نجده حاضرا لدى أغلب اللغويين العرب القدامى،إذ امتدت عناية سيبويه لتشمل كل المكونات غير اللغوية من سياق و ظروف إرسال.يقول:(و ذلك قولك إذا رأيت رجلا متوجها وجهة الحاجّ،قاصدا في هيئة الحاج،فقلت:مكة و رب الكعبة،حيث رَكِنْتَ أنه يريد مكة،كأنك قلت:يريد مكة و الله.و يجوز أن تقول:مكة و الله،و على قولك:أراد مكة و الله،أي أراد مكة إذ ذاك...أو رأيت رجلا يسدد سهما قِبَلَ القرطاسِ فقلتَ:القرطاسَ و اللهِ،أي يُصيبُ القرطاسَ،و إذا سمعتَ وقع السهم في القرطاس قلت:القرطاسَ و اللهِ،أي أصاب القرطاسَ.و لو رأيت ناسا ينظرون الهلالَ و أنت منهم بعيد فكبَّروا لقلتَ:الهلالَ و ربّ الكعبة،أي أبصروا الهلالَ.)[2] كما يحتكم سيبويه إلى عنصري

"1": ابن يعيش موفق الدين:شرح المفصل: تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الأول،ص:113 ،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى،2013،دمشق،سوريا.

"2":سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر:الكتاب:الجزء الأول،ص:257،تحقيق و شرح:عبد السلام هارون،الطبعة الثالثة،1988،مكتبة الخانجي،القاهرة،مصر.

المكان و هيئة التخاطب في تحديد المعنى المقصود:(و من ذلك قول العرب:ضعه رويدا،أي وضعا رويدا.و من ذلك قولك للرجل تراه يعالج شيئا:رويدا،إنما تريد:علاجا رويدا.فهذا على وجه الحال إلا أن يظهر الموصوف فيكون على الحال و على غير الحال.)"1 "و المعنى الذي يحيل إليه الخطاب يُعَدُّ من وسائل الكشف عن الإعراب،و إن مفهوم العمل الإعرابي في علاقته بالمتكلم ،يعكس لنا مدى تماسك النظام النحوي و انتظامه في النظرية اللغوية،و بفضله يمكن أن نجد تفسيرا مُقْنِعًا لقضايا التقدير و الحذف و الإضمار،مما يعبر عن استقرار البنية الدلالية باعتبارها قانونا كليا لكل إنجاز كلامي،كما يجعل من الإنجاز الكلامي صورة للعمل الإعرابي.إن عملية التخاطب أمر معقد، لأن ظروف المقال غير اللغوية مثل المتكلم والمخاطَب تُناطُ بها مهمة تحديد خصائص الخطاب،فجزء كبير من معانِ المفردات و الجمل الموظفة في الخطاب ترتكز على الخبرة المشتركة بين المتكلم و المخاطَب.يقول ابن جني"2":(فلو كان استماع الأذن مغنيا عن مقابلة العين مُجزئا عنه لما تكلف القائل و لا كلف صاحبه الإقبال عليه و الإصغاء إليه)"4 "و يقول عبد الله بن مسعود:(حدِّث الناسَ ما حدجوك بأبصارهم،و أذنوا لك بأسماعهم،و لحظوك بأبصارهم،و إذا رأيت منهم فترة فأمسك)."4"

"1":سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر:الكتاب:الجزء الأول،ص:244.

"2":ابن جني:هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي،ولد سنة:320 للهجرة بالموصل،كان أبوه مملوكا روميا لسليمان بن فهد أحمد الأزدي الموصلي.و من أشهر ممن عاصره من الشيوخ نجد:احمد بن فارس اللغوي صاحب التصانيف الجليلة و إسماعيل بن حماد الجوهري،و إسماعيل بن عباد المعروف بالصاحب و الحسن بن بشر الآمدي و أبو هلال العسكري...من أشهر مؤلفاته:الخصائص و سر صناعة الإعراب و اللمع في العربية و المصنف و عقود الهمز...توفي في بغداد.

"3":ابن جني أبو الفتح عثمان :الخصائص:تحقيق:محمد علي النجار، الجزء الأول،ص:246 ،دار الكتب المصرية،القاهرة،مصر.

"4":لقد تنبه أغلب علماء العربية إلى قيمة العناصر غير اللغوية في عملية التخاطب،يقول ابن جني:(أنا لا أُحْسِنُ أن أُكَلِّمَ إنسانا في الظلمة)،مما يقوم دليلا على وعي سابق بأهمية تعابير الوجه و حركات الجسم و الإشارات (مبدأ المواجهة) في عملية الإنجاز الكلامي.كما كان الجاحظ حريصا على البعد النفسي في عملية التخاطب،إذ نبه إليه في مواضع كثيرة ،و نلمس هذا الحرص في أغلب مؤلفاته إذ كان يزاوج بين الجد و الهزل ضمانا لإستمرار التواصل بين المتكلم و المخاطب لحظة الإنجاز الكلامي.إن المتكلم مطالب بتحقيق المناسبة بين أقدار الألفاظ و أقدار المعاني و أن يوفي المنازل حقها،فبحكم ترابط المقال و المقام ترابطا جدليا تصبح خصائص الكلام غير منفصلة عن السياق الذي يحتويه، و عموما لقد وظف الجاحظ عدة مصطلحات للتعبير عن المقام من ذلك المقام و المواضع و الحال و الأقدار و المشاكلة و المطابقة و هي مصطلحات فرعية من أصل ثابت في تفكيره و أن لم تتبلور على المستوى الإصطلاحي و يتعلق الأمر بفكرة المناسبة أو الملاءَمة التي استحوذت على الحيز الأكبر من اللسانيات التداولية. فلا تتحقق بلاغة القول إلا إذا انصهر الكلام في وظيفته و تحققت فيه شروط الملاءمة.يقول الجاحظ:(لا خير في كلام لا يدل على معناك و لا يشير إلى مغزاك و إلى العمود الذي إليه قصدت و الغرض الذي إليه نزعت.)

عموما يشكل المقام و المتكلم و المخاطب عناصر غير لغوية،غير أنها تمثل ضغوطا إنجازية قصوى،فلا يمكن أن يتبين المعنى إلا باستحضار المقام الحي و المتكلم الفَطِنِ والمخاطَب اليَقِظِ.إن الوعي بشروط الإنجاز الكلامي الناجع و الفعّال قد تجذر في فكر ابن جني منذ تعريفه للغة،إذ يقول:(أما حَدُّهَا –أي اللغة–فإنها أصواتٌ يُعَبِّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضِهم.)"1"يُعَدُّ هذا التعريف للغة من أدق التعاريف على الإطلاق،إذ يتوافق مع ما توصلت إليه الأبحاث اللسانية الحديثة."2"

إن الباحث في علاقة الكلام بالمقام في التراث اللغوي العربي القديم لا يمكنه بأي حال من الأحوال أن يُهْمِلَ المباحث البلاغية التي تميزت بعنايتها الكبيرة بالبعد الإنجازي للغة،و يمكن القول إن علمي المعاني و البيان ينزلان منزلة الجهاز النظري للدارس للمعنى في الكلام،لأن علوم العربية أكثر العلوم عناية بالمعنى و صناعته،و يعد مصطلح مقتضى الحال مقابلا للمصطلح اللساني الحديث السياق (فالمتكلم في إنشائه للمعنى يَعْتَدُّ بشكل المعاني و نوع المخاطَب و حال الخطاب و مقامه و هي كلها شروط لإحراز المنفعة،و نجاح الإبلاغ،و لا يختلف عما تعرضه اللسانيات التداولية حديثا من شروط نجاح الملفوظ.) "3"

تحضر في البلاغة العربية عناصر المقاربة التداولية نظرا لقيامها على فعل التأثير في المتلقي و لعل من أهم مميزاتها حضور عنصري السياق و المقام،ناهيك عن الأغراض و المقاصد التي ينشدها المتكلم من خطابه انطلاقا من المبدإ البلاغي العام :"لكل مقام مقال".لقد اعتنى البلاغيون العرب القدامى بفكرة المقام و مقتضى الحال و أدرجوها ضمن ما ينبغي للخطيب أن يكون عليه أو يراعيه من أحوال السامعين،و لعل هذه الفكرة ذات صلة قوية باللسانيات التداولية يقول صلاح فضل:"يأتي مفهوم التداولية ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي يشار

"1":ابن جني أبو الفتح عثمان :الخصائص:تحقيق:محمد علي النجار، الجزء الأول،ص:283–284 ،دار الكتب المصرية،القاهرة،مصر.

"2":ينطوي تعريف ابن جني على أربعة عناصر أساسية في تعريف اللغة من وجهة نظر اللسانيات التداولية:

1. الطبيعة الذاتية للغة: من حيث كونها أصوات.
2. وظيفة اللغة: من حيث كونها أداة تواصل و تعبير.
3. الطابع الاجتماعي للغة:من حيث ارتباطها بالجماعة اللغوية.
4. الطابع العقلي و النفسي:المتمثل في علاقة الفكر باللغة،و توحي كلمة أغراض إلى مجموعة من الدلالات النفسية و الشعورية التي ينطلق منها المتكلم لإنجاز كلامه وفق سياق تداولي محدد و تعبيرا عن قصد معين،إن مصطلح "أغراض"ليس وثيق الصلة بالمواضعة الإجتماعية فحسب،بل إنه وثيق الصلة بالأنشطة العقلية للمتكلم و المخاطب لحظة التخاطب.

"3":أبو جادي خليفة:اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم،ص:162،الطبعة الأولى،2009،بيت الحكمة للنشر و التوزيع،سطيف،الجزائر.

إليها في البلاغة القديمة بعبارة مقتضى،و هي التي أنتجت المقولة الشهيرة "لكل مقام مقال" "1"،و التي ترصد مظاهر تفاعل البنية مع المقام.يقول محمد العمري في سياق حديثه عن مبدإ" لكل مقام مقال":(فالبلاغيون العرب،و إن لم يهتموا كثيرا بالدراسة النفسية و الأخلاقية للمرسل و المتلقي،حاولوا أن يدرجوا تحت عنوان المقام و الحال،ملاحظات كثيرة فيما ينبغي للخطيب أن يكون عليه أو يراعيه من أحوال السامعين.)"2" تعد البلاغة من أهم العلوم المكتملة في التراث العربي القديم،إنها نظرية متكاملة في التواصل تُعنى بدراسة كل ما له صلة بالِاستعمال اللغوي و ملابسات السياق التداولي، يقول أبو هلال العسكري في معرفة صنعة الكلام و سبل نظمه:(ينبغي أن تعرف أقدارَ المعاني فتُوازِن بينها و بين أوزان المستمعين،و بين أقدار الحالات،فتجعل لكل طبقة كلاما،و لكل حال مقاما،حتى تقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات،و أقدار المستمعين على أقدار الحالات،و اعلم أن المنفعة مع موافقة الحال،و ما يجب لكل مقام من المقال.)"3

كما أولى السكاكي"4" عناية فائقة لطرفي الخطاب،إذ هما أساس عملية التخاطب الذي لا يمكن أن يتم بغير الأخذ بعين الِاعتبار كل من المتكلم و المخاطب و مقتضى الحال.إن علم البيان في اهتمامه بمطابقة الكلام للمراد منه هو في عمقه اهتمام بقصد المتكلم ،فإن خالف الكلام قصد المتكلم لم تتحقق للخطاب أو النص نصيته و لو كان خطابا سليما من حيث تركيبه،إذ لا تواصل و لا تخاطب بغير قصدية،كما لا تتحقق للنص نصيته و جماليته وفق تصور السكاكي،إذا لم يكن صادرا من متكلم و مُلَبِّيا لقصده:(نظم الكلام إذا استحسن من بليغ لا يمتنع أن لا يُستحسن مثله من غير البليغ،و إن اتحد المقام،إذ لا شبهة في صحة

"1":":فضل صلاح:بلاغة الخطاب و علم النص:ص:89،سلسلة عالم المعرفة،يناير،1978.المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب،الكويت.

"2": العمري محمد:في بلاغة الخطاب الإقناعي ،ص:156:الطبعة الثانية،2002،إفريقيا الشرق،الدار البيضاء،المغرب.

"3":العسكري أبو هلال:الصناعتين،الكتابة و الشعر:تحقيق:علي محمد البجاوي و أبو الفضل إبراهيم،اص:منشورات المكتبة العصرية،1989،صيدا،لبنان.

"4":السكاكي:هو أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد علي ا الخوارزمي الحنفي،ولد في قرية من قرى خوارزم عام 555 للهجرة،لقب بالسكاكي نظرا لكون أسرته تمتهن صناعة المعادن،توجه لطلب العلم في سن متأخرة،و اكتفى في تحصيله للعلم بمساجد خوارزم و مدارسها التي تخرج منها عبد القاهر الجرجاني(ت 471هـ)) و رشيد الدين الوطواط(ت573هـ) و جار الله الزمخشري(ت538)و فخر الدين الرازي (ت606هـ)تأثر السكاكي بالبيئة الفكرية و الثقافية السائدة آنذاك،فبرع في علم النحو و الصرف و المعاني و البيان و المنطق و الِاستدلال و علوم الدين.تتلمذ على يد مجموعة من العلماء أمثال:سديد الدين بن محمد الخياطي و هو تلميذ للزمخشري و عبره تأثر السكاكي بالزمخشري.ترك السكاكي عددا لا يستهان به من المؤلفات القيمة لعل أهمها:مفتاح العلوم و شرح الجمل و كتاب التبيان و رسالة في المناظرة.

اختلاف النظم مقبولا و غير مقبول عند المقام،فلابد لحسن الكلام من انطباق له على ما لأجله يُساقُ و من صاحبه له عراف بجهات الحسن.) "1" و بذلك يحضر المخاطب في ذهن المتكلم لحظة إنتاجه للخطاب،فينتقي المتكلم لحظتها الإِستراتيجية المناسبة لقصده ،المراعية لحال المخاطب تحقيقا للإفادة في كلامه،مما يعني أن الإِفتراض المسبق ركن متأصل في الموروث البلاغي العربي القديم،حيث إن العناية و الإِهتمام موجهين بالأساس إلى المخاطَب.

إن مراعاة حال المخاطب تجعل عملية التخاطب سهلة و فعالة و متاحة،تُفْضِي إلى الإفهام و الوضوح و تجنب اللبس،فيعمل المتكلم على معرفة الوضع الحال للمخاطب حتى يتمكن من إنتاج كلامه وفق تلك الحال،كما يجب على المتكلم و هو في خضم الصياغة اللغوية مراعاة الظروف و المعطيات المحيطة به،و لعل أهمها :السياق التداولي ناهيك عن الحالة الإِجتماعية،لأن التقاليد و العادات من العوامل التي تحدو بالبليغ إلى اختيار الإِستراتيجية المناسبة لخطابه،و يعد أبو العباس المبرد"2" من اللغويين العرب الذين أسهموا في إغناء هذا المبحث بنظرته المفعمة بالإِعتبارات ذات البعد الإِستعمالي،يظهر ذلك جليا لحظة إجابته عن سؤال الكندي المتفلسف:"إني لأجد في كلام العرب حشوا:فقال له أبو العباس:في آي موضع وجدت ذلك؟فقال:أجد العرب يقولون:عبدُ الله قائمٌ،ثم يقولون:إن عبدَ الله قائمٌ:ثم يقولون:إن عبدَ الله لقائمٌ،**فالألفاظ متكررة و المعنى واحد**.فقال أبو العباس:**بل المعاني مختلفة لإِختلاف الألفاظ**.فقولهم:عبد الله قائم،إخبار عن قيامه،و قولهم:إن عبد الله قائم:جواب عن سؤال سائل،و قولهم:إن عبد الله لقائم،جواب عن إنكار منكر قيامه،فقد **تكررت الألفاظ لتكرر المعاني**)"3 " ففي الحالة الأولى جاء الكلام خاليا من التوكيد لأنه يُلقى للمخاطب الخالي الذهن و هذا يدعم فعالية الإِقتصاد في الكلام و يُجَنِّبُ المتكلم التطويل و الإِسهاب،و يسمى هذا الضربُ الخبرَ الإِبتدائي.أما الحالة الثانية فيسمى هذا الضرب بالخبر الطلبي،حيث وجب على المتكلم توكيدَ كلامِه درءً للشك و التردد،و حين يكون المخاطب

"1":السكاكي أبو يعقوب:مفتاح العلوم:تحقيق:نعيم زرزور،ص:431 ،دار الكتب العلمية،الطبعة الأولى،1983،بيروت،لبنان.

"2":المبرد:هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الملقب بالمبرد،ولد بالبصرة سنة 210 للهجرة،تتلمذ على يد أعلام البصرة النحو و اللغة و التصريف،ثم أصبح إماما في النحو و اللغة،عرف بغزارة علمه و أدبه و فصاحة لسانه.تتلمذ على يد أئمة عصره كأبي عمر الجرمي و أبي عثمان الجاحظ و القاضي إسماعيل بن إسحاق...من مؤلفاته:المقتضب و الكامل في اللغة و الأدب و الفاضل و نسب عدنان و قحطان...

"3":الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد:دلائل الإعجاز:قراءة و تعليق:أبو فهر محمود محمد شاكر،ص:221،الطبعة الثالثة،1992،مكتبة الخانجي للطباعة و النشر و التوزيع،القاهرة ،مصر.

جاحدا منكرا للخبر إنكارا، يحتاج أن يُؤَكَّد له الخبر بأكثر من مؤكد،لأن مقام الكلام ابتداءً يختلف عن مقام الكلام بناءً على الإنكار أو الإستخبار،كما أن مقام البناء على السؤال يختلف تمام الإختلاف عن بناء المقام على الإنكار،مما يظهر بشكل جلي عملية السمو بالعبارات و الجمل نحو الأفق التداولي الحجاجي لأن التوظيف السليم لأدوات التوكيد إنما غايته الإقناع،فكلما تنامى الجحود و الإنكار ازداد التوكيد في الصيغة الكلامية.

هذا التصور التداولي يحضر كذلك لدى الجرجاني،إذ نجده يربط الصياغة بالمخاطب و يجعلها رهينة بالحالة الإدراكية للمخاطب مستشهدا بما رواه الأنباري عن الكندي و هو يتوجه بالسؤال للمبرد.كما يحضر لدى الجاحظ"1" حيث درس موضوع التخاطب اللغوي من كل جوانبه،إذ درس قضية اللغة و وظائفها و علاقتها بالمتكلم و المخاطب"2"،كما أكد على أهمية المقام انطلاقا من ربط الصيغة بالسياق،يقول:(...إنما مدار الشرف على الصواب و إحراز المنفعة مع موافقة الحال و ما يجب لكل مقام من مقال.)"3 "و يقول في موضع آخر من الكتاب:(ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني،و يوازن بينها و بين أقدار المستمعين و أقدار

"1":الجاحظ هو:أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ البصري العلم الشهير،ولد بالبصرة درس و تعلم بالكُتَّاب فضلا عن مجالس العلم و الأدب التي كانت تعقد بالمساجد،إذ كان يدرس بها كبار العلماء أمثال الحسن البصري و واصل بن عطاء. من شيوخه أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي و الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب الباهلي...من مؤلفاته:البيان و التبيين و كتاب الزرع و النخل و كتاب الفرق بين النبي ة المتنبي و كتاب المعرفة...

"2":إهتدى الجاحظ إلى أن اللغة ليست آلة البيان الوحيدة،بل هناك الإشارة و العقد و النصبة"الرمز" و الخط،يقول:(و جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ و غير لفظ خمسة أشياء لا تنقص و لا تزيد:أولها اللفظ ثم الإشارة،ثم العقد،ثم الخط،ثم الحال التي تسمى نصبة.)،إن هذا التصور البلاغي حول الأصناف الدلالية يعكس بجلاء ذلك الوعي العميق بأهمية الإعتبارات غير اللغوية في عملية التخاطب،كما ينطوي على أبعاد تداولية ،إذ انتبه إلى مختلف الوسائل التعبيرية اللغوية و غير اللغوية و أثرها في عملية الفهم و الإفهام و التعبير عن القصد.يقول الجاحظ: (و مدار الأمر و الغاية التي إليها يجري القائل و السامع إنما هو الفهم و الإفهام،فبأي شيء بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى،فذلك هو البيان في ذلك الموضع.)"3"فالفهم و الإفهام هو الوجه الذي يصور الفعل التخاطبي القصدي في صورته الذاتية،أي يصور تفاعل الذات مع اللغة.إن وظيفة اللغة الأساسية وفق تصور الجاحظ هي وظيفة الفهم و الإفهام و بغيرها لا تقوم باقي الوظائف الأخرى و الجاحظ حريص على أن تؤدى هذه الوظيفة وفق شروط الفصاحة و الإبانة،إن ربطه بين المعطيات اللغوية و آرائه البلاغية يجب أن يحسب له لأنها نقلة نوعية في ذلك التاريخ،إنه بهذا التفكير المتطور يُغْني منظومة التواصل الإنساني،إذ هو على دراية تامة بسر التفاهم الحاصل بين المتخاطبين خاصة على مستوى الإنتماء إلى عشيرة لغوية مشتركة يتحقق بمقتضاها التكامل بين نسج و تركيب الرموز من طرف المتكلم و تحليله من طرف المخاطب.

"3":الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر:البيان و التبيين:تحقيق:عبد السلام هارون:الجزء الثاني،ص:315 ،الطبعة السابعة،1998 ،سلسلة مكتبة الجاحظ،مكتبة الخانجي،القاهرة،مصر.

الحالات،فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما،و لكل حالة من ذلك مقاما،حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني،و يقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات،و أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات.)"[1]

"يكتسي مصطلح الشرف مدلولا إجرائيا لا يقف عند عملية تقييم المعنى،بل يتعداه إلى النظر في علاقة القول بعملية التخاطب من إحراز للمنفعة و موافقة الحال و ما يجب لكل مقام من المقال.إن الإبانة وطيدة الصلة بمقتضيات المقام لأن تغير المخاطبين يؤدي بالضرورة إلى تغيير شكل الخطاب،كما قرن الجاحظ مفهوم البيان بشرط الفهم و الإفهام لأن(مدار الأمر و الغاية التي يجري القائل و السامع إليها،إنما هي الفهم و الإفهام،فبأي شيء بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع.)"[2]

لقد عالج البلاغيون العرب قضية السياق اللغوي و المقامي في خضم دراستهم لفكرة "لكل مقام مقال"،إذ لهم قصب السبق في هذا المجال.إن اهتمامهم بعنصر السياق جعل من فكرة "مقتضى الحال" تؤطر عملهم في أغلب مباحث مؤلفاتهم و يعد السياق عنصرا فعالا في معرفة قصد المتكلم،حيث يضمن المقام سلامة المعنى و حصول الإفادة لدى المخاطب،كما يربطون حسن الصياغة اللغوية بالمقام فمعيار الكلام عندهم في باب الحسن و القبول يتحدد في مدى مناسبة الكلام لمقتضى الحال.

عموما لقد اهتدى ابن يعيش ،في وقت مبكر من تاريخ النحو العربي إلى ما يحف بظاهرة الكلام من ملابسات و يعد من اللغويين العرب القدامى الذين نقف في تراثهم على نظرية متكاملة تقرر أن الكلام، و هو المظهر الوجودي للغة المجرد،يُنجز بالضرورة في سياق خاص يجب أن تُراعى فيه، إلى جانب الناحية اللغوية المحض،مجموعة من الشروط كالمخاطب و المقام و ملابسات الإستعمال و التداول.كما عُرِف ابن يعيش بدقة التمحيص في الآراء و استقصائها،ناهيك عن الدقة في التعبير مع مراعاة النهج الدقيق في التعبير عن المعنى المقصود،عُدَّتُهُ في ذلك اعتمادُ القياس و انتهاجُ الإحتجاج بكلام العرب،كما كان على دراية تامة بأهمية السياق و أثرِهِ الوظيفي في الكشفِ عن المعنى و إزالةِ اللبس مع تحديد معنى المفردات داخل

"1":الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر:البيان و التبيين:تحقيق:عبد السلام هارون:الجزء الثاني،ص:128-129 ،الطبعة السابعة،1998 ،سلسلة مكتبة الجاحظ،مكتبة الخانجي،القاهرة،مصر.

"2": الجاحظ:نفسه،الجزء الأول،ص: 37.

التركيب،ذلك أن المفردة الواحدة لها أكثر من معنى،مما يعني أن المعنى متعدد لكن الذي يحدده المعنى المقصود هو السياق التداولي الذي يفرض قيمة واحدة دون غيرها على الكلمة و يخلصها من كل الدلالات المادية المختزنة في الذاكرة و يمنحها قيمة حضورية:يقول جوزيف فندريس:(الذي يعين الكلمات في كل الحالات التي ناقشناها إنما هو **السياق**،إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا.و السياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها،و السياق أيضا هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، و هو الذي يخلق لها **قيمة"حضورية"**.و لكن الكلمة بكل المعاني .الكامنة توجد في الذهن مستقلة عن جميع الإستعمالات التي تستعمل فيها مستعدة للخروج و التشكل بحسب الظروف التي تدعوها.)"1"

إن بينة الخطاب الإبلاغي و التواصلي تحدو بالمتكلم إلى انتقاء النُّظُم العَلَاِمي الملائِم للمقام،لأجل ذلك لا يلجأ المتكلم إلى توظيف مفردات لغوية لا يحيط بها المخاطب أو لا يقوى على تأويلها.إن مجرد التلفظ بالكلمة في مقام محدد يصير لافتا لِانتباه المخاطب و مُوَجِّهًا إياه إلى قصد المتكلم،مما يؤكد على أن ابن يعيش قد سلك في عملية لفتِ انتباهِ المخاطب مداخلَ عديدة،تثبت حقيقة مفادها أن الكلام يقوم على حرص المتكلم على لفتِ انتباهِ المخاطبِ و تحويله إلى الِاهتمام بالخطاب.يبدو الأمر جليا في باب النداء،إذ الهدف منه وفق تصور ابن يعيش هو:" التصويت بالمنادى ليقبل،و الغرض من حروف النداء امتداد الصوت و تنبيه المدعوّ،فإذا كان المنادى متراخيا عن المنادي أو مُعرِضا عنه لا يُقْبِلُ إلا بعد اجتهاد أو نائما قد استثقل في نومه استعملوا فيه جميع حروف المنادى ما خلا الهمزة،و هي يا و أيا و هيا و أي،يمتد الصوت بها و يرتفع،فإن كان قريبا نادَوْه بالهمزة،نحو قول الشاعر:

أَزيدُ أخا ورقاء إن كنت ثائرا .....

لأنها تفيد تنبيه المدعو و لم يُرَدْ امتداد الصوت لقرب المدعو،و لا يجوز نداء البعيد بالهمزة لعدم المدِّ فيها، و يجوز نداء القريب بسائر الحروف توكيدا."2"

"1":جوزيف فندريس:اللغة:ترجمة:عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص،ص:سلسلة ميراث الترجمة،الطبعة:2014،القاهرة،مصر.

"2":إبن يعيش موفق الدين:شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،:الجزء الثاني،ص:36،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى،2013،دمشق،سوريا.

لقد ذهب ابن يعيش إلى ضرورة وصل حرف النداء بالفعل "أدعو" أو " أنادي" انطلاقا من إيمانه بمسألة نيابة حروف المعاني عن الأفعال الإحالية المنسوبة إلى المتكلم في حاضر القول من جهة،و المعبرة عن وضعه التخاطبي من جهة ثانية.فمثلا جملة:يا زيدُ ،تُحَقِّقُ مدلولَ الجملة:أنادي زيدا،فبواسطة الأداة يصير المتكلم مناديا مثلما يصير بأداة الإستفهام سائلا و بها يصير المنادى أو المدعو مخاطبا،و عموما تبقى الغاية القصوى جلب المخاطب إلى دائرة التخاطب و قوله (متراخيا أو معرضا) يدل دلالة واضحة على تلك الأحوال التي تلم بالمخاطب قبل بدء عملية التخاطب،غير أن هناك أحوال قد تصيب المخاطب لحظة الإنجاز الكلامي مما يجعل المتكلم يمارس نوعا من المعالجة اللغوية تجاهها،يقول ابن يعيش:(إذا قلت :جاء زيد نفسه أو عينه،فيزيل التأكيد ظن المخاطب من إرادة المجاز و يؤمن غفلة المخاطب.)"1" تتحقق إذن فائدة التأكيد في تثبيت المعنى في نفس المخاطب احترازا من الغفلة أو الشك،(فائدة التأكيد تمكين المعنى في نفس المخاطب و إزالة الغلط في التأويل،و ذلك من قبل أن المجاز في كلامهم كثير شائع.)"2" عموما لقد درس ابن يعيش المقام دراسة مستفيضة بشكل يضاهي تنظيرات رواد اللسانيات التداولية للسياق،حيث يعتبر عنصرا أساسيا في أي مقاربة لغوية باحثة عن المقاصد،كما حظي سياق القول بدراسات مستفيضة عن أنواعه و صنوفه،لعل أهمها:

- **السياق الظرفي** :تمثله الظروف الفيزيائية المباشرة لأطراف العملية التخاطبية مثل طبيعة التواصل و الزمان و المكان.
- **سياق الموقف**:تمثله الظروف الثقافية للخطابات.
- **سياق التفاعل**:تمثله مجموع القناعات و القيم المشتركة بين طرفي الخطاب."3 "

يُعَدُّ السياق من أهم دعائم اللسانيات التداولية،إنه أداة إجرائية في الكشف عن مقاصد المتكلمين و تبيين نواياهم الخفية بُغية إفادة المخاطبين،و يقصد بالسياق مجموع العلاقات الداخلية التي تتحكم في دلالة النص و تمنح وحداته معناها السياقي،كما يعتبر مصطلح السياق من المصطلحات الأكثر ذيوعا و تأثيرا في الدرس اللساني الحديث منذ أن ابتدعه (مالينوفسكي) ليتسع مفهوم السياق في حقل اللسانيات التداولية،إذ يعد

"1":ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق،إبراهيم محمد عبد الله،:الجزء الثالث،ص:72،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى،2013،دمشق،سوريا.

"2":إبن يعيش:نفسه،الجزء الثالث،ص:72.

"3":حمادي صمود:التفكير البلاغي عند العرب:أسسه و تطوره إلى القرن السادس(مشروع قراءة)،ص:188،منشورات الجامعة التونسية،1981،تونس.

من أهم ركائزها،و المقصود به:مجموع الظروف التي تحف عملية التلفظ ،و تمثل جهود عالم الإجتماع و الأجناس البشرية"مالينوفسكي" البداية الفعلية لنظرية السياق، و يتحدد معنى الوحدة اللغوية وفق تصوره في الوظيفة التي تؤديها هذه الكلمة في سياق محدد،كما يتحد مفهوم الوظيفة fonction في هذه النظرية مع مفهوم المعنى،و عليه يصبح مفهوم السياق اللغوي عبارة عن بناء متكامل من الوظائف الصوتية و الصرفية و المعجمية و النحوية و الدلالية التي تقوم بها مكونات هذا السياق، و انطلاقا من دراسته للغات البدائية كلغة الهنود،توصل إلى حقيقة مفادها أن الكلمات المعزولة عن سياقاتها، هي مجرد أصوات غامضة مفتقرة للمعنى،داعيا إلى تحليل أنماط السياقات الكلامية مع الأخذ بعين الإعتبار السياق التداولي المرافق للإنجاز الكلامي.لأجل ذلك صاغ عبارته الشهيرة:context of situation. و المقصود بها سياق الموقف أو الظروف الخارجية المرافقة للأداء اللغوي.مثلت هذه العبارة نقطة انطلاق فعلي لنظرية السياق لدى فيرث الذي يدعو إلى تفادي البحث في المعنى باعتباره مجرد عمليات ذهنية ، و النظر إليه على أنه مُركب من العلاقات السياقية.فالمعنى حسب تصور فيرث firth لا يتبين إلا عبر وضع الوحدة اللغوية في سياقها الاستعمالي،كما يؤكد على أن التفوهات اللغوية لا وظيفة لها إلا في إطار موقف خارجي و إنَّ مكونات الوحدة اللغوية لا يعمل كل منها إلا في ضوء علاقته بالمكونات الأخرى. للسياق إذن مكانة متميزة في الدرس اللساني الحديث حيث استقل بنظرية لغوية لعل أهم روادها فيرث و هاليداي و غيرهما،فلا معنى للكلمة إلا بتجاورها مع غيرها من الكلمات داخل السياق"1"،و التصور ذاته نلمسه لدى ابن يعيش الذي يشير غير ما مرة إلى وظيفة السياق في تفسير التراكيب و توضيحها،مثال ذلك حديثه عن مسوغات الإبتداء بالنكرة المخصصة باستفهام أو نفي:(و قالوا في المثل:"شرٌّ أهر ذا ناب"فالإبتداء فيه حسن لأن معناه :مَا أَهَرَّ ذا نابٍ إلا شرٌّ...و معنى شر اهر ذا ناب أنهم سمعوا هريرَ كلبٍ في وقت لا يَهِرُّ مثلُهُ فيه إلا لسوءِ ظنٍّ،و لم يكن غرضُهم الإخبارَ عن شرٍّ،و إنما يريدون: الكلبُ أهرَّهُ شرٌّ،و إنما كان محمولا على معنى النفي،لأن الإخبار به أقوى ،لأنه أوكد.)"2" إن أصل التركيب هو :ما أهرَّ ذا نابٍ إلا شرٌّ،فتم حذف حرف النفي و أداة الإستثناء،كما تم

"1":firth.J.R.Papers in Linguistics1934-1951(London : Oxford University presse, 1957) P : 19

"2":ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق،إبراهيم محمد عبد الله،:الجزء الأول،ص:201 ،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى،2013،دمشق،سوريا.

تقديم لفظ الشر نكرة،و كان السياق التداولي هو الموضح و المبين للتركيب،فمتى سمع المخاطب هرير كلب، فالأمر إخبار فيه تأكيد و أن لم يسمع الهرير فهو إخبار و تنبيه في الوقت ذاته.و قد يدل السياق دلالة خفية يلتقطها المخاطب رغم خلو التركيب من اللفظ الدال دلالة واضحة على المعنى المقصود،يقول ابن يعيش:(إعلم أن المضاف قد **حذف** كثيرا من الكلام **و هو سائغ في سعة الكلام و حال الإختيار** إذا لم يشكل و إنما مسوغ ذلك **الثقة بعلم المخاطب** إذ **الغرض من اللفظ الدلالة على المعنى،فإذا حصل المعنى بقرينة حال أو لفظ آخر استغني عن اللفظ.**)"1"

كما أن ظروف المقال غير اللغوية من متكلم و مخاطب و سياق لها بالغ الأهمية في تحديد خصائص الخطاب،و يؤكد رواد اللسانيات التداولية على أنه لا يمكن فهم الخطاب بغير استدعاء شروط إنتاجه و على الخصوص المتكلم و المخاطب إيمانا منهم بأن الخطاب يُتوجَّه مِنْ و إلى أحد الطرفين مع وجود خيط رفيع يصل بينهما و هو الخلفية الفكرية الثقافية و الإجتماعية و هو ما يسميه التداوليون **بالإفتراض المسبق** ذلك أن المخاطب العالِم بلغته المدرِك لمنطلقاتها الفكرية يَعِي ما يُنْتِجُهُ المتكلم من خطابات،و في هذا السياق نجد ابن يعيش يولي عناية فائقة لطرفي الخطاب من متكلم و مخاطب،إيمانا منه بأن اللغة قامت في أساسها على مخاطبة أقوام على درجات متفاوتة من العلم و المعرفة،فركزت على هؤلاء المخاطَبين و وجهت قواعدها انطلاقا من مراعاة مباشِرة لإستراتيجيات الخطاب و ظروفه،و لذلك كان المخاطَب حاضرا في ذهن ابن يعيش عند قراءَته للمسائل النحوية وتوجيهها،و لا غرابة في ذلك لأن اللغة نظام تواصلي ترابطي ينبثق من المسافة بين المتكلم و المخاطب،فلا يمكن لأي كلام أو قول أن يؤدي غرضه إذا لم يكن معنيا بالمخاطَب و مدى إدراكه للمعطيات التواصلية،حتى أصبح بالإمكان القول إن توجيهاته النحوية للظاهرة اللغوية قامت لخدمة المخاطَب في محاولة لإنجاحِ التواصلِ الإبلاغي

"1":إبن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الثالث،ص:41 ،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى،2013،دمشق،سوريا.

بين طرفي الخطاب وفق استراتيجية ميكانيكية تلتفت إلى واضعي اللغة و إلى المتكلم و ما يرمي إليه،ناهيك عن تركيزه بالأساس على المخاطَب الرئيس الذي يمكن اعتباره محور الخطاب.لأجل ذلك كان يُعْنى بالمخاطَب و يُعْلِي من قدره في تداول الظاهرة النحوية."1" يقول:(إذا حُذِف المضافُ أُقِيم المضاف إليه مقامه و أُعرِب إعرابه.و الشاهد في ذلك قوله تعالى "واسألِ القرية" و المراد أهل القرية من حيث هي مدر و حجر مما لا تُسأل،لأن الغرض من السؤال ردُّ الجواب و ليس المدر والحجر مما لا يُجيب واحد منهما.)"2 "

من أهم مرتكزات النظرية السياقية النظرُ للغة على أنها جزء من النتاج الاِجتماعي،كما أن وحدة الاِستعمال اللغوي الأساس هي الجملة أما المعنى المقصود من الإنجاز الكلامي فهو ذو طبيعة متغيرة.و بهذا يضطلع السياق بدور مزدوج فيحصر مجال التأويلات الممكنة و يدعم التأويل المقصود،تماشيا مع هذا الطرح يؤكد ابن يعيش على ضرورة توظيف العبارات اللغوية المناسبة للمقام درءً للبس و تجنبا للاِحتمال مع مراعاة حال المخاطب يقول: (و ربما احتاجوا إلى ذلك في بعض الاِستعمال،و ذلك أنك لو قلت:أعطيت بهذه السلعة خمسة و عشرة،جاز أن يتوهم المخاطب أنهما صفقتان أعطى بهما مرة خمسة و مرة عشرة،فإذا ركبت زال هذا الاِحتمال،و ارتفع اللبس و تحقق المخاطب)"3".

خلاصة القول:

إن المعنى وفق المنظور التداولي الاِستعمالي لاِبن يعيش ليس مجرد علاقات مطردة تؤدي وظيفتها في سياق التراكيب النحوية،بل هو نتيجة علاقات متداخلة أو لنقل هو حصيلة **لمواقف حية يمارسها الأشخاص داخل المجتمع،مما** يجعل من العلاقات داخل التراكيب وليدة البيئة الاِجتماعية، بها يصح المعنى و بتنافرها يبطل المعنى و يفسد كما يتعذر التفاهم و بذلك يتم الإخلال بوظيفة اللغة التي هي في جوهرها وظيفة اجتماعية.

"1": عمر أحمد مختار: علم الدلالة :ص.ص:68-69 ،عالم الكتب،1993،القاهرة،مصر.

"2":اِبن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله:الجزء الثالث،ص:23،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى،2013،دمشق،سوريا.

"3": ابن يعيش:نفسه،الجزء الرابع،ص:113.

2.القصد التداولي:

يعد مفهوم القصد مفهوما أصيلا في التراث اللغوي العربي القديم،بوصفه الغرضَ الذي يروم المتكلم تحقيقه من خطابه،فلا نص و لا خطاب بغير قصد،و من أمثلة تحري سيبويه"1"مقصدية المتكلم و مسلك خطابه قوله: (إذا كان الكلام بها بمنزلة أيهما و أيهم،و ذلك قولك:أزيد عند أم عمرو،و أزيدا لقيتَ أم بشرا؟فأنت الآن مُدَّعٍ أن المسئول قد لقي أحدهما أو أن عنده أحدهما،إلا أن علمك قد استوى فيهما لا تدري أيهما هو.و الدليل أن قولك:أزيد عندك أم عمرو بمنزلة قولك:أيهما عندك...و اعلم أنك إذا أردت هذا **المعنى** فتقديم الِاسم أحسن،لأنك لا تسأله عن اللقى،و إنما تسأله عن أحد الِاسمين لا تدري أيهما هو،فبدأت بالِاسم لأنك **تقصد قصد** أن يبين لك أيُّ الِاسمين في هذا الحال،و جعلت الِاسم الآخر عديلا للأول،فصار الذي لا تسأل عنه بينهما.)"2"

و للإشارة فقد حافظ التراث اللغوي اللاحق بسيبويه على الحدود التي وضعها للمعنى:"**ما يعنيه العاني**"،إذ نلحظ هذا المفهوم لدى الرازي إذ يقول:(المعنى عبارة عن الشيء الذي عناه العاني و قصده القاصد)، أما اعتباره بأنه ما في النفس و النية فيمكن الإحالة على كتاب "دلائل الإعجاز" للجرجاني ،إذ نجده حافلا بهذه المصطلحات كما أضاف مصطلحات أخرى تفيد المعنى ذاته،من قبيل:ما في الضمير و القلب و الصدر و العقل،و مرد ذلك إلى حرصه الشديد على إلحاق البلاغة و الفصاحة بالمعنى،فانصَبَّ بحثه على دراسة اللفظ و المعنى.

"1": من أهم المبادئ التداولية التي أقرها سيبويه صنف المستقيم الكذب أو ما يسمى باللحن التداولي و ذلك عند تقسيمه الكلام في (باب الِاستقامة من الكلام و الإحالة).فالكلام المستقيم الكذب هو تركيب انتظمت مكوناته وفق نسق نحوي مقبول و تمت فيه المحافظة على الرُّتَب و المحَلَّات و علامات الإعراب،لكن شابه اللحن على مستوى الدلالة،و هو بذلك يفرق بين مجالين مجال الصحة المفترضة نحويا و الواقع اللغوي المستعمل و المتداول لدى العرب،و حين يحصل التعارض بين المجالين،فإنه يَحْكُم على الأول بالقبح و على الثاني بالحسن.يقول الشاطبي في كتاب الموافقات:(و كتاب سيبويه يُتَعَلَّمُ منه النظر و التفتيش، و المراد بذلك أن سيبويه و إن تكلم في النحو،فقد نبه في كلامه على مقاصد العرب و أنحاء تصرفاتها في ألفاظها و معانيها.و لم يقتصر على بيان أن الفاعل مرفوع و المفعول منصوب و نحو ذلك،بل يبين في كل باب ما يليق به.حتى إنه احتوى على علم المعاني و البيان و وجوه تصرفات الألفاظ و المعاني.) كما تناول سيبويه النظم باعتباره صورة من النظام النحوي،إذ النظم في حقيقته ما هو إلا توخي معاني النحو في معاني الكلم الذي يتحدد معناه وفق تصورهم في وجوه تعلق الكلم بعضها ببعض،و بتعبير أخر معاني الكلم هي تلك الدلالات المعجمية الموضوعة في اللغة وضعا قابلا للِانتظام و الِانصهار في معاني النحو و جاهزة للِاستعمال في مقامات معينة تحقيقا لمقاصد المتكلمين.

"2":سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر:الكتاب:الجزء الثالث،ص:169-170،تحقيق و شرح:عبد السلام هارون،الطبعة الثالثة،1988،مكتبة الخانجي،القاهرة،مصر.

إن اللفظ وعاء للمعنى و دال عليه و المعنى كينونة عقلية يَبْنِيهَا المتكلم بالتفكير و النظر و الروية و التأمل، و متى اختار المتكلم اللفظ المناسب غدت معنى مُعَبِّرًا عنه،فالناس إنما يكلم بعضهم بعضا ليعرف السامع غرض المتكلم و مقصوده،لأنهم إذا(نطقوا و تكلموا أخبروا السامعين عن **الأغراض و المقاصد** و راموا أن يعلموهم ما في نفوسهم و يكشفوا لهم عن ضمائرهم و قلوبهم.) "1"

إن الكلام وفق تصوره إن لم يكن صادرا من بليغٍ عارفٍ بمواطن الحسن و الجمال،يفقد نَصِّيَتَهُ لغياب عنصر القصد و إن كان حافلا بالعناصر الجمالية و الصور البلاغية.يقول الجرجاني"2":(جوهر الكلام البليغ مثله مثل الدرة الثمينة لا ترى درجتها تعلو و لا قيمتها تغلو،و لا نشتري بثمنها،و لا تجري في مساومتها على سننها، ما لم يكن المستخرِج لها بصيرا بشأنها و الراغب فيها خبيرا بمكانها.)"3 ".

يعد الإسناد بنية دنيا تتحقق بمكونين أساسيين تمنحهما العلاقة المعقودة بينهما وظائف دلالية و بلاغية و خطابية ثابتة،مما يؤكد على مركزية الإسناد في وسم الكلام بالمفيد،و المقصود بالإفادة وقوف المخاطب على غرض المتكلم بغير لبس أو سوء فهم فلا يسوغ الِالتباس لمخالفته الغاية من وضع اللغة،و يعد هذا الأمر جوهر الدرس اللساني التداولي،و لمبدإ الإفادة مكانة متميزة لدى اللغويين العرب القدامى في مواضع عدة لعل أهمها :التقديم و التأخير و الذكر و الحذف و النفي و الإثبات...إن سيبويه و هو في خضم تفسيره لكثير من الظواهر يُعَول على علل من قبيل أمن اللبس و الفروق في المعنى جاعلا قصد المتكلم و إفادة المخاطب نصب عينيه،كما لا يحق للمتكلم أن يجعل خطابه بعيدا عن فهم المخاطب.

من الدلائل التي تقوي حرصه على حضور عنصر الإفادة في الخطاب إجازته الحذف بقرينة علم المخاطب لغاية التخفيف على اللسان ،كما درس ظاهرة الِاختزال الكلامي في خضم دراسته لمبدإ الإفادة و أمن اللبس.إن المتكلم لا يعمد إلى اختزال خطابه بغير ثقته في قدرة المخاطب على إدراك

"1": الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد:دلائل الإعجاز:قراءة و تعليق:أبو فهر محمود محمد شاكر،ص:35،الطبعة الثالثة،1992،مكتبة الخانجي للطباعة و النشر و التوزيع،القاهرة ،مصر .

"2":الجرجاني:هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني،كان منذ صغره محبا للعلم،درس النحو و الأدب و الفقه،قرأ لكل من سيبويه و الجاحظ و المبرد و ابن دريد...كما حَذِقَ الثقافة العربية الإسلامية السائدة آنذاك مثل علوم القرآن الكريم و الدراسات المنطقية،كما كان ممتلكا لناصية مجموعة من اللغات إلى جانب اللغة العربية مثل:الفارسية و الهندية و التركية.من مؤلفاته:أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز و الإيضاح في النحو و كتاب الجمل و إعجاز القرآن و الرسالة الشافية في الإعجاز و المغني و المقتصد و شرح الفاتحة.

"3":الجرجاني:نفسه،ص:175.

المعنى المقصود.يقول سيبويه:(**و إنما صار الإ**ضمار معرفة،لأنك إنما تضمر اسما بعدما تعلم أن من يُحدث قد عرف من تعني و ما تعني و أنك تريد شيئا يعلمه)"1" فمتى شاب الخطاب حذف أو نقصان،فالأمر راجع إلى نية المتكلم و فطنة المخاطب:(و تقول:إذا كان غدٌ فأتني،و إذا كان يوم الجمعة فالْقَني،فالفعل لغدٍ و اليوم،كقولك:إذا جاء غدٌ فاتني.و إن شئت قلت:إذا كان غدا فأتني،و هي لغة بني تميم،و المعنى أنه لقى رجلا فقال:إذا كان ما نحن عليه من السلامة أو كان ما نحن عليه من البلاء في غد فأتني،و لكنهم أضمروا استخفافا،لكثرة كان في كلامهم،لأنه الأصل لما مضى و ما **سيقع**.)"2" وقد يكون الإفتراض المسبق للمخاطب محددا أساسا لوجهة الخطاب بغية الإبقاء على التفاهم بين المتكلم و المخاطب:(يقول الرجل:أتاني رجل،يريد واحدا في العدد لا اثنين فيقال :ما أتاك رجل،أي أتاك أكثر من ذلك،أو يقول أتاني رجل لا امرأة فيقال:ما أتاك رجلٌ،أي امرأة أتتك. و يقول:أتاني اليوم رجل،أي في قوته و ،فتقول:ما أتاك رجلٌ،أي أتاك الضعفاء.فإذا قال:ما أتاك أحد صار نفيا لهذا كله،فإن مجراه في الكلام هذا.)"3"يقول في موضع أخر :(و ذلك قولك:أتميميا مرة و قيسيا أخرى.و إنما هذا أنك رأيت رجلا في حال تَلَوُّنٍ و تنقُّلٍ، و ليس يسأله مسترشدا عن أمر هو جاهل به ليُفَهِّمَهُ إياه و يُخبِره عنه،و لكنه وَبَّخَهُ بذلك.)

إن غاية كل نظام لغوي تحقيق الإفادة:(و ذلك أن الكلام إنما وضع للفائدة،و الفائدة لا تجنى من الكلمة الواحدة،و إنما تجنى من الجمل،و مدارج القول.)"3 "و على أساس المعنى و تحقق الإفادة يميز ابن جني بين الكلام و القول:(أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه،مفيد لمعناه،و هو الذي يسميه النحويون الجمل.نحو ، زيد أخوك، و قام محمد،و ضرب سعيد،و في الدار أخوك ،و صه ، و مه،و رويد، و عاءٍ في الأصوات، و حَسِّ،و لبِّ،و أفٍّ،و أوّه.فكل لفظ استقل بنفسه،و جنيت منه ثمرة معناه فهو كلام،أما القول فأصله أنه كل لفظ مذِل به اللسان،تاما كان أو ناقصا[صه،و إيهٍ]. و الناقص ما كان بضد ذلك نحو: زيد و محمد، و إن، و كان أخوك،إذا كانت الزمانية لا الحدثية.فكل كلام قول،و ليس كل قول كلاما)"4 "كما يوجه ابن جني الخطاب وظيفيا ليناسب

"1":سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر:الكتاب:الجزء الأول،ص:6،تحقيق و شرح:عبد السلام هارون،الطبعة الثالثة،1988،مكتبة الخانجي،القاهرة،مصر.

"2":سيبويه:نفسه،الجزء الأول:ص،224.

"3":سيبويه:نفسه،الجزء الأول:ص،55.

"4":ابن جني أبو الفتح عثمان :الخصائص:تحقيق:محمد علي النجار، الجزء الأول،ص:76 دار الكتب المصرية،القاهرة،مصر.

قصد المتكلم،من ذلك قوله في تفسير قول الله عز وجل:(فيكون قوله تعالى: [يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ]على هذا مفيدا،أي ليس الغرضُ تشبيهه بالطائر ذي الجناحين،بل هو الطائر بجناحيه البتة.)"1 "و من أمثلة الحملِ على المعنى و توجيهِ الخطاب أيضا:(اِعلم أن هذا الشرج غور من العربية بعيد،و مذهب نازح فسيح ،قد ورد به القرآن و فصيح الكلام،منثورا و منظوما،كتأنيث المذكر و تذكير المؤنث،و تصور الواحد في الجماعة، و الجماعة في الواحد.)"2 " الإفادة مبدأ تداولي أصيل في الموروث اللغوي العربي القديم،يراد به بلوغ المخاطب غرض المتكلم بغير لبس أو سوء فهم أو تعمية.يقول الجاحظ:(يكفي من حظ البلاغة ألا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق،و لا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع)"3 " و يقول في موضع آخر:(و من أراغ معنى كريما فليلتمِسْ له لفظا كريما،فإن حق المعنى الشريف اللفظُ الشريفُ.)"4 "إن المتأمل في مؤلفات الجاحظ يخلص إلى أن مفهوم التناسب لديه ما هو إلا وجه من وجوه أخرى تنبع من أصل مشترك مفاده أن الألفاظ على أقدار المعاني تنتهي إلى صياغة أزواج متقابلة،يتجلى عبرها التجاذب بين المعنى و اللفظ،و بعد انتهاء المتكلم من تحقيق الملاءَمة بين المعنى و اللفظ عليه أن يُحَقِّقَ ملاءَمة أخرى بين الكلام و المقام.

يعد إذن المعنى جوهر الدراسات اللغوية العربية القديمة فكل جملة سليمة نحويا تعد جملة مستقيمة وفق تصور المبرد،و لكن الحكم على هذه الإستقامة بالحسن و الكذب،فالأمر وثيق الصلة بالمعنى الذي تفيده عناصر الجملة عندما تترابط نحويا.يقول في ختام باب الحال المؤكدة:(و هذا باب إنما يصلحه و يفسده معناه،فكل ما صلح به المعنى فهو جيد،و كل ما فسد به المعنى فهو مردود.) "5"و يقول في موضع آخر:(و منها فعل التعجب و هو غير متصرف،لأنه وقع لمعنًى ،فمتى صرف زال المعنى و كذلك كل شيء دخله معنى من غير أصله على لفظ فهو يلزم ذلك اللفظ لذلك المعنى،و هو قولك:(ما أحسن زيدا،و ما أظرف أخاك و قد مضى تفسيره في بابه و هو فعل صحيح،و العاشر:ما أُجْري مجرى الفعل و ليس بفعل.و لكنه يشبه الفعل

"1":ابن جني أبو الفتح عثمان :الخصائص:تحقيق:محمد علي النجار،الجزء الأول،ص:269 ،دار الكتب المصرية،القاهرة،مصر.

"2":ابن جني أبو الفتح عثمان :نفسه،الجزء:الثاني،ص:249.

"3": ابن جني أبو الفتح عثمان :نفسه،الجزء:الثاني،ص: 464-465.

"4": ابن جني أبو الفتح عثمان :نفسه،الجزء:الثاني،ص:463.

"5":المبرد أبو العباس محمد بن يزيد:المقتضب،تحقيق:محمد عبد الخالق عضيمة،الجزء الثالث،ص:474،الطبعة الثانية،لجنة إحياء التراث الإسلامي،القاهرة،مصر.

بلفظ،أو معنى،فأما ما أشبه الفعل فدل على معناه مثل دلالته في (ما) النافية و ما أشبهها تقول:ما زيد منطلقا،لأن المعنى:ليس زيد منطلقا،و ما أشبهه في اللفظ.)"1 " إن الغاية من أي جملة هو تحقق الإفادة التي لا تصلح إلا بصلاح المعنى الذي يُؤَوَّلُ إليه،لأن الكلام إنما يُراد لمعناه،مما يدل دلالة واضحة على أن المعنى شكل المحور المنظم لبنية الجملة،لأجل ذلك اعتنى اللغويون العرب القدامى بالدلالة الوظيفية لكل مفردة داخل التراكيب النحوية التي لا يعتد بمفرداتها بل بالمعاني و الوظائف التي تؤديها هذه المفردات.و في هذا الإطار يذهب المبرد إلى أن لكل مبنى في التراكيب اللغوية دلالة وظيفية،يتضح ذلك جليا في معظم التراكيب الواردة في كتابه المقتضب. "2"

لم يكن ابن يعيش بعيدا عن هذا التفكير الإستعمالي للغة و الذي لمسناه لدى أغلب علماء العربية القدامى لغويين و بلاغيين،بل كان مثلهم حريصا أشد ما يكون الحرص على وصل الظواهر اللغوية بسياق استعمالها،و مرد ذلك إلى أن إدراك مقاصد الكلام يستوجب إدراك مقتضيات أحوالها،كما أن الأخذ بعين الإعتبار القصد من الكلام يعد قرينة تداولية تسهم في تعيين الوظيفة النحوية لكل مكونات الجملة،إنه الغاية التخاطبية التي يسعى منتج الخطاب تحقيقها.إن نظرة ابن يعيش للظواهر اللغوية لم تكن نظرة وصفية صرفة بل كانت نظرة استعمالية قصدية دليلنا في ذلك إدراجه مفهوم القصد في تعريف الكلام،يقول:(إعلم أن الكلام عند النحويين عبارة عن كل لفظ مستقل بنفسه **مفيد لمعناه** ويسمى الجملة ،نحو:زيد أخوك و قام بكر.)"3"على أن القصد من الإنجاز الكلامي هو حصول الإفادة التي لا ترجى إلا من الكلام المركب الذي يعمل المتكلم جاهدا على إنتاجه حسب حاجة المخاطب متجنبا كل أشكال اللغو و تماشيا مع هذا التصور التداولي للغة و إدراكا لقيمة القصد التداولي في الخطاب يؤمن ابن يعيش بمركزية طرفي الخطاب في عملية التخاطب،إذ القصد ألصق بالمتكلم أما الافادة فهي ألصق بالمخاطب.

"1"":المبرد أبو العباس محمد بن يزيد:المقتضب،تحقيق:محمد عبد الخالق عضيمة،الجزء الثالث،ص:190،الطبعة الثانية،لجنة إحياء التراث الإسلامي،القاهرة،مصر.

"2": سامي الماضي: الدلالة النحوية في كتاب المقتضب للمبرد: ص:21، الطبعة الثانية،2013،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،مصر.

"3":ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل: ،تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،:الجزء الأول،ص:46 ،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى،2013،دمشق،سوريا.

يعد مفهوم الإسناد من أهم المفاهيم النحوية التي أسس عليها ابن يعيش نظريته اللغوية،بل إنه يمثل الخيط الرفيع الذي يصل بين مختلف أبواب شرحه للمفصل،إن المنهج الذي توسل به ابن يعيش في تبويب كتابه تأسس على دراسة الإسناد ضمن ثلاثة أقسام هي:

- إسناد الفعل و عمله في الأسماء و المصادر و ما يعمل عمله.
- إسناد الاِسم و أحوال إجرائه على ما هو قبله.
- الإسناد الذي يعتمد الأداة و يجري مجرى الفعل أو ما كان بمنزلته.

إن معالجة ابن يعيش للإسناد تدل دلالة واضحة على ما وصل إليه الدرس النحوي في القرن الثامن للهجرة من اكتمال بلغ به إلى مستوى التجريد للمفاهيم المؤسسة للنظرية النحوية العربية،إن الإسناد مفهوم عام يشمل كل أصناف الكلام،كما يُعتبر من المقولات الكونية العامة في أغلب اللغات الطبيعية،نظرا لاِستجابته لترتيب المعاني في الفكر. لقد اعتنى ابن يعيش بدراسة الإسناد في كل استعمالاته فمنه ما يُبنى على الفعل و منه ما يُبنى على الاِسم و منه ما تحكمه الأدوات التي يوجد معناها فيه.الإسناد عند ابن يعيش هو المعنى الأول،و هو معنى إعرابي مجرد يختزل المعاني الدلالية النحوية المسجلة في النظام اللغوي بشتى مستوياته الصرفية و التركيبية،كما يختزل المعاني الإنجازية المقامية التداولية ،و إذا كان الإسناد يختزل الجملة الاِسمية و الجملة الفعلية فهو يختزل مختلف أصناف الإنجاز الكلامي.عموما لقد أسس ابن يعيش انطلاقا من مفهوم الإسناد البوادرَ الأولى لإنشاء المعنى و صناعته.لقد أجمع النحاة على أن مفهوم الإسناد أعم من الخبر،إذ يضم الإسناد الخبر و غيره من أساليب الأمر و النهي و الاِستفهام.يقول ابن يعيش:"**الإسناد مفهوم أعم من الخبر،لأن الإسناد يشمل الخبر و غيره من الأمر و النهي و الاِستفهام.فكل خبر مُسْنَد،و ليس كل مُسْنَد خبر.**"[2]إن دخول الإسناد في تعريف الكلام و الجملة دفع بالنحاة و البلاغيين إلى الربط بين عاملية المتكلم و قصديته الدافعة على الكلام،فالكلام في جميع حالاته إما أن يقتصر على الإسناد أو يتضمنه في بنائه إلى جانب مكونات أخرى،إذ هناك ما يشبه الإجماع على أن مفهوم الجملة مفهوم نسقي سياقي يجمع بين المكونات في إطار بنية وظيفية تُعَبِّرُ عنها العلاقات الإعرابية و تتحقق بموضعين مركزيين في البناء و التكوين.

"1":ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الأول،ص:46-47 ،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى،2013،دمشق،سوريا.

إن مفهوم القصد مفهوم متجذر في التراث اللغوي العربي القديم،بوصفه الغرضَ الذي يروم المتكلم تحقيقه من خطابه،فلا نص و لا خطاب بغير قصد،و من أمثلة تحري ابن يعيش مقصدية المتكلم و مسلك خطابه قوله:(و الفرق بين هذا الإختصاص و اختصاص النداء أنك في النداء تختص واحدا من جماعة ليعطف عليك عند توهم غفلة عنك،و في هذا الباب تخصه بفعل يعمل فيه النصب **تقصد به** الإختصاص على سبيل الإفتخار و التفضيل له،و الإسم المنصوب في هذا الباب لابد أن يتقدم ذكره و يكون من أسماء المتكلم و المخاطب... فالعرب هم نحن ،و نصب هذه الأسماء كنصب ما ينتصب على التعظيم و الشتم بإضمار **أريد** أو **أعني** أو أختصُّ.)"1 و يقول في موضع آخر من شرحه: (إعلم أن الكلام عند النحويين عبارة عن كل لفظ مستقل بنفسه **مفيد لمعناه** ويسمى الجملة ،نحو:زيد أخوك و قام بكر،و هذا **معنى** قول صاحب الكتاب...و قوله:" أُسنِدَت إحداهما إلى الأخرى"فصل ثان احترز به عن مثل معدي كرب و حضرموت و ذلك أن التركيب على ضربين:تركيب إفراد و تركيب إسناد،فتركيب الإفراد أن تأتي بكلمتين فتركبهما و تجعلهما كلمة واحدة بإزاء حقيقة واحدة بعد أن كانتا بإزاء حقيقتين،و هو من قبيل النقل...فعرَّفك بقوله:"أُسنِدَتْ إحداهما إلى الأخرى"أنه لم **يُرِدْ** مطلق التركيب،بل تركيب الكلمة مع الكلمة إذا كان لإحداهما تعلق بالأخرى على السبيل الذي به يحسن موقع الخبر و تمام **الفائدة**،و إنما عبر بالإسناد و لم يعبر بلفظ الخبر،و ذلك من قِبَلِ أن الإسناد أعمُّ من الخبر لأن الإسناد يشمل الخبر و غيره من الأمر و النهي و الإستفهام،فكل خبر مُسنَدٌ و ليس كل مسند خبرا،و إن كان مرجِعُ الجميع إلى الخبر من حيث **المعنى**.)2" ومن أمثلة توظيفه مصطلح القصد قوله:(و ذلك قولك:يا رجلاً و يا غلاماً.فغلامٌ و رجلٌ في هذا الموضع **يُراد** به الشائع لأنه لم يوجَّه الخطابُ نحوهما مختصا بالنداء،و مثال ذلك الأعمى يقول:يا رجلا خُذْ بيدي،و يا غلاما أَجِزْنِي،فلا **يَقصد** بذلك غلاما بعينه،فالنصب في هذه الأقسام الثلاثة من جهة واحدة، و أما قول الشاعر،و هو عبد يغوث:

فيا راكبا إمَّا عَرَضْتَ فبلِّغَنْ نَدامايَ من نَجْرَانَ أنْ لا تَلاقيا

فالشاهد فيه نصبُ راكب لأنه منادى منكور إذ لم **يَقْصِدْ** راكبا يعينه،إنما أراد راكبا من الركبان يُبلِّغُ خبرَهُ،

"1":إبن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله، **الجزء الثاني**،ص:46، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2":ابن يعيش موفق الدين :نفسه،الجزء الأول،ص:46 -47.

و لو أراد راكباً بعينه لبَناه على الضم،و إنما قال هذا لأنه كان أسيرا.)"3إن أكثر المصطلحات ورودا في شرح المفصل هي:**المراد** و **النية** و **يقصد** و كذا التعابير المرتبطة بها أو المشتقة منها من قبيل **أردت** ،**تريد** ،**يراد** إن سياقات ورودها تبرر اختلاف المراجع في صياغتها.إذ البعض منها يحيل على المتكلم (النية و المراد) و منها ما يحيل على الكلام كمفهوم المعنى،يقول في موضع آخر:(و قد تُقدم المفعول لضرب من التوسع و الاِهتمام به و **النية** به التأخير،و لذلك جاز أن يقال:ضرب غلامَه زيدٌ،فالغلام مفعول و هو مضاف إلى ضمير الفاعل و هو بعدَه متأخِّر عنه،فهو في الظاهر إضمار قبل الذكر لكنه لما كان مفعولا كانت **النية به** التأخير لأنه لما وقع في غير موضعه كانت النية به التأخير إلى موضعه،و يكون الضمير قد تقدم في اللفظ دون المعنى"1".

من أمثلة استخدام مصطلح **الغرض** قوله في أصل التنكير في الخبر:"و أصل الخبر أن يكون نكرة،و ذلك أن **الغرض** في الإخبارات إفادة المخاطب ما ليس عنده."2 " هذه الأمثلة و غيرها تؤكد بما لا يَدَعُ للريبة مَوضِع اعتداد النحاة بغرض المتكلم و قصده أثناء استعمال اللغة في فعله التخاطبي مع غيره ،كما تدل على حضور الفعل التداولي(القوة المقصودة بالقول) في متون النحو عموما و في كتب الشروح على وجه الخصوص قصد توضيح ملابسات الفعل الكلامي بصفته واقعا ملموسا.

إن هذه الشواهد تؤكد مدى تعلق المراد بالمتكلم و دلالته على مقصوده بلفظه و ما المقصود إلا إظهار ما في النفس و النية،و ما في النفس و النية أقرب إلى تعيين المعلوم لدى المتكلم الحاصل باللفظ أو بدونه.أما مصطلح المراد فيدل على المرغوب من القول و هو قريب في اللسانيات التداولية من مفهوم: Le vouloir dire نظرا لدلالتها على فاعلية المتكلم في تعيين القصد. مما يقوم دليلا على اهتمامه البالغ بقضية المعنى اهتماما بالغا،إذ الألفاظ على حد تعبيره أدلة على المعاني و قوالب لها،لأجل ذلك حدد ابن يعيش معالم الجملة و حدد خصائصها في سياق التخاطب و اعتبرها حدثا كلاميا يُنجَز وفق سياق تداولي محدد،بل إنها محل الإفادة الإبلاغية المنعقدة بين المتكلم والمخاطب ،كما أن من مرامي الدراسات النحوية إفادة المخاطب معنى الخطاب عبر التركيز

"1":":ابن يعيش موفق الدين :نفسه،الجزء الأول،ص:302.

"2": ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله، **الجزء الأول ص**:177 دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"3":ابن يعيش موفق الدين :نفسه،الجزء الأول،ص:200.

دراسة العلاقات الرابطة بين الكلام و القصد منه اعتمادا على سياق التلفظ.

إن الحضارة العربية حضارة نصية قامت على مقاصد الخطاب في عمليتي الفهم و الإفهام،فالنشاط التواصلي باعتباره تفاعلا بين متكلم و مخاطب كان محط عناية و اهتمام من لدن ابن يعيش،مما يكشف عن وجود ملامح تداولية و أبعاد استعمالية تُضاهي ما جاء به رواد اللسانيات التداولية،و مما يؤكد هذا الطرح تقييمه لوظيفة اللغة في التبليغ،إذ يجعل وضوحَ معنى الكلام و جلاءَه من أهم شروط الفصاحة و البلاغة،فلا وظائف تداولية للغة في منأى عن سياق التخاطب،كما أن الغاية الأساس للغة هي التعبير عن الأغراض و المقاصد.إن هذا الربط بين القصد التداولي و مفهوم التخاطب يرد بشكل جلي في قول ابن يعيش:(اعلم أن الكلام عند النحويين عبارة عن كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه.)"1"فمتى أراد المتكلم التعبير عن قصده بشكل أوضح و أدق انتقى من الكلمات ما يناسبه وفق ما يقتضيه الموقف التداولي و ابن يعيش هنا لا يختلف عن ما جاء به اللسانيات التداولية المعاصرة التي تُعنى بالملفوظات داخل سياق التلفظ، تتحدد إذن وظيفة اللغة من وجهة نظر ابن يعيش في الإبانة عن مقاصد المتكلمين فلكي تكون الملفوظات ذات إفادة لابد من توفر شرط القصد.

كما لم يكن ابن يعيش في منأى عن التصور التداولي للغة ،إذ تعد موضوعات الخبر و الإنشاء أهم المباحث التداولية التي أولاها عناية فائقة ،كما عد مراعاة الغرض من الكلام قرينة تُسْعِفُ في تحديد الوظيفة النحوية للكلمة و شَكَّلَ مبدأ القصد- بوصفه قرينة تداولية- الغاية التواصلية التي يروم المتكلم تحقيقها في خطابه.يقول ابن يعيش:(قوله:"و هذا" إشارة الى التركيب الذي ينعقد به الكلام و تحصل منه الفائدة.)"2" و قوله في موضع آخر:(الكلام عبارة عن الجمل المفيدة)"3" يكون الكلام وفق تصور ابن يعيش حاملا دلاليا متولدا من رغبة المتكلم في الإبانة و التعبير عن القصد،و يعرفه في موضع آخر من شرحه للمفصل بكونه:(عبارة عن التكليم الذي هو عبارة عن فعل جارحة اللسان.)و يفسر هذا البعد الإنجازي ما أورده في عملية اشتقاق المفهوم و اعتماده في وسم عملية تحيين اللغة،فدلالة الجذر(ك ل م)على الشدة و التأثير هَيَّأَ عمل التلفظ لكي يُوسَم بالكلام لأنه يَقْرَعُ السمع و يؤثر فيه كما يؤثر في الذهن بإفادة المعنى المقصود ،لذلك وصفه بقوله:(و قد يطلق الكلام بإزاء **المعنى**

"1":إبن يعيش موفق الدين:شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله، **الجزء الأول ص**:46-47، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2":ابن يعيش موفق الدين :نفسه،الجزء الأول،ص:47.

"3":ابن يعيش موفق الدين :نفسه،الجزء الأول،ص:49.

القائم بالنفس،قال الشاعر:

إنَّ **الكلامَ** لَفِي **الفُؤادِ** وَ إنَّمَا جُعِلَ **اللسانُ** على الفؤادِ **دَلِيلا**

فإذا كان اسم المعنى كان عبارة عما **يتكلم به من المعنى**،و إذا كان مصدرا كان عبارة عن **التكليم** الذي هو عبارة عن **فعل جارحة اللسان**)"1"يتقاطع تعريف ابن يعيش للكلام بوصفه نطقا و فعلا مع ما أورده رواد اللسانيات التداولية في تعريفهم لعملية **التلفظ** بالقول:(Enonciation) و التحيين: (Actualisation) ذلك أن عبارة التلفظ يعرفها Dubois (1994) بدلالتها على الفعل الفردي الحادث في مقام لإنتاج منجز لغوي هو القول:(énonce) مما يدل على أن التلفظ أو الإنجاز الكلامي هو الحقيقة العينية التي تتحقق عبرها اللغة،غير أن هذا التلفظ يجب أن يقترن بالإفادة و الإفهام و إلا أصبح لغوا لا خير فيه و لا معنى يرجى منه."2 "

تمثل اللسانيات التداولية حقلا شاسعا من حقول المعرفة الإنسانية،إذ تعنى بدراسة اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية تتحدد وظيفتها في تحقيق التواصل بين الناس،إنها تخصص معرفي مُنْبَثِقٌ عن الفلسفة التحليلية،يجعل صلب اهتمامه دراسة اللغة لحظة الإستعمال،فيُعنى بالمتكلم و مقاصده و يراعي حال المخاطب ناهيك عن الإهتمام بالظروف و الأحوال الخارجية المحيطة بالعملية التخاطبية كما يهتم بدراسة التعابير اللغوية في مستويات مختلفة،فيبحث في العلاقات القائمة بينها تحقيقا للنجاعة في التواصل من جهة و للإرتكاز عليها في بلوغ قصد المتكلم من كلامه من جهة أخرى و لعل هذا ما جعلها تتقاطع مع التراث اللغوي العربي القديم نحوا و بلاغة خاصة في بحثها في العوامل المحيطة بالإنجاز الكلامي و ملابسات السياق.

من القضايا التداولية التي استأثرت باهتمام ابن يعيش،قضية اختلاف المعاني لإختلاف التأويل،حيث يقلب المسألة الواحدة على عدة أوجه،مؤكدا اختلاف المعنى لإختلاف و تعدد الأوجه الإعرابية،هذا التصور التداولي نجده حاضرا لدى جورج مونان إذ يعتبر المعنى عبارة عن(القيمة الدقيقة التي يتخذها المدلول المجرد في

"1": ابن يعيش موفق الدين:شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،:**الجزء الأول ص**:49 ، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2":السويح خالد:أسس الإخبار في الكلام:بحث في روافد إنتاج الفائدة:الجزء الثاني،ص.ص:122-123 ،الطبعة الأولى،2015،دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع،عمان.

"3": سامي الماضي: الدلالة النحوية في كتاب المقتضب للمبرد: ص:21، الطبعة الثانية،2013،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،مصر.

سياق أوحد.)"1"فمتى التبس المعنى و اختلط،يعمد ابن يعيش إلى التأويل لصرف الكلام عن ظاهره و إدراك المعنى المقصود و تتحدد دلالة التأويل في صرف الكلام عن ظاهره إلى وجوه خفية ضمنية،و يعد التأويل من أهم المناهج المعتمدة لدى النحاة لتفسير عدول الظواهر اللغوية عن أصلها،و هو ذو صلة بمخالفة الشروط الصرفية و التركيبية للوظائف النحوية.يدخل ضمن عمليات التأويل:الإضمار و التقدير و التقديم و التأخير و الحذف و الزيادة...و من النصوص المؤكدة لِاعتماد ابن يعيش على التأويل سبيلا لِاستجلاء المعنى و تداوله ضمن ما يسمى باللحن التداولي قوله :(حين قلت:هذا عبد الله منطلق،أضمرتَ هذا أو هو،كأنك قلتَ:هذا منطلق أو هو منطلق.

و الوجه الآخر:أن تجعلهما جميعا خبرا لهذا،كقولك:هذا حلو حامض،لا تريد أن تنقض الحلاوة،و لكنك تزعم أنه قد جمع الطعمين،و نحوه قوله تعالى:(كَلَّا إِنَّهَا لَظَّى نَزَّاعَةً لِلشَّوَى.)"2"

و الوجه الثالث:أن تجعل عبد الله معطوفا على هذا عطْفَ بيان كالوصف،فيصير كأنه قال:عبد الله منطلقٌ.

و وجه رابع:أن تجعل"منطلق" بدلا من عبد الله،كأنك قلت:هذا عبد الله رجل منطلق،فيكون رجل بدلا من عبد الله بدل النكرة من المعرفة،ثم حُذِفَ الموصوف و أُقِيمَ الصفةُ مقامَه.)"3"

كما اهتم ابن يعيش **بتعدد الأوجه الإعرابية و علاقتها بالمعنى**، إذ يؤتى بالِ**إعراب** للإبانة عن المعاني و بغيره يكون الكلام غامضا و ملتبسا:(إعلم أن **الإعراب** في اللغة **البيان)**،إنه وثيق الصلة بالمستوى الدلالي و التداولي، و الأصل في الإعراب أن يكون للفرق بين المعاني مما يدل على التطور الفكري المبكر لهذا اللغوي، حيث ينظر للعلامة الإعرابية بوصفها أداة لتوجيه المعنى و تحديد قصد المتكلم بالِاعتماد على مبدإ التعاون بين طرفي التخاطب،بمعنى اختيار المتكلم لعلامة إعرابية معينة مع العدول القاصد لعلامة إعرابية أخرى مع توفر عنصر الصحة التجويزية للعلامتين من الوجهة النحوية ،و هو فعل استلزامي قضوي يتم عبره معرفة قصد المتكلم بالشكل التداولي الِاستعمالي لا بالشكل المنطقي،فتصبح العلامة الإعرابية المختارة هي أداة المتكلم و الموجهة للمخاطب كي يتجاوز المعنى الظاهري للكلام إلى معنى آخر مضمر اعتمادا على مبدإ

"1":مونان جورج:مفاتيح الألسنية،ص:120،الطبعة الأولى،بيروت،لبنان.

"2":سورة المعارج،الآية:70.

"3": ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،**الجزء الثاني**،**ص**:142، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

التعاون.يقول ابن يعيش:"...بل يجوز فيها العطف على ظاهر الفعل المتقدم فيشاركه في إعرابه إن رفعا و إن جزما،ألا ترى أنك إذا قلت :لا تأكل السمكَ و تشرب اللبن،بجزم الثاني،كنت قد عطفت الثاني على الأول،و يكون **المعنى** أنك نهيته عن كل واحد على الإنفراد،حتى لو أكل السمك وحده كان عاصيا،و لو شرب اللبن وحده كان عاصيا،فإذا أريد غير معنى العطف الصريح و كان له مساغ عدلوا إليه..."[1] و هكذا فإن الصلة بين العلامة الإعرابية و المعنى صلة بموجبها تَنْكشِف الدلالة و يُزال الغموض،و بالعودة إلى مفاهيم و مصطلحات اللسانيات التداولية الحديثة،فإن مصطلح(معنى)في قول ابن يعيش:(**يكون المعنى أنك نهيته**) هو القصد الإستلزامي الخطابي للمتكلم بقرينة استعمال علامة النصب دون الجزم، و الفعل(أُريد)بمعنى(قُصد إلى استعمال).

اِهتم ابن يعيش على غرار اللغويين العرب القدامى أثناء دراسته للجملة العربية بما يسمى في اللسانيات التداولية **بالبؤرة**:إذ تسند هذه الوظيفة للمكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية في الجملة،و يميز اللغويون العرب القدامى في الجملة بين العمد و الفضلات،فالعمد أساس كل جملة فلا يصح الإستغناء عنها،أما الفضلات فهي مكملات الجملة و في ذلك يقول ابن يعيش:(إعلم أنه قدم الكلام في الإعراب على المرفوعات لأنها **اللوازم للجملة و العمدة فيها** و التي لا تخلو منها و **ما عداها فضلة يستقل الكلام دونها**،ثم قدم الكلام على الفاعل لأنه الأصل في استحقاق الرفع،و ما عداه محمول عليه على ما تقدم شرحه.)"[2] و يقول في مكان آخر من شرحه:(إعلم أن المبتدأ و الخبر جملة مفيدة تحصل الفائدة بمجموعهما،**فالمبتدأ معتمد الفائدة،و الخبر محل الفائدة،فلابد منهما**، إلا أنه قد توجد قرينة لفظية أو حالية تُغني عن النطق بأحدهما ،فيحذف لدلالتها عليه لأن الألفاظ إنما جيء بها للدلالة على المعنى،فإذا فهم المعنى بدون اللفظ جاز أن لا تأتي به.)"[3]

إن مصطلح الجملة بمعناه النحوي الخاص لم يوظف إلا مع ابن يعيش و المقصود به كل تركيب يحقق الإفادة ،هذا التركيب المفيد إفادة يحسن السكوت عليها قسَّمه إلى صنفين:جملة اسمية و جملة فعلية رافضا بذلك تقسيم أبي علي الفارسي الذي قسم الجملة إلى أربعة أقسام:الجملة الإسمية و الفعلية و شرطية و ظرفية.يقول

"1": ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،**الجزء السابع،ص**:55، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا .

"2":ابن يعيش موفق الدين :نفسه،الجزء الأول،ص:218.

"3":ابن يعيش موفق الدين :نفسه،الجزء الأول،ص:173

ابن يعيش:(و هي في الحقيقة **ضربان،فعلية و اسمية**،لأن الشرطية في التحقيق مركبة من جملتين فعليتين،الشرط فعل وفاعل،و الجزاء فعل و فاعل،و الظرف في الحقيقة للخبر الذي هو استقر،و هو فعل و فاعل،فمثال الجملة الفعلية:زيد قام أبوه،فزيد مرتفع بالابتداء و قام في موضع خبره،و فيه ضمير يرتفع بأنه فاعل كارتفاع الأب في قوله:زيد قام أبوه، و هذا الضمير يعود إلى المبتدإ الذي هو زيد،و لولا هذا الضمير لم يصحَّ أن تكون هذه الجملة خبرا عن هذا المبتدإ و ذلك لأن الجملة كل كلام مستقل قائم بنفسه.)"1"

يضع ابن يعيش شرط الجملة تحقق إفادة المخاطب مما يدل على أهمية العلاقة السياقية بين طرفي الخطاب ،كما أن شرط الإفادة دليل على صحة التركيب و سلامته و هو ما يحضر في تصور سيبويه خاصة في باب الاستقامة من الكلام و الإحالة.

لقد كانت دراسة المعنى محط عناية و اهتمام من لدن ابن يعيش في خضم تحليله للغة،إذ كان على صلة وثيقة بمعاني الكلام و أغراض الأساليب و مقاصدها و سبل الِاستعمال اللغوي و بطبيعة العلاقة بين المتكلم و المخاطب،ناهيك عن ظروف الخطاب و ملابساته،كما يمتلك ابن يعيش نظرة تداولية استعمالية متقدمة للغة باعتبارها نظاما تواصليا تخاطبيا آخذا بعين الِاعتبار المستوى الصوتي ذي العلاقة بالأداء الصوتي و أبعاده التداولية،

من الأمثلة الجديرة بالذكر في هذا الإطار عنايته بالقرينة الصوتية و أثرها البالغ في تبيين أغراض الكلام،إذ يمثل المستوى الصوتي مكونا هاما إلى جانب المستوى التركيبي و الدلالي و التداولي،إنه فن النطق بالكلام بغية التأثير في المخاطب(السامع)،و يعد معجم"العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي أول مؤلف عربي يؤكد على الصلة الوشيجة بين الصوت و مدلوله"2"،يقول الخليل:(كأنهم توهموا في صوت الجُنْدُب استطالة و مدًّا فقالوا:صر،و توهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا:صرصر.)"3"كما تنبه ابن جني إلى موقع الصوت من اللغة و مكانته منها،يقول في تعريفه للغة بكونها:(أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)"4"،مما يقوم دليلا على أن

"1": ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،**الجزء الأول ص**:206-207 دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا .

"2":فراس فخري ميران: القرينة الصوتية و أثرها في توجيه المعنى عند ابن يعيش،العدد:18،كانون الأول،2014،مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية و الإنسانية،جامعة بابل،

"3":الفراهيدي الخليل بن أحمد:معجم العين، تحقيق مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي الجزء الأول،ص:56. ،منشورات وزارة الثقافة و الإعلام،1982،الجمهورية العراقية.

"4":ابن جني أبو الفتح عثمان :الخصائص:تحقيق:محمد علي النجار،الجزء الأول،ص:33،دار الكتب المصرية،القاهرة،مصر.

اللغويين العرب القدامى لم يدرسوا العربية باعتبارها لغة مكتوبة بل درسوها بوصفها لغة منطوقة.يقول الجاحظ:(الصوت هو آلة اللفظ و الجوهر الذي يقوم به التقطيع و به يوجد التأليف...و لا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع و التأليف.)"1 "

اللغويين العرب القدامى يعد التغيم أعلى قرينة في النحو العربي،إذ يمتلك قدرة كبيرة على التمييز بين المعاني و الدلالات،مما يعنى أن الكلمة الواحدة داخل الجملة لها معان متعددة وفق طريقة تنغيمها،بل إن الجملة الواحدة لها أكثر من معنى وفق طريقة إنجازها، و المقصود بالتنغيم لغة:النغمة جرس الكلمة و حسن الصوت في القراءة و غيرها ،النغم :الكلام الخفي و النغمة الكلام الحسن،و سكت فلا فما نغم بحرف و ما تنغم بمثله."2 "و اصطلاحا يُعَرَّفُ التنغيم بأنه:(تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة أو أجزاء متتابعة و هو وصف للجمل و أجزاء الجمل و ليس للكلمات المختلفة المنعزلة.)"3 "و بتعبير آخر هو:(تغير في ارتفاع النغمة يخص سلاسل أطول من التي ينطبق عليها النبر و غالبا ما يخص الجملة أو شبه الجملة.)"4"و يعرفه ماريو باي بقوله:(أما **التنغيم** فهو عبارة عن **تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين.**)"5 "

يؤدي التنغيم وظيفة دلالية في الجملة العربية،حيث يُخْرِجُ الأسلوب الواحد إلى معان عديدة و دلالات متنوعة إنه عبارة عن دلالات صوتية تؤثر في المعنى و تختص بالجمل كما تعبر عن انفعالات المتكلم و مشاعره محددة طبيعة هذه الإنفعالات استفهاما كان أم تعجبا أم نداء للندبة أو استغاثة أو ترخيم،ناهيك عن الوظيفة الدلالية للتنغيم له وظيفة واضحة في القرآن الكريم إذ كلما نغم القرآن زاد به التفكر و التدبر و لانت القلوب القاسية.لقد وظف اللغويون العرب القدامى مصطلحات متنوعة دالة عن التنغيم من قبيل:الترنم و مد الصوت و التطريح و التطويح و التفخيم و التعظيم ،من هؤلاء نجد سيبويه و ابن يعيش،حيث ربطوا بين الصوت و الدلالة.يحفل كتاب شرح المفصل لإبن يعيش بدراسات صوتية قيِّمة ذات صلة بالمعنى،معتبرا التنغيم و التنوين و الوقف و أسماء الأصوات قرائن صوتية تسعف في تحديد القصد التداولي من الإنجاز

"1":الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر:البيان و التبيين:تحقيق:عبد السلام هارون:الجزء الأول،ص:84،الطبعة السابعة،1998 ،سلسلة مكتبة الجاحظ،مكتبة الخانجي،القاهرة،مصر.

"2": إبن منظور:لسان العرب:الجزء الثاني عشر ،ص:590،دار صادر ،1956،بيروت،لبنان .

"3": مختار أحمد عمر:دراسة الصوت اللغوي، ص:194،عالم الكتب،1997،القاهرة،مصر.

"4": حركات مصطفى:الصوتيات و الفونولوجيا،المكتبة العصرية، ص 43،الطبعة الأولى،1998،بيروت،لبنان.

"5": ماريو باي: أسس علم اللغة: ،ترجمة و تعليق:أحمد مختار عمر ص:93،الطبعة الثامنة،1998،عالم الكتب.القاهرة مصر .

الكلامي،و يمكن الوقوف على أثر قرينة التنغيم في تحديد المعنى المقصود لدى ابن يعيش في بعض الأبواب :

أ.التنغيم بالنداء:

يقول ابن يعيش عن التنغيم بالنداء بأنه:(يصلح لكل حاضر و المراد واحد بعينه فقوي بالتنبيه،لتحريك النفس على طلبه بعينه إذا لم تكن علامة تعريف في لفظه،و ليس كذلك أنت لأن المخاطب خاصة لاشتماله على حرف الخطاب.)"1" يتم النداء إذن عن طريق صوت يُصْدِرُه المتكلم،هذا الصوت يدعى التنغيم بالمنادى،كما أن النداء وفق تصور ابن يعيش ليس بإخبارٍ بل هو نفس التصويت بالمنادى ليتم بعد ذلك الإخبار عنه،يقول:(ليس بإخبار و إنما هو نفس التصويت بالمنادى ثم يقع الإخبار عنه فيما بعد فتقول:ناديت زيدا.)"2"و مما يؤكد ذلك قوله في موضع آخر من مؤلفه:(إن الغرض بالنداء التصويت بالمنادِي ليقبل،و الغرض من حروف النداء امتداد الصوت و تنبيه المدعو،فإن كان المنادى متراخيا عن المنادي أو مُعرِضا عنه لا يُقْبِل إلا بعد اجتهاد أو نائما قد استثقل في نومه استعملوا فيه جميع حروف المنادى ماعدا الهمزة،و هي يا و أيا و هيا و أي،يمتد الصوت بها و يرتفع.)"3" لا يجوز نداء البعيد بالهمزة إذ تخلو الهمزة من حرف مد كما لا يحتاج المنادى لِامتداد الصوت. يعد التنغيم القرينة الأقوى في تحديد القصد التداولي من الكلام خاصة عندما تحذف الأداة،إذ به نميز بين الأساليب و الدلالات،و قد يخرج أسلوب النداء عن معناه الأصلي إلى معان تستفاد من طبيعة النغمة الصوتية،مثل خروج النداء عن معناه الأصلي إلى معنى الِاستفهام،يقول سيبويه في إطار تحليله لقول جرير:

أعَبدا حلَّ في شَعبي غريبا ألؤما لا أبَا لك و اغْتِرابا

إن طبيعة النغمة الصوتية تنقل الحدث الكلامي من صيغة النداء (أعبدا)إلى صيغة الِاستفهام(أتفتخر عبدا؟) وذلك عبر تقدير فعل محذوف.و من أمثلة خروج النداء عن معناه الأصلي إلى معنى التعجب

"1":إبن يعيش موفق الدين:شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،**الجزء الثامن** ص:116،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا .

"2":إبن يعيش موفق الدين :نفسه،الجزء الأول،ص:

"3":إبن يعيش موفق الدين :نفسه،الجزء الثاني،ص: 32.

قول ابن يعيش في حالة كثيرا،فقالوا:تعالَ يا عجبَ و يا ماءُ،فإنه من إبَّانِكَ و وقتِكَ.)"1" عموما يمكن القول إن:(تمام المعنى و عدمه من ركائز دراسة التنغيم،لأن نغمة الكلام التام المعنى تنتهي في الإثبات بنغمة هابطة و نغمة الإستفهام تنتهي بنغمة صاعدة.)"2"

ب.الندبة:

يقر ابن يعيش بأن كل مندوب منادى و ليس كل منادى مندوبا،تلحق ألف الندبة المندوب لمد الصوت بها و رفعه،فيقع المندوب بين صوتين ممدودين مبالغة في الترنم،مما يدل على أن المد قرينة ملازمة للندبة هذا التصور نجده حاضرا لدى سيبويه حيث يقول :(و الندبة يلزمها يا،و وا،لأنهم يختلطون و يدعون ما قد فات و بَعُدَ عنهم...كأنهم يترنمون فيها فَمِنْ ثَمَّ ألزموها المد و ألحقوا آخر الإسم المدَّ مبالغة في الترنم.)"3" و عن الحكمة من زيادة "الياء"أو "الواو"في أول المندوب و زيادة الألف في آخره يقول ابن يعيش:(لما كان المندوب مدعوا بحيث لا يسمع،أتوا في أوله بيا ،أو وا لمد الصوت،و لما يسلك في الندبة و النوح مذهب **التطريب** زادوا الألف آخرا **للترنم** كما يأتون بها في القوافي المطلقة و خصوها بالألف دون الواو و الياء.)"4"

عن وظيفة التنغيم في الدرس اللساني الحديث يؤكد رواد اللسانيات التداولية على ضرورة النظر للمنطوق باعتباره وحدة صوتية مكتملة و هو ما أكد عليه ابن يعيش في شرحه للمفصل،إذ تحتل الدلالة الصوتية لديه مكانة متميزة في وضوح القصد التداولي،و يقر هاليداي "5" بأن هناك وظيفتين للمعنى النصي تتحدد الوظيفة الأولى في ذلك التماسك النصي الذي يتحقق بوساطة وسائل الربط و السبك و تتحقق الوظيفة الثانية في ما يسمى **بالإبراز** لإظهار المعلومة الجديدة في إطار الوحدة النغمية،كما تسمى الأصوات التي لها علاقة بالمعاني

"1":إبن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله، **الجزء الأول**،ص:309،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا .

"2":تمام حسان،مقالات في اللغة و الأدب:ص:178،الطبعة:2006،عالم الكتب،القاهرة،مصر.

"3":سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر:الكتاب:الجزء الثاني،ص:231،تحقيق و شرح:عبد السلام هارون،الطبعة الثالثة،1988،مكتبة الخانجي،القاهرة،مصر.

"4":إبن يعيش موفق الدين :نفسه،الجزء الثاني،ص:13-14.

"5":.Halliaday.m.a.k.& Hassan,R.(1990)p.9

في علم اللغة الحديث بعلم الأصوات الوظيفي: Phonology و هو علم يُعنى بدراسة أثر الصوت في تأليف الكلام على المستوى الصرفي و التركيبي،و يعرفه موريس هيل بكونه:(فرع علمي موضوعه أصوات الكلام كوحدات تركيبية للغة.)"1" هذا دون إغفال دور التنغيم في الدلالة عن المعنى الوظيفي للجملة إذ تناط به مهمة الترقيم في النص المدون لأجل ذلك اعتمد ابن يعيش على القرينة الصوتية في تبيين أغراض الكلام و مقاصده،و يؤكد فان دايك "2" على أن وصف النصوص على المستوى الصرفي مازال في بدايته رغم أن الخصائص الصوتية لها بالغ التأثير في رسم معالم العلاقات الدلالية بين مكونات الجملة.

عموما إن دراسة ابن يعيش و غيره من علماء العربية كانت دراسة عميقة و متجذرة في الفكر اللغوي العربي القديمة و يمكن القول إنها تمثل الإنطلاقة الفعلية للدراسات الصوتية في علاقتها بالمعنى،إن التنغيم وفق تصور ابن يعيش **قوة فاعلة و مؤثرة تمنح المتكلم قدرة على التعبير عن مواقفه و مشاعره لما يضفيه من قيمة تطريزية تسهم في بيان القصد التداولي من كل عملية تخاطبية**،إنه صنف من أصناف التلوين الصوتي للكلام يوظفه المتكلم وفق ما يقتضيه الغرض التواصلي و يستوجبه السياق التداولي.

"1":مختار أحمد عمر:دراسة الصوت اللغوي،ص:68،طبعة:1997 عالم الكتب،القاهرة،مصر.

"2":فان دايك:العلاماتية و علم النص:ترجمة منذر عياشي،ص:150،الطبعة الأولى،2004،المركز الثقافي العربي،بيروت،لبنان.

3.تداولية الرتبة:

أولى اللغويون و البلاغيون العرب القدامى قرينة الرتبة عناية فائقة،لأن نظام الرتبة يُبِين المعنى و يُخرج التركيب اللغوي إلى دلالات متنوعة يقتضيها الموقف التداولي، و من أهم عوارض الجملة التي كانت محط اهتمام اللغويين العرب القدامى ما يلي::تقديم ما حقه التأخير و تأخير ما حقه التقديم،إذ تتسم اللغة العربية بالمرونة،كما تقبل الزيادة و الحذف و التقديم و التأخير و التوكيد...إن المسوغ الأساس لهذه الظواهر اللغوية هو العناية و الاِهتمام،يقول ابن يعيش: (و انتصاب اسم الله هنا "1"بوقوع الحمد،و إنما **قُدِّمَ** على العامل فيه **لضرب من العناية و الاِهتمام** بالمحمود سبحانه و تعالى،و العرب تقدم ما هم ببيانه أعنى،نحو قوله تعالى:(**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**) و أصل الكلام نَعْبُدُكَ و نَسْتَعِينُكَ،فقُدِّمَ المفعولُ لضرب من العناية بالمعبود سبحانه،و لو أتى به على أصله و قال:أحمد اللهَ لجاز،إلا أنه يكون **خبرا ساذجا بلا تخصيص و دلالة على العناية به.**)"2 "

1.3.التقديم و التأخير:

تحتل الكلمة موضعا مناسبا لأداء دورها في التركيب يسمى هذا الموضع بالرتبة،و هناك ثلاث وضعيات للكلمة من حيث ترتيبها داخل الجملة هي:

- وجوب التقديم.
- وجوب التأخير
- جواز الأمرين.

تكون الرتبة في الوضعيتين الأولى و الثانية محفوظة حيث تنتظم المكونات اللغوية ضمن سلسلة كل واحدة تفضي إلى الأخرى،أما الوضعية الثالثة فهي التي تتمتع فيها الكلمات بحرية الرتبة و حرية التموقع داخل التركيب اللغوي،إذ يمكن تأخير ما حقه التقديم و تقديم ما حقه التأخير لغرض معنوي أو سبب بلاغي يقول

"1":يقصد ابن يعيش بقوله:**هنا**،قول الزمخشري السالف:"الله أَحمدُ على أن جعلني من علماء العربية".

"2":إبن يعيش موفق الدين:شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الأول،ص،ص:8-9،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا .

ابن يعيش:(يجوز تقديم خبر المبتدإ مفردا كان أو جملة،فمثال المفرد قولك:قائمٌ زيدٌ، و ذاهب عمرو،و قائم خبر عن زيد وقد تقدم عليه،و كذلك ذاهب خبر عن عمرو،و مثال الجملة:أبوه قائمٌ زيدٌة و أخوه ذاهب عمرو،فأبوه مبتدأ و قائم خبره و الجملة في موضع الخبر عن زيد و قد تقدم عليه،و كذلك أخوه ذاهب مبتدأ و خبر في موضع الخبر عن عمرو.)"1".على أن الرتبة غير المحفوظة يمكن الحفاظ عليها مخافة الوقوع في اللبس و ذلك في حالة غياب القرائن التي تُسْعِفُ في إبانة المعنى و وضوحه،مما يعني أن هناك صلة وطيدة بين العلامة الإعرابية و الرتبة و باقي القرائن،فالإستدلال بالعلامة الإعرابية لم يكن دائما الأساس الثابت لدى النحاة،فمتى اختفت العلامة الإعرابية وجب الإرتكاز على سبل أخرى في إدراك المعنى المقصود، ،يقول ابن يعيش:(فإن قيل:فأنت تقول:ضرب هذا هذا،و أكرم عيسى موسى،وتقتصر في البيان على المرتبة،قيل:هذا شيء قادت إليه الضرورة هنا لتعذر ظهور الإعراب فيهما،و لو ظهر الإعراب فيهما أو في أحدهما أو **وُجِدَتْ قرينة معنوية أو لفظية جاز الإتساع بالتقديم و التأخير**،نحو ضرب عيسى زيدٌ،فظهور الرفع في زيد عرفك أن عيسى مفعول و لم يظهر فيه الإعراب،و كذلك لو قيل:أكل كُمَّثْرَى عيسى جاز تقديم المفعول لظهور المعنى لسبق الخاطر إلى أن الكمثرى مأكول،و كذلك لو ثَنَّيْتَهُمَا أو نعتَّهما أو أحدهما جاز التقديم و التأخير،فتقول ضَرَبَ الموسيان العيسيَيْنِ و ضرب عيسى الكريمُ موسى،فحينئذ يجوز التقديم و التأخير في ذلك كله لظهور المعنى بالقرائن.)"2"

يشير ابن يعيش عبر هذا النص إلى القرينة اللفظية ذات الصلة بالتقديم و التأخير و المتمثلة في العلامة الإعرابية لأن العلاقة الرابطة بين التقديم و التأخير و العلامة الإعرابية هي في الأصل علاقة نحوية دلالية،مثلما أن التقديم و التأخير وفق تصوره ذو علاقة وطيدة بتغير المحتوى التداولي للكلام وفق سياق مخصوص،به يفهم المعنى و يدرك المبهم.إذ المعنى هو الغرض المنشود،فكلما كان المعنى أوضح و أبين صلح التقديم و التأخير شرط وجود ما يدل عليه من قرائن تسهم في أداء المعنى كالعلامة الإعرابية.فالفعل قبل الفاعل و الخبر قبل المبتدإ و الصفة قبل الموصوف. و في باب تقديم المفعول على الفاعل يقول ابن يعيش:(و قد تقدم المفعول

"1":إبن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الأول،ص:314،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا .

"2":إبن يعيش موفق الدين :نفسه،الجزء الأول،ص: 169.

لضرب من التوسع و الاِهتمام به و النية به التأخير،و لذلك جاز أن يقال:ضربَ غلامَهُ زيدٌ،فالغلام مفعول،و هو مضاف إلى ضمير الفاعل،و هو بعده متأخر عنه،فهو في الظاهر إضمار قبل الذكر لكنه لما كان مفعولا كانت النية به التأخير لأنه لما وقع في غير موضعه كانت النية به التأخير إلى موضعه،و يكون الضمير قد تقدم في اللفظ دون المعنى،و ذلك جائز.و لو قلت:ضرب غلامُهُ زيدا برفع الغلام مع أنه متصل بضمير المفعول لكان ممتنعا لأن الضمير فيه تقدم على الظاهر لفظا و معنى لان الفاعل وقع أولا،و هي مرتبته،و الشيء إذا وقع في مرتبته لا يجوز أن يُنْوَى بها غيرها.)"1"و في حالة تعذر ظهور العلامة الإعرابية في آخر الكلمة يضع ابن يعيش أساسا للتعامل مع هذه الحالة و غيرها:

1. وجوب تقديم الفاعل و تأخير المفعول و معنى ذلك الحفاظ على الرتبة الأصلية للجملة حتى لا يقع الإبهام و اللبس.
2. ضرورة إسناد الفعل إلى فاعله .
3. ضرورة المطابقة بين الفعل و الفاعل في التذكير و التأنيث و الإفراد و التثنية و الجمع.
4. مراعاة السياق التداولي للإنجاز الكلامي.

هذا التصور التداولي لوظيفة التقديم و التأخير يحضر لدى أغلب علماء العربية حرصا منهم على المعنى و تداوله،و تلك قاعدة استعمالية نلمسها في مؤلفاتهم و تصانيفهم.يقول المبرد في باب تقديم المفعول به:(كل مسألة يدخلها اللبس أن تقر الشيء في موضعه ليزول اللبس،و إنما يجوز التقديم و التأخير فيما لا يشكل،تقول:ضرب زيدٌ عمراً،و ضرب زيداً عمرو،لأن الإعراب مبين.)"2 "لقد تم هنا تقديم المفعول به على الفاعل لأن قرينة الإعراب أفصحت عن المعنى،و في تقديم الحال على صاحبه يقول المبرد:(فإذا كان العامل في الحال فعلا صلح تقديمه و تأخيرها و السبب يعود إلى تصرف العامل فيها،لذلك تقول:جاء زيد راكبا، و راكبا جاء زيد،و جاء راكبا زيدٌ.و منه قوله عز وجل:(خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ)"3"

"1":اِبن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله، **الجزء الأول**،ص:177 ،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا .

"2": المبرد أبو العباس محمد بن يزيد:المقتضب،تحقيق:محمد عبد الخالق عضيمة،الجزء الثالث،ص:118،الطبعة الثانية،لجنة إحياء التراث الإسلامي،القاهرة،مصر.

"3":سورة القمر،الآية 7.

و التقديم ها هنا جاء مقيدا بالفعل الذي هو عامل الحال،أما إذا كان العامل غير الفعل فلا يصلح التقديم و التأخير.يقول المبرد:(إنما يصلح التقديم و التأخير إذا كان الكلام موضحا عن المعنى نحو:ضرب زيداً عمرو،لأنك تعلم بالإعراب الفاعل و المفعول...)"1 "

للإعراب أثر بارز في تأدية المعنى و كشفه مع إزالة اللبس،كما له ميزة كبيرة في منح الكلمة حرية داخل التركيب من حيث التقديم و التأخير،من غير أن تسلب الكلمة وظيفتها،مما يعد اتساعا في اللغة و لولاه ما ميز المخاطب بين الفاعل و المفعول،كما أن التداخل الحاصل بين قواعد النحو و قواعد الخروج عن النحو يمنح اللغة العربية إمكانا تعبيريا موسعا، إن حركات الإعراب دوال على المعاني،و في ذلك يقول ابن يعيش:(اِعلم أن الإعراب في اللغة البيان،يقال:أعرب عن حاجته إذا أبان عنها.ومنه قوله عليه السلام:(الثيب تُعرِب عن نفسها) و هو مشتق من لفظ العرب معناه، و ذلك لما يُعزى إليهم من الفصاحة،يقال:أعرب و تعرب إذا تخلق بخلق العرب في البيان و الفصاحة...و الإعراب:**الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم لتعاقب العوامل في أولها**،ألا ترى أنك لو قلت:ضرب زيد عمرو بالسكون من غير إعراب لم يُعلم الفاعلُ من المفعول،و **لو اقتُصِرَ في البيان على حفظ المرتبة فيُعلم الفاعلُ بتقدمه و المفعولُ بتأخره لضاق المذهب**،و لم يوجد من **الِاتساع بالتقديم و التأخير** ما يوجد بوجود الإعراب،ألا ترى أنك تقول:ضَرب زيدٌ عمرواً و أَكرمَ أخاك أبوك فيُعلمُ الفاعلُ برفعه و المفعولُ بنصبه سواء تقدم أو تأخر.)"2

"1": المبرد أبو العباس محمد بن يزيد:المقتضب،تحقيق:محمد عبد الخالق عضيمة،الجزء الأول،ص:95،الطبعة الثانية،لجنة إحياء التراث الإسلامي،القاهرة،مصر.

"2":ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،:**الجزء الأول ص،ص:** 168-169، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

2.3.الحذف:

الحذف:لغة:القطع،و حذف الشيء،قطعه من طرفه،و قال الجوهري:حذف الشيء إسقاطه،تجنبا للإطالة و تحقيقا لمبدإ الخفة في الكلام.يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي عن الحذف:الحذف قطف الشيء من الطرف كما يحذف ذنب الشاة...و قوله:و الحذف الرمي عن جانب و الضرب من جانب."1"و يؤكد الزمخشري الدلالة نفسها للحذف حيث يقول:(حذف الصائغ الشيء سواه تسوية حسنة،كأنه حذف كل ما يجب حذفه،حتى خلا من كل عيب و تهذب.)"2"أساس البلاغة(مادة حذف) و المقصود به في الإصطلاح النحوي حذف العامل مع بقاء أثره الإعرابي،و يمكن تقديره بسهولة لأنه يُفهَم من السياق التداولي، أما إذا أدى الحذف إلى اللبس و اختلاط المعنى فلا يجوز،يقول ابن يعيش:(تقول:زيدا،مثلا و تريد اضرب زيدا و ليس ثَمَّ قرينةٌ تدل عليه،فهذا لا يجوز لِاحتمال أن يكون المرادُ اضربْ زيدا أو أكرم أو اشتمْ زيدا،أو غير ذلك مما لا يحصى،فهذا يكون **إلباسا**،فلذلك لا يجوز مثله)"3"

و عموما يتحقق الحذف في حالتين:

- ما زاد معناه على لفظه.
- ما اتسعت رؤاه و ضاقت عباراته.

يجيز ابن يعيش ظاهرة الحذف في الكلام لدواع تداولية استعمالية يقتضيها الموقف التداولي من قبيل علم المخاطب أو الإستغناء أو الإستعمال أو قيام الدليل عليه أو التخفيف و تجنب الثقل في الكلام أو التخلص أو إفهام السامع، يقول ابن يعيش:(**إلا أنه لما كثر في كلامهم و اشتهر في ألسنتهم حذفوا بعض الكلام تخفيفا**)"4"

"1":الفراهيدي الخليل بن أحمد:معجم العين، تحقيق مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي باب (الحاء و الذال و الفاء)منشورات وزارة الثقافة و الإعلام،1982،الجمهورية العراقية.

"2":الزمخشري جار الله:أساس البلاغة:، مادة حذف الطبعة الأولى،1998،تحقيق:محمد باسل عيون السود،منشورات دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان.

"3":إبن يعيش موفق الدين : شرح المفصل: ،تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،: الجزء الأول ص،295، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"4":إبن يعيش موفق الدين :نفسه،الجزء الثاني،ص:41.

و يقول في موضع آخر :(**إن قرائن الأحوال قد تُغْنِي عن اللفظ و ذلك أن المراد من اللفظ الدلالة على المعنى فإذا ظهر المعنى بقرينة حالية أو غيرها لم يحتج إلى اللفظ المطابق فإن أُتِيَ باللفظ المطابق،كان للتأكيد و إن لم يُؤْتَ به فللاِستغناء عنه.**)"1"

نقف عبر هذا النص على أهم شروط الحذف في الكلام وفق تصور ابن يعيش:

- وجود دليل مقالي:يُقْصَدُ به الكلامُ الدالُّ على المحذوف.
- وجود دليل حالي:يُفْهَمُ من سياق الكلام و حال المتكلمين.
- وضوحُ المعنى و أمنُ اللبس:يُعَدُّ من أهم الشروط الواجب مراعاتُها في الحذف.

يعد الحذفُ أحدَ المطالب الاِستِعمالية و التداولية ،فقد يحدث أن يُحذَفَ أحدُ عناصر الجملة إذا كان باقي الكلام مغنيا في الدلالة مستوفيا للمعنى،كما يمكن حذف أحد مكونات الجملة،إذا توفرت فيها بعض القرائن المعنوية أو المقالية الدالة على المكَوِّن المحذوف.يقول ابن جني:(إن العرب إذا حذفت من الكلمة حرفا–أو كلمة أو جملة– راعت حال ما بقي منه،فإن كان مما تقبله أمثلتهم أقروه على صورته.) "2" المقصود بالحذف إسقاط جزء من الكلام لوجود دليل(قرينة لفظية أو معنوية)و يكون المحذوف إما فعلا أو اسما أو حرفا.عموما إن:(دلالة الحذف تعطي المخاطبَ حرية في التفكير و التأمل من أجل سلامة التركيب،لأن الحذف يكمن في البنية العميقة للنص إذ المخاطب لا يصل إليه مباشرة،و إنما عن طريق **التقدير و الاِستنتاج** الذي يكمن وراء ظاهر النص.)"3 "و التقدير عملية ذهنية غايتها محاولة التوفيق بين التعارض اللغوي و النحوي بافتراض عنصر محذوف هو العامل أو المعمول أو غير ذلك و يندرج الإضمار في التقدير.يعد الحذف و التقدير من أهم وسائل التأويل في النحو العربي،فلا يتم المعنى إلا بذكر المحذوف و رد الأسلوب إلى نظمه و لن يتحقق ذلك بغير التقدير،كما أن الدافع للتأويل في النحو العربي هو ضرورة الاِلتزام بالقاعدة النحوية و عدم الخروج عنها.فالجملة:زيد في الدار:يعد فرعا ظاهرا أما الجملة:زيد استقر في الدار فهو أصل مقدر،و تجدر الإشارة إلى أن ابن يعيش يرفض القيام بعملية

"1":ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل: ،تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،: **الجزء الأول ص**،295، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2":اِبن جني أبو الفتح عثمان :الخصائص:تحقيق:محمد علي النجار،الجزء الثالث،ص:115،دار الكتب المصرية،القاهرة،مصر.

"3": سامي الماضي: الدلالة النحوية في كتاب المقتضب للمبرد: ص:98 ، الطبعة الثانية،2013،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،مصر.

التأويل للكلام قبل تمامه لما فيه من فساد للمعنى و إخلال بالمقصود يقول ابن يعيش:(**و لا يصح تأويل الكلام إلا بعد تمامه.**)"1" لأن (الكلام تام باعتبار المعنى)"2" فالتقدير:هو محاولة معرفة المحذوف و تقديره سواء أكان عاملا أو غير عامل،بإعمال الفكر لأن مجاله هو الجانب الخفي و المضمر،كما يقوم التقدير على الإجتهاد الذي يمنح أوجها عدة للكلمة الواحدة،إنه قائم على الإجتهاد الذي يمنح عدة أوجه في التأويل للعبارة الواحدة،و لو كان ذلك مخالفا للمعنى الحرفي للنص.عموما إن التأويل ما هو إلا محاولة لإيجاد تفسير لكل ما يعترض الجملة من تغييرات تمس اللفظ فتؤثر على المعنى المقصود،و عن الفرق بين التفسير و التأويل يقول ابن يعيش:(و" **الفَسْرُ**" الكشفُ و التفسير **تفعيلٌ منه،و "التأويل"**:تفعيل من آل يؤول إذا رجع،و الفرق بين التفسير و التأويل أن **التفسيرَ** الكشفُ عن المراد من اللفظ سواء كان ذلك ظاهرا في المراد أم غير ظاهر،و **التأويل إنما هو صرف اللفظ عن الظاهر إلى غيره مما يحتمله اللفظ،فإذاً كلُّ تأويل تفسير و ليس كل تفسير تأويلا.**)"3"

من مظاهر التقدير لدى ابن يعيش و باقي اللغويين العرب القدامى نجد الإعراب التقديري و الإعراب المحلي اللذان لا يستقيمان بغير الإحتكام إلى المعنى المقصود وفق سياق تداولي استعمالي مخصوص،مما يدل دلالة واضحة على أن ابن يعيش لم يتخذ العبارة اللغوية موضوع دراسة معزولة عما يلابسها من ظروف سياقية،بل جعلها ركنا من أركان عملية تخاطبية تامة.يقول المبرد في جواز حذف الفعل:(لم يَجُزْ حذف الفعل إلا و عليه دليل نحو:زيداً،لو قلت ذلك لم يدر ما الفعل المحذوف،فإن رأيتَ رجلا قد أشار بسيف فقلتَ:زيداً أو ذكرتَ أنه يضرب أو نحو ذلك جاز،لأن المعنى أوقع ضربك بزيد.)" 4" و يقول في موضع آخر:(فكل ما كان معلوما في القول جاريا عند الناس فحذفه جائز لعلم المخاطب.)"5"

"1":ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،:الجزء الأول ص،297، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2": إبن يعيش موفق الدين :نفسه،الجزء الأول،ص:223.

"3": إبن يعيش موفق الدين :نفسه،الجزء الثاني،ص،ص:20-21.

"4":المبرد أبو العباس محمد بن يزيد:المقتضب،تحقيق:محمد عبد الخالق عضيمة،الجزء الثالث،ص:216،الطبعة الثانية،لجنة إحياء التراث الإسلامي،القاهرة،مصر.

"5":المبرد أبو العباس محمد بن يزيد:نفسه،الجزء الثالث،ص:216.

كما **يجوز حذف الفعل إذا عُلِمَ أن المخاطب مستغنٍ عنه:** يقول ابن يعيش:(قوله(و منه)يريد مما حذف منه الفعل،و يجوز إظهاره،فإن حذفته فللاستغناء عنه،و إن أظهرته فلتأكيد البيان،فمن ذلك إذا رأيت رجلا متوجها وجه الحاج قاصدا في هيئة الحاج قلت:**مكة و الله**،كأنك قلت :**يريد** مكة و الله،و إن شئت أضمرت لفظ الماضي،كأنك قلت:أراد مكة،كأنك أخبرت بهذه الصيغة انه كان فيها أمسِ،و لو أظهرت ما أضمرت لجاز...و من ذلك إذا قصَّ إنسان عليك رؤيا رآها فعبرتها له قلت:خيرا لنا و ما سَرَّ،و خيرا لنا و شرا لعدونا،تقول ذلك على سبيل التفاؤل،كأنك قلت:رأيت خيرا و أبصرت خيرا و رأيت ما سرَّ،أي الذي سرَّ و رأيت خيرا لنا و شرا لعدونا و ما أشبه ذلك.)"1"يقول في موضع آخر من شرحه للمفصل:(إعلم أن **الفاعل قد يذكر و فعله الرافع له محذوف لأمر يدل عليه**،و ذلك أن الإنسان قد يرى مضروبا أو مقتولا و لا يعلم من أوقع به ذلك الفعل من الضرب أو القتل،و كل واحد منهما يقتضي فاعلا في الجملة،فيسأل عن الفاعل فيقول:من ضربه؟أو من قتله؟فيقول المسؤول:زيدٌ أو عمرو،يريد ضربه زيدٌ أو قتله عمرو،فيرتفع الإسم بذلك الفعل المقدر، و إن لم يُنطَق به لأن السائل لم يشك في الفعل،و إنما يشك في فاعله، و لو أظهره فقال:ضربه زيدٌ لكان أجود شيء و صار ذكر الفعل كالتأكيد.)"2" و عن حذف فعل النداء(أدعو أو أنادي) يقول ابن يعيش:(أصل المنادى النصب...و الناصب له **فعل مضمر تقديره أنادي** زيدا أو أريد أو أدعو أو نحو ذلك،و لا يجوز إظهار ذلك و لا اللفظ به لأن "يا" قد نابت عنه،و لأنك إذا صرحت بالفعل و قلت:أنادي أو أريد كان إخبارا عن نفسك،و النداء ليس بإخبار،و إنما هو نفس التصويت بالمنادى،ثم يقع الإخبار عنه فيما بعد،فتقول:ناديتُ زيداً.)"3 "

هذا التصور الإستعمالي للحذف نجده حاضرا لدى عبد القاهر الجرجاني إذ يقول:(باب دقيق المسلك،لطيف المأخذ،عجيب الأمر،شبيه بالسحر.فإنك ترى أن ترك الذِّكر أفصح من الذِّكر،و الصمت عند الإفادة أزيد للإفادة،و تجد أنطق ما تكون إذا لم تنطق،و أتم ما تكون بيانا إذا لم تُبِنْ)"4 "

"1":إبن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله، **الجزء الأول ص**،296-297، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2": إبن يعيش موفق الدين :نفسه،الجزء الثاني،ص،ص:186.

"3": إبن يعيش موفق الدين :نفسه،الجزء الثاني،ص،ص:299-300.

"4":الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد:دلائل الإعجاز:قراءة و تعليق:أبو فهر محمود محمد شاكر،ص:25 ،الطبعة الثالثة،1992،مكتبة الخانجي للطباعة و النشر و التوزيع،القاهرة ،مصر.

فما يقتضيه المعنى المقصود يذكر في السياق و ما لا حاجة إليه لا يذكر،كما ربط الجرجاني الصياغة بالمخاطب،إذ جعل صياغة البنية رهينة بالحالة الإدراكية له،مستشهدا بما رواه ابن الأنباري حين قال:(ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس و قال له: :إني لأجد في كلام العرب حشوا:فقال له أبو العباس:في أي موضع وجدت ذلك؟فقال:أجد العرب يقولون:عبدُ الله قائمٌ،ثم يقولون:إن عبدَ الله قائمٌ:ثم يقولون:إن عبدَ الله لقائمٌ،**فالألفاظ متكررة و المعنى واحد**.فقال أبو العباس:**بل المعاني مختلفة لِاختلاف الألفاظ**.فقولهم:عبد الله قائم،إخبار عن قيامه،و قولهم:إن عبد الله قائم:جواب عن سؤال سائل،و قولهم:إن عبد الله لقائم،جواب عن إنكار منكر قيامه،فقد **تكررت الألفاظ لتكرر المعاني**.)"1 "إن مقامات الكلام تتصل اتصالا وثيقا بالمخاطب، فمقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام في الِاستخبار أو الإنكار.يقول ابن يعيش: :(**الألفاظ إنما جيء بها للدلالة على المعنى،فإذا فهم المعنى بدون اللفظ جاز أن لا تأتي به،و يكون مرادا حكما و تقديرا**.)"2" وضع ابن يعيش و غيره من اللغويين عدة شروط تداولية و استعمالية لتقدير المحذوف ،لأن الأصل في المحذوفات أن يوجد في الكلام ما يدل على المحذوف و إلا كان لغوا لا يُعْتَدُّ به و لا يرجى من ورائه قصد.

1. **الشرط النحوي الإعرابي**:إذا حذف عنصر من عناصر الجملة المركبة تركيبا سليما يظهر فراغ في بنيتها التركيبية،مما يتوجب تقديره تفاديا للبس و الغموض في المعنى.
2. **الشرط التداولي المقامي**:إن دلالة تقدير المحذوف ليست متصلة بالإعراب بل متصلة بسياق الحال أو العناصر المؤلفة للموقف الكلامي."3 "

"1":ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله، الجزء الأول ص،221، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2":الجرجاني:نفسه:ص:221.

"3":الرقبي رضوان:من البلاغة إلى التداولية:دراسة تحليلية في البنية و التصور،ص: 132-133،طبعة 2018،عالم الكتب الحديث،إربد،الأردن.

إن الوظيفة الأساس للحذف تتحدد في تفادي الكشف المبتذل للألفاظ و المعاني مع فسح المجال أمام المخاطب للقيام بمجموعة من العمليات الذهنية لإدراك المعنى المقصود،و عموما تخضع عملية الحذف لشرطين مهمين هما:

- وجود دليل يدل على المحذوف و موضعه،لأن عدم معرفة المحذوف يؤدي إلى فساد المعنى،كما أن عدم معرفة موضعه من الكلام يؤثر في المعنى.
- ألا ينجم عن حذف العنصر إساءة للمعنى و إفسادا للصياغة اللفظية.

لقد أولى اللغويون العرب القدامى عناية فائقة لظاهرة الحذف انطلاقا من عنايتهم بنظرية العامل و قضية الإسناد،كما خصصوا للظاهرة أبوابا لحالات الحذف مع التمييز بين الجائز و الواجب منها،كما اهتموا بها في إطار عنايتهم بظاهرة **الإيجاز** باعتبارها سمة مميزة للبلاغة العربية القديمة،يقول ابن الأثير عن القيمة البلاغية للإيجاز:(و هو حذف زيادات الألفاظ و هذا النوع من الكلام شريف لا تتعلق به إلا فرسان البلاغة،من سبق إلى غايتها و ما صلى و ضرب في أعلى درجاته بالقدح المعلى،و ذلك لعلو مكانه و تعذر إمكانه.)"1"أما ابن جني فيقول:(فإن العرب فيما أخذنا عنها و عرفناه من تصرف مذاهبها و عنايتها بمعانيها أقوى من عنايتها بألفاظها...)"2 "و إن حدث طارئ على الجملة يتم التعامل معه لغويا و عقليا و منطقيا لإنجاح العملية التخاطبية، يعرف ابن يعيش **الإيجاز ب**قوله :(الإقلال،يقال:**كلام وَجْزٌ** و وجيز و موجز **إذا قلَّ مع تمام المعنى.**)"3"و عن القيمة البلاغية للإيجاز يقول ابن يعيش:(إذ من المعلوم أن من كان قادرا على **بلاغة الإيجاز** كان قادرا على **بلاغة الإطناب**،قال الخليل بن احمد رحمه الله:"من الأبواب ما لو شئنا أن نشرحه حتى يستوي فيه القوي و الضعيف لفعلنا و لكن يجب أن يكون للعالِم مزيةٌ بعدَنا.")"4" يقول في موضع آخر من شرحه:(و إنما أُتي بالأعلام **للاِختصار** و **ترك التطويل** بتعداد الصفات،ألا ترى أنه لولا العَلَم

"1":إبن الأثير ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر:تحقيق:أحمد الحوفي و بدوي طبانة،الجزء الثاني،ص:265،دار نهضة مصر للطبع و النشر،القاهرة،مصر.

"2":إبن جني أبو الفتح عثمان :الخصائص:تحقيق:محمد علي النجار،الجزء الأول،ص:152،دار الكتب المصرية،القاهرة،مصر.

"3":ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله، **الجزء الأول ص**،41، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"4":إبن يعيش:نفسه،الجزء الأول،ص:6.

لاحْتَجْتَ إذا أردت الإخبار عن واحد من الرجال بعينه أن تعدِّد صفاته حتى يعرفه المخاطَبُ،فأغنى العَلَمُ عن ذلك أجمع.)"1"كما أجاز ابن يعيش **حذف المبتدإ شرط عدم الإخلال بالمعنى** ،إذ يعد حذفه مستساغا في اللغة العربية،لأنها إلى الإيجاز و الاِختصار أَمْيل،و مثلما يجوز حذف المبتدإ لمسوغاتٍ تخاطبية تداولية ،يجوز كذلك حذف الخبر و باقي مكونات الجملة عمدا و فضلات. يقول ابن يعيش في حذف المبتدإ:(اِعلم أن المبتدأ و الخبر جملة مفيدة تحصل الفائدة بمجموعهما،فالمبتدأ معتمد الفائدة،و الخبر محل الفائدة،فلابد منهما،إلا انه قد توجد قرينة لفظية أو حالية تغني عن النطق بأحدهما،فيحذف لدلالتها عليه لأن الألفاظ إنما جيء بها للدلالة على المعنى،فإذا فهم المعنى بدون اللفظ جاز أن لا تأتي به،و يكون مرادا حكما و تقديرا، و قد جاء ذلك مجيئا صالحا فحذفوا المبتدأ مرة و الخبر أخرى،فما حذف فيه المبتدأ قولُ المستهِلِّ:الهلالَ و اللهِ،أي هذا الهلالُ و الله، و المستهل:طالب الهلال،كما يقال لطالب الفهم:مستفهم و لطالب العلم مستعلم،و مثله إذا شممت ريحا طيبة قلت:المسكَ و الله،أي هو المسك و الله أو هذا المسكُ.)"2"و التصور ذاته نجده لدى المبرد الذي يقول:(لو قلت على كلام متقدم:عبد الله،أو منطلق، أو صاحبك أو ما أشبه هذا لجاز أن تضمر الاِبتداء إذا تقدم من ذكره ما يفهمه السامع،فمن ذلك أن ترى جماعة يتوقعون الهلال،فقال قائل منهم:الهلال و الله،أي:هذا الهلال.)"3"و عن حذف الخبر يقول ابن يعيش:(و قد حذف الخبر أيضا كما حذف المبتدأ،و أكثر ذلك في الجوابات،يقول القائل:مَنْ عندك؟فتقول:زيدٌ،و المعنى زيدٌ عندي،إلا أنك تركته للعلم به إذ السؤال إنما كان عنه.)"4 " عموما إن الحذف مزية من مزايا التركيب النحوي في الكلام العربي يتصل فيه الإيجاز و الاِختصار بالدقة في الإنجاز الكلامي مع حذف ما يستغنى عن ذكره للتخفيف أو لعلم المخاطب.

"1":اِبن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله، الجزء الأول ص،63، دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2":ابن يعيش:نفسه،الجزء الأول،ص:221.

"3":المبرد أبو العباس محمد بن يزيد:المقتضب،تحقيق:محمد عبد الخالق عضيمة،الجزء الرابع،ص:129،،الطبعة الثانية،لجنة إحياء التراث الإسلامي،القاهرة،مصر.

"4":اِبن يعيش موفق الدين :**الجزء الأول ص**،219.

و في الدرس اللساني الحديث تعد عملية الحذف ظاهرة أسلوبية لغوية تسهم في توليد الإيحاء و توسيع الدائرة الدلالية و تتعد زواياه باختلاف المخاطَبين و تنوع مرجعياتهم الفكرية و المعرفية،كما تتضافر فاعلية الحذف مع فاعلية الظواهر اللغوية و الأسلوبية المشكلة للبنية الكلية للنص،و في حقل لسانيات النص يعد الحذف عبارة عن علاقة قبلية داخل النص،فحيثما يوجد الحذف فهناك افتراض مسبق،ذلك أن المكون المحذوف و المفترض يوجد في النص السابق،مما يمنح النص انسجاما و اتساقا بين عناصره.إنها عملية ذهنية قائمة على إسقاط بعض مكونات التركيب لتقديرها بقرائن سابقة أو لاحقة و هو بذلك طريقة استباقية تُسْهِمُ في تحديد معالم التشكيل اللغوي للنص،و تجدر الإشارة إلى أن دلالات النص تتنوع بتنوع المخاطبين و معرفتهم بأعراف لغتهم،إذ يتم الاِحتفاظ بالعنصر المحذوف في الذهن إلى حين انتهاء المتكلم من الإنجاز الكلامي،مما يسهم في استمرارية عملية التواصل و التخاطب بين الطرفين."1"هذا التصور الحديث لفعالية الحذف نجده لدى ابن يعيش الذي لم يغفل قيمة المخاطب و مركزيته في فعل التخاطب حيث يتم الحذف لعلم المخاطب به،و هو بذلك يتعاون مع المتكلم لإكمال النص و ملء فراغاته انطلاقا من إحاطته بملابسات السياق التداولي،كما نجده في كثير من المواقف يحاول الجمع بين المقام و كثرة الاِستعمال لتعليل العناصر المحذوفة فيقدرها وفق تقدير المعنى.

يعد الحذف أداء إجرائية لاِستخراج البنية الكلية للنص و يؤكد **فان دايك** على أنه:(يجب أن نعرف أيضا البنية المعرفية التي يمتلكها مستخدم اللغة،و يجب أن ندرك كيف تتغير هذه المعرفة بناء على معلومة نصية جديدة.)"2 " تعتبر اللغة العربية من أكثر اللغات قابلية للتجديد في ترتيب مكونات جملها كما تعتبر العلامة الإعرابية الفيصل في تحديد الوظيفة النحوية لكل مكون من مكونات التركيب.هذه السمة المميزة للغة العربية تمنح المتكلم سعة في الكلام و حرية في التعبير إذ بإمكانه أن يقدم و يؤخر بغير لبس أو إبهام.إنها ظاهرة مشتركة بين مختلف اللغات الطبيعية،إذ ينزع المتكلمون إلى حذف المكونات المكررة في الكلام أو حذف ما يدركه المخاطب بناء على القرائن المصاحبة معنوية كانت أو مقالية أما الحذف المخل بالمعنى فلا مسوغ له في

"1":الرقبي رضوان:من البلاغة إلى التداولية:دراسة تحليلية في البنية و التصور،ص:129-130،طبعة 2018،عالم الكتب الحديث،إربد،الأردن.

"2":فان دايك:،علم النص،مدخل متداخل الاِختصاصات،ترجمة:سعيد حسن البحيري،ص:25،الطبعة:الأولى،دار القاهرة للكتاب،القاهرة،مصر.

الكلام،إنه عيب من عيوب الكلام لأجل ذلك اشترطوا في عملية الحذف توفر شرط الفهم و الإفهام يقول ابن يعيش(**إن قرائن الأحوال قد تغني عن اللفظ و ذلك أن المراد من اللفظ الدلالة على المعنى فإذا ظهر المعنى بقرينة حالية أو غيرها لم يحتج إلى اللفظ المطابق فإن أُتِيَ باللفظ المطابق جاز كان للتأكيد و أن لم يؤت به فللاِستغناء عنه.**)"1 " إنه إجراء نحوي أسلوبي يتم بحذف لفظة أو عدة ألفاظ في التركيب اللغوي،حَذْفٌ لا يُخِلُّ بالمعنى و لا يُضِرُّ بالإدراك و لا بالقواعد النحوية،يرى بيير فونطاني/ Pierre fontanier أن الحذف:(يرتكز على إلغاء الكلمات التي تكون ضرورية لإتمام التركيب،لكن الكلمات المحذوفة ينبغي ألا تؤدي إلى غموض أو شك.) "2"

عن الحذف تقول كايتي وولص/ katie walls:(نستطيع إدراك الحذف النحوي...على أنه حذف لجزء من تعبير البنية التي تستطيع فهمها بسهولة بواسطة السماع/القراءة داخل النص أو السياق و التي يمكن تعويضها إلى حد ما.)"3"

تتحدد عملية الحذف في ثلاثة أصناف هي:

أ. حذف أحد الأطراف:كان يحذف جزء من الجملة.

ب. حذف تركيب:و المقصود به حذف جملة بكاملها.

ت. حذف أكثر من تركيب:المقصود به حذف أكثر من جملة."4"

"1":ابن يعيش موفق الدين:شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،:**الجزء الأول** ،ص،295،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

« 2 » :Piere Fontanier :les figures du discours Introduction par Gerard Genette p 306.

"3":katie walls,a dictionary of stylistics Pearson education,Edinburgh ate-Harlan,England 2001,p 121.

"4":الرقبي رضوان:من البلاغة إلى التداولية:دراسة تحليلية في البنية و التصور،ص:130،طبعة: 2018،عالم الكتب الحديث،إربد،الأردن.

4.الإِستلزام الحواري :

يستطيع المتكلم التعبير عن قصده وفق شكل اللغة الدلالي مباشرة بما يتطابق مع معنى الخطاب ظاهريا و هذه هي الإِستراتيجية المباشرة،و قد يعدل عنها إلى استراتيجية أخرى فيلمح بالقصد عبر مفهوم الخطاب المناسب للسياق،فتنتج عنه دلالة يستلزمها الخطاب ويفهمها المخاطب،مما يعبر تعبيرا واضحا عن مركزية السياق في منح الخطاب دلالته للتعبير عن القصد،لأن التصريح والتلميح لا يتطابقان تمام المطابقة مع أصناف الأشكال اللغوية الصِّرفة غير أنهما يتطابقان مع الأشكال اللغوية في السياق فقط.يجب إذن التمييز بين معنى العبارة و معنى المتكلم ،بين الفحوى المعجمي – التركيبي للعبارة ذاتها و القصد الذي يتوخى المتكلم تحقيقه حين ينتج العبارة. يُعد مفهوم القصد من المفاهيم التي استأثرت باهتمام الفقهاء والفلاسفة و المتكلمين وعلماء اللغة،إذ في تصورهم أنه لما كانت المعاني سابقة على الألفاظ و العبارات،فإن دلالة هذه على تلك تتوقف على المواضعة و قصد المتكلم،مبررهم في ذلك كون الكلام حين يحصل بغير قصد لا يَدُلُّ،أمَّا مع القصد فإنه يَدُلُّ و يفيد، و يتشكل القصد وفق السياق و ملابساته،إذ يعتبر عماد الخطاب لتجسيد معنى المتكلم عوض التقيد بالمعنى الحرفي الصرف رغم تطابقهما في بعض السياقات،و تعد نظرية القصدية لجرايس من أهم الدراسات المعاصرة التي جعلت قصد المرسل صلب النظرية اللسانية،فقد يخرج الكلام عن معهود خطابه إلى معان ضمنية مستلزمة تُدْرَكُ من سياق الكلام،مثال ذلك خروج أسلوب النداء عن معناه الأصلي إلى معان أخرى تستفاد من سياق الموقف التداولي،و عن حالة دخول لام التعجب على جملة النداء يقول ابن يعيش:(و أما دخول اللام للتعجب فنحو قولهم:"يا لَلْمَاءِ"،كأنهم رأوا عجباً و ماءً كثيرا،فقالوا:تعالَ يا عجبَ و يا ماءُ،فإنه من إبَّانِكَ و وقتِكَ.)"1" فقد خرج النداء عن معناه الأصلي إلى معنى التعجب،**و عن تنوع صيغ أسلوب الأمر بتنوع مراتب المخاطبين يقول ابن يعيش:**(اِعلم أن **الأمر طلب الفعل** بصيغة مخصوصة.و له و لصيغته أسماء بحسب

"1":اِبن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،:الجزء الأول ،ص،309،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

إضافاته،فإن كان من الأعلى إلى مَنْ دونه،قيل له **أمر**،و إن كان من النظير إلى النظير قيل له **طلب**،و إن كان من الأدنى إلى الأعلى قيل له **دعاء**...)"1 "يستخلص من هذا القول أن الأمر يستعمل استعمالا أصليا و استعمالات فرعية يترتب عنها الطلب و الدعاء و غيرهما،و إن حديث ابن يعيش عن المعنى الأصلي للأمر و معانيه الفرعية يؤكد مرة أخرى ربطه بين بنية العبارة اللغوية و القصد التواصلي للمتكلم."2" يقول ابن يعيش: (و أما خفوق النجم فالمراد وقت خفوق النجم،فالزمن المستفاد من الوقت المحذوف لا من الخفوق نفسه،على أنَّا نقول:المِضْرِب و المِقْدَم زمن الضِّراب و القدوم،و إنما بيين بإضافته إلى الحاجّ و الشول،و ذلك الزمن **معلوم بالعرف لا مفهوم من اللفظ** ألا ترى أنك لو أخليته من الإضافة فقلت:أتيتُ مقدما لم يُفهم من ذلك زمان؟فعلمْتَ أن هذه الألفاظ مجردة عن الاِقتران أنفسها.)"3 " يقول في موضع آخر من شرحه للمفصل:(و ذلك قولك:يا رجلاً و يا غلاماً.فغلامٌ و رجلٌ في هذا الموضع **يُراد** به الشائع لأنه لم يُوجَّهِ الخطابُ نحوهما مختصا بالنداء،و مثال ذلك الأعمى يقول:يا رجلا خُذْ بيدي،و يا غلاما أَحِزْنِي،فلا **يَقصد** بذلك غلاما بعينه،فالنصب في هذه الأقسام الثلاثة من جهة واحدة،و أما قول الشاعر،و هو عبد يغوت:

فيا راكبا إمَّا عَرضْتَ فبلِّغنْ نَدامايَ من نَجْرَانَ أنْ لا تَلاقيا

فالشاهد فيه نصبُ راكب لأنه منادى منكور إذ لم **يَقْصِدْ** راكبا بعينه،إنما أراد راكبا من الركبان يُبلِّغُ خبرَهُ، و لو أراد راكباً بعينه لبَناه على الضم،و إنما قال هذا لأنه كان أسيرا.)"4" إن هذا التصور الاِستلزامي للخطاب يحضر لدى أغلب علماء العربية نحاة و بلاغيين،يقول ابن جني:(و اعلم أنه ليس شيء يخرج عن بابه إلى غيره إلاّ لأمر قد كان–و هو بابه–ملاحظا له،و على صدد من الهجوم عليه.و ذلك أن المستفهِم عن الشيء قد يكون عارفا به مع استفهامِه في الظاهر عنه،و لكن غرضه في الاِستفهام عنه أشياء،منها:أنه يُرِي المسؤول أنه خفي عليه ليسمع جوابه عنه،و منها أن يتعرف حال المسؤول هل هو عارف بما السائل عارف به،

"1":ابن يعيش موفق الدين:شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله، الجزء الأول ،ص،295،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2":ابن يعيش،نفسه،الجزء الأول، ص:54.

"3": ابن يعيش،نفسه،الجزء الأول، ص: 302 .

و منها أن يري الحاضر غيرهما أنه بصورة السائل المسترشد،لما له في ذلك من الغرض.و منها أن يتعدى ذلك لما بعده مما يتوقعه،حتى إن حلف بعد أنه قد سأله لفَّ صادقا،فأوضح بذلك عذرا.و لغير ذلك من المعاني التي يسأل السائل عما يعرفه لأجلها و بسببها.فلما كان السائل في جميع هذه الأحوال قد يسأل عما هو عارفه،أخذ بذلك طرفا من الإيجاب،لا السؤال عن مجهول الحال.)"1 "

رغم رحابة مفهوم "المعنى" في التراث اللغوي العربي،يمكن حصره في ثنائية أساسية هي:

المعنى الفحوي: يفيد هذا المصطلح معنى العبارة اللغوية ذاتها.و هو في الأغلب مجموع معاني مكوناتها مضموما بعضها إلى بعض ضما خطيا .

المعنى القصد: يُراد به الغاية التواصلية التي يسعى المتكلم إلى تحقيقها من خطابه.و تعتبر هذه الغاية قرينة أساسية في تحديد الوظيفة النحوية و بيان دورها في التحليل النحوي للجملة.و لقد كان النحاة العرب القدامى حريصين كل الحرص على أداء المعنى المقصود بغير لبس أو غموض أو إسهاب في القول:"ألا ترى أنك لو قلت مررت بعبد الله،مررت بزيد أو قلت:مررت بعبد الله و زيد،ربما **توهم المخاطَب** أن الثاني غير الأول فجاؤوا **بالبدل فِرارا من اللبس وطلب الإيجاز.**"2 " تواكب العبارات اللغوية قوتان إنجازيتان هما:

- قوة إنجازية حرفية:يُعبر عنها بصريح العبارة.
- قوة إنجازية مُستلزَمة:تتولد عن الأولى حسب مقتضيات مقامات محددة.

وتبقى القوة الإنجازية الحرفية ملازمة للعبارة اللغوية في كل المقامات،بينما القوة الإنجازية المستلزمة فإنها وطيدة الصلة بالمقام الذي تحققت فيه."3 يقول ابن يعيش:(الكشفُ عن المراد من اللفظ سواء كان ذلك ظاهرا في المراد أم غير ظاهر،و **التأويل إنما هو صرف اللفظ عن الظاهر إلى غيره مما يحتمله اللفظ.**)"4 "

"1":ابن جني أبو الفتح عثمان :الخصائص:تحقيق:محمد علي النجار،الجزء الأول،ص:464-465 ،دار الكتب المصرية،القاهرة،مصر.

"2":إبن يعيش موفق الدين : شرح المفصل: ،تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،: الجزء الثالث،ص:117،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"3":المتوكل احمد:المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي:الأصول و الامتداد،ص:172،دار الأمان،الطبعة الأولى،2006،الرباط،المغرب.

"4": إبن يعيش موفق الدين:نفسه،الجزء الثالث،ص.ص:20-21.

و هو الذي يطلق عليه المعنى القصد في مقابل المعنى الفحوي المفهوم من ظاهر اللفظ.

يعد مفهوم الخبر و الإنشاء في الموروث اللغوي و البلاغي العربي القديم بابا مهما يضاهي نظرية الأفعال الكلامية التي أسسها جون أوستين و طورها فيما بعد جون سيرل،فالخبر وفق تصور العلماء العرب هو القول الذي يحتمل الصدق أو الكذب،انطلاقا من مدى مطابقته للواقع أو عدم مطابقته.أما الإنشاء فهو القول الذي لا يحتمل الصدق و لا الكذب و إن مجرد النطق به يعد إنجازا فعليا في الواقع،يقول ابن يعيش:(فمن ذلك كم ،و هي **كناية** عن العدد المبهم،تقع على القليل منه و الكثير و الوسط،و لها موضعان **الإِستفهام و الخبر**،و أصلها الإِستفهام،و الإِستفهام يكون بالمبهَم ليُشْرَحَ ما يُسْأَلُ عنه،و ليس الأصل في **الإخبار** الإبهامُ،و لذلك كان في الخبرية شيء من أحكام الاستفهام،و هو أن لها صدر الكلام كالإِستفهامية.)"1 "

إن النظر إلى مدى مطابقة الكلام للإِستعمال في الخارج من عدمه يعد معيارا تداوليا و قرينة يُعتد بها في إدرك قصد المتكلم ،و في الدرس اللساني الحديث يقابل الخبر صنف التقريريات و غرضها المتضمن في القول هو:التقرير و المقصود به:إدراج مسؤولية المتكلم في صحة ما يقول،و من شروطها امتلاك الأسس القانونية أو الأخلاقية التي تؤيد صدق محتواها بينما يندرج الطلب ضمن باقي الأنواع الأخرى.

إن تناول ابن يعيش لظاهرة الإِستلزام الحواري، لم تكن مقتصرة على علم دون آخر، بل شملت جميع مستويات اللغة جاعلا من مبدإ الإِستعمال و السياق،أرضية أساسية لتحديد الدلالات المستفادة من الخروج عن أصل الإِستعمال إلى معان أخرى تستفاد من السياق. يقول ابن يعيش:(و قالوا:**مرحبا و أهلا و سهلا**،فانتصاب هذه الأسماء بأفعال مقدرة...و إنما قدرها بالفعل لأن الدعاء إنما يكون بفعل،فردَّه إلى

"1": ابن يعيش موفق الدين:شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الرابع،ص،203.،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا .

فعل من لفظ المدعوِّ به كما يقدرون تُرْباً و جَنْدَلاً بتَرِبَتْ يداك و جُنْدِلَتْ،و إنما الناصب له أصَبْتَ تُرْباً و جُنْدُلاً على حسب المعنى المقصود،و هذا إنما يُستعمل فيما لا يُستعمل الفعلُ فيه و لا يَحْسُنُ إلا في موضع الدعاء به،ألا ترى أن الإنسان الزائر إذا قال له المزور:مرحباً و أهلاً فليس يريد رَحُبَتْ بلادُكَ و أهِلَتْ؟و إنما يريد أصبتَ رحباً و سعةً و أُنساً عندنا،لأن الإنسان إنما يأنسُ بأهله،و إذا قال:سهلاً كأنه قال:أصَبْتَ سهلاً،أي مكانا سهْلاً لا حَزْناً و خُشُونةً...**فحذفوا الفعل لكثرة الاستعمال و دلالة الحال عليه.**) "1"

يمكن اعتبار شرح المفصل بادرة مهمة لتحليل ظاهرة الإستلزام الحواري في الموروث اللغوي العربي القديم، و هي ظاهرة درسها ابن يعيش عبر مناقشته خروج دلالات الصيغ اللغوية عن أصل الإستعمال إلى معانٍ مُستلزَمة يقتضيها السياق التداولي.إن الصياغة التي تُخْرِجُ الكلام على خلاف مقتضى الظاهر و تقوم بتوجيه المخاطب صوب المعاني المستلزمة من سياق الإستعمال،هي وفق ابن يعيش من كمال علوم اللغة جميعها،نظرا لما تضمه من قيمة فنية و ما يحصل للمخاطب من إمتاع نفسي. فعرض شارح المفصل ابن يعيش لقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) قائلا:(يُحملُ مثل هذا التركيب على الإستفهام، ومع أنه لا يقصد الإستفهام عن التجارة التي تُنْجي، وهل يُدلّون أم أنهم لا يُدلون، **وإنما أراد الأمْرَ**، والحثَّ على النجاة. ومثل ذلك قوله في الآية:(فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)"2 " فإن الظاهر هو الإستفهام عن رغبتهم في أن ينتهوا أو لا ينتهوا ،بيد أن المعنى المضمر في الآية هو انتهوا، ومثل هذا قيل عن النهي، و عن الأمر، فمنه ما يكون التماسًا، ومنه ما يكون دعاءً، ونصحًا، وإرشادًا، وتوبيخاً، وتعجيزًا، أو للإباحة، والتخيير.إنه فن لا يتحقق إلا لأهل صناعة البيان و بعد طول دُربة و مراس و هو هنا لا يختلف عما جاء به بول غرايس في دراسته لظاهرة الإستلزام الحواري الناتج عن خرق إحدى قواعد الحوار الأربع و التي تؤطر مبدأ التعاون.

"1": إبن يعيش موفق الدين: شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله، الجزء الثاني،ص،69-70،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2": إبن يعيش موفق الدين:نفسه الجزء الثامن،ص:76.

إذا أجري الخبر خلافا لمقتضى الظاهر يخرج إلى معان مستلزمة من سياقات الإستعمال،كما أن الطلب إذا أنجز في مقامات تنافي شروط إجرائها على الأصل،فإنها تفيد معان مستلزمة مثل الإنكار أو التوبيخ أو الزجر أو التهديد.مثلما يخرج أسلوب النفي إلى المدح إذا دخل عليه الاستفهام:يقول ابن يعيش:(نعم إذا وقعت بعد نفي قد دخل عليه الاستفهام كانت بمنزلة "بلى" بعد النفي،أعني للإثبات،لأن النفي إذا دخل عليه الإستفهام رُدَّ إلى التقرير،و صار إيجابا،ألا ترى إلى قوله :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ من ركِب المطَايَا و أَنْدَى العالمين بُطَونَ راحِ

فإنه أخرجه مخرج المدح،و يقال:إن الممدوح اهتز لذلك.)"1 "إنه فن لا يتحقق إلا لأهل صناعة البيان و بعد طول دُربة و مراس،و إذا كان الإستلزام في معناه العام وفق غرايس هو الإنتقال بالكلام من القوة الإنجازية الحرفية إلى القوة الإنجازية المستلزَمة،فإن ابن يعيش لا يخرج عن هذا التصور ،و لا يختلف عما جاء به بول غرايس في دراسته لظاهرة الإستلزام الحواري الناتج عن خرق إحدى قواعد الحوار الأربع و التي تؤطر مبدأ التعاون،حيث للمتلفِّظ بالخطاب القدرة على الخروج عن أصل الإستعمال لإنجاز أفعال كلامية غير مباشرة وفق اصطلاح سيرل أو معانٍ مستلزمة وفق اصطلاح غرايس.

هذا التفكير الإستعمالي التداولي لأساليب العربية يحضر كثيرا لدى علماء العربية القدامى،إذ ينظرون إلى ظاهرة الإستلزام الحواري،لا على أساس كونها مفهوما بل على أساس كونها أشكالا تداولية تظهر بين الفينة و الأخرى أثناء الخطاب،يقول السكاكي:(إن التعرض لخواص تراكيب الكلام موقوف على التعرض لتراكيبه ضرورة،لكن لا يخفى عليك حال التعرض لها منتشرة،فيجب المصير إلى إيرادها تحت الضبط بتعيين ما هو أصل لها و سابق في الإعتبار،ثم حمل ما عدا ذلك عليه شيئا فشيئا على موجب المساق و السابق في الإعتبار في كلام العرب شيئان:الخبر و الطلب...و ما سوى ذلك نتائج امتناع إجراء الكلام على الأصل.)"2 " إن دلالة خواص الكلام تختلف عن دلالة تراكيبه،لأجل ذلك نجده يهتم بشكل مثير للإنتباه لمسألة مطابقة

"1": إبن يعيش موفق الدين: شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله، لجزء الثامن،ص،222-223،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2":السكاكي أبو يعقوب:مفتاح العلوم:تحقيق:نعيم زرزور،ص:164 ،دار الكتب العلمية،الطبعة الأولى،1983،بيروت،لبنان.

الكلام لتمام المراد منه.إذ العديد من العبارات اللغوية يتحدد معناها وفق السياق الذي وظفت فيه،لذلك يحصر السكاكي مهمة علم المعاني في:(تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة و ما يتصل بها من الاِستحسان و غيره،ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره.)"1 " العبرة من تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال الجمع بين المستويين الدلالي و التداولي في علم المعاني،كما أن دراسة الاِستلزام الحواري تستوجب التركيز على المستوى التداولي الذي يتيح عملية الكشف عن الإمكانات المتنوعة لتوظيف اللغة،و يضم المستوى التداولي علمي المعاني و البيان، ذلك إن علم المعاني يشمل مقولات و قواعد تهم الأغراض التي تخرج إليها الأساليب ،أما المقولات فتشمل مقولة الإفادة و مطابقة الكلام لمقتضى الحال و المعنى السابق للفهم أثناء العملية التخاطبية،و يُراد بالقواعد كل ما يحكم عملية الاِنتقال من الغرض الأصلي إلى الغرض الفرعي،يقول السكاكي:(متى امتنع إجراء هذه البواب على الأصل،تولد منها ما ناسب المقام،كما إذا قلت لمن هَمَّكَ هَمُّهُ:لَيْتَكَ تُحَدِّثُنِي،امتنع إجراء التمني و الحال ما ذكر على أصله.فتطلب الحديث من صاحبك غير مطموح في حصوله و وَلَّدَ بمعونة قرينة الحال معنى السؤال.)"2 "

للمتلفِّظ بالخطاب القدرة على الخروج عن أصل الاِستعمال لإنجاز أفعال كلامية غير مباشرة وفق اصطلاح سيرل أو معانٍ مستلزمة وفق اصطلاح غرايس.و إذا كان عِلْمَا النحو و الصرف يهتمان بدراسة المفردات و التراكيب وفق أصل وضعها،إذ (الغالب على المسلمين التكلم بلسان العرب،و النحو قانون يتوصل به إلى كلام العرب.)"3 "،فإن علم المعاني يهتم بدراسة الأساليب المتولدة عن خروج تلك الدلالات الوضعية إلى معانٍ أخرى، إذا كان الاِستلزام في معناه العام وفق غرايس هو الاِنتقال بالكلام من القوة الإنجازية الحرفية إلى القوة الإنجازية المستلزَمة،فإن ابن يعيش لا يخرج عن هذا التصور. لقدِ انتبه ابن يعيش إلى ظاهرة الاِستلزام

"1":السكاكي أبو يعقوب:مفتاح العلوم:تحقيق:نعيم زرزور،ص:416 ،دار الكتب العلمية،الطبعة الأولى،1983،بيروت،لبنان.

"2": السكاكي،نفسه،ص:416.

"3":اِبن يعيش موفق الدين:شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله، الجزء الأول،ص:39،سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

الحواري،لا على أساس كونها مفهوما بل على أساس كونها أشكالا تداولية تظهر بين الفينة و الأخرى أثناء الخطاب،يقول ابن يعيش:(و أما الفرق بين لام العهد و لام الجنس **فمن جهة المعنى**،و أما **اللفظ فشيء واحد.**)"1 "

يعد الإستلزام الحواري من أهم مكونات الدرس التداولي، فوفق غرايس ما يُقال هو ما تعنيه الكلمات و العبارات بقيمتها اللفظية face values،و ما يُقصَد هو ما يريد المتكلم إبلاغه للمخاطَب بشكل غير صريح على أساس أن المخاطب قادر على بلوغ قصد المتكلم و مراده بما يمتلكه من أعراف الإستعمال و طرق الإستدلال، إذا اعتبرنا أن كل خطاب هو فعل لغوي،فإن كل ملفوظ هو تجسيد لفعل لغوي معين،لذلك فالأفعال اللغوية الإنجازية غير المباشرة يتم التوصل إليها،بعد القيام بعملية استدلالية تصبح معها البنية اللغوية الظاهرة للملفوظ مجرد معبر للوصول إلى الفعل الإنجازي غير المباشر الذي يقصد إليه المتكلم،و هو المعنى الذي يحاول ابن جني تمريره عبر هذا النص،لأننا نتواصل بالأفعال الإنجازية غير المباشرة أكثر من تواصلنا بالأفعال الإنجازية المباشرة."2

"يتم إذن في إطار الإستلزام الحواري التمييز بين المعنى الفحوي و المعنى المستلزم،هذا التمييز بين المعنى الحرفي و المعنى الضمني يحضر بقوة في شرح المفصل،يقول ابن يعيش في **باب التفسير على المعنى دون اللفظ**: (و معنى لَعَمْرُ الله، الحَلِفُ بِبَقاء الله تعالى و دوامه،فإذا قلتَ:عَمرَكَ اللهَ فكأنك قلت:بتَعْميرِكَ اللهَ،أي بإقرارِكَ له بالبقاء،فأما قولُ عمر بن أبي ربيعة:

عَمْرَكَ اللهَ كيفَ يلتقيانِ

فليس على معنى القسم،و إنما المراد سألتُ الله أن يطيلَ عمركَ.)"3"

إن كثيرا مما انتبه إليه اللغويون العرب القدامى،يكاد يتطابق مع عدد من مقولات النظريات اللسانية عامة و التداولية خاصة،و يعد ابن يعيش من اللغويين العرب القدامى الذين تراءت لنا في أعمالهم بعض خصائص الفكر اللغوي الحديث،مما يؤكد تواصل التفكير اللغوي عبر الأجيال و استمرار البحث في اللغة بوصفها نظاما لسانيا وثيق الصلة بمستعمليه يتحقق بشكل فعلي في الكلام الذي يعبر به الناس عن أفكارهم و أغراضهم و مقاصدهم.

"1" إبن يعيش موفق الدين:شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الأول،ص: 27،سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2": محمود أحمد نخلة: نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية:مجلة الدراسات اللغوية،مركز الفيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية، المجلد الأول، العدد الأول، محرم ربيع الأول /أبريل يونيو،1999. الرياض،المملكة العربية السعودية.

"3": إبن يعيش موفق الدين:نفسه، الجزء الثالث،ص:153.

لا يخلو كتاب شرح المفصل من إشارات قيمة لعلوم البلاغة من كناية و تشبيه و استعارة،و بخصوص الكناية نجده قد تَنَبَّهَ إلى جوهرها كما تنبه إلى الغاية من توظيفها في الكلام،مما ينم عن وعي عميق بآليات لغوية ذات أبعاد تداولية تخدم الإستراتيجيات الخطابية،فعبر توظيف المتكلم للكناية"1" يُحِسُّ المخاطب بحاجة ملحة إلى بلوغ المعنى المقصود الثاوي خلف المعنى المجازي،مما يمنح الكناية قيمة إبلاغية تأثيرية، إنها أبلغ من التصريح،تكسو الألفاظ جمالا و تمنح المعاني ديباجة،كما يقوم مبنى الكناية على الإيجاز إذ تعد من أنواع إيجاز القصر.يعرف ابن يعيش الكناية بقوله:(**فالكناية إقامة اسم مقام اسم تورية و إيجازا.**)"2 " المعنى ذاته يحضر لدى الجرجاني إذ يقول في تعريف الكناية"3":(المراد بالكناية هاهنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة،و لكن يجيء إلى معنى هو تاليه و ردفه في الوجود،فيومئ به إليه و يجعله دليلا عليه،مثال ذلك قوله:"هو طويل النجاد" يريدون طويل القامة و "كثير رماد القدر" يعنون كثير القرى ،و المرأة نؤوم الضحى" و المراد أنها مترفة مخدومة لها ما يكفيها أمرَها.فقد أرادوا في هذا كله كما ترى معنى لم يذكروه بلفظه الخاص به و لكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود...أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد،و إذا كثر القرى كثر رماد القدر،و إذا كانت المرأة المترفة لها ما يكفيها أمرها ردف ذلك أن تنام الضحى.)"4 " و يعرفها المبرد بقوله:(و الكلام يجري على ضروب،فمنه ما يكون في الأصل لنفسه و منه ما يكنى عنه بغيره و منه ما يقع مثلا فيكون أبلغ من الوصف.)"5 "

"1": الكناية عن الشيء لغة:ترك التصريح به،و في اصطلاح البلاغيين:لفظ أطلق و أُرِيد به لازمُ معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى.

"2":. إبن يعيش:نفسه،الجزء التاسع،177.

"3":قدم الجرجاني الكناية على الإستعارة و التمثيل نظرا لعدولها عن الظاهر إلى المعاني الثواني،فالأديب من وجهة نظره إذا وظف الكناية في إبداعاته:(بدت عليها محاسن تملأ الطرف،و دقائق تعجز الوصف،و رأيت هناك شعرا شاعرا،و سحرا ساحرا،و بلاغة لا يكمل لها إلا الشاعر المفلق و الخطيب المصقع."

"4":الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد:دلائل الإعجاز:قراءة و تعليق:أبو فهر محمود محمد شاكر،ص:66، الطبعة الثالثة،1992،مكتبة الخانجي للطباعة و النشر و التوزيع،القاهرة ،مصر.

"5":المبرد أبو العباس محمد بن يزيد:الكامل في اللغة و الأدب،تحقيق:عبد الحميد هنداوي، الجزء الأول،ص:186،،إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية و الأوقاف و الدعوة و الإرشاد،1998، المملكة العربية السعودية.

بالإضافة إلى هذا البعد الإستراتيجي التداولي لتوظيف الكناية"1" هناك بعد تداولي آخر للكناية و هو الذي حدده ابن يعيش في الوجه الثاني للكناية غايته الإرتقاء بالتعبير عن القول الفاحش و المبتذل،احتراما للمخاطب و للكلام في حد ذاته،بوصفه معبرا عن شخصية المتكلم البليغ فكريا و أخلاقيا.

لتأكيد هذا التصور البلاغي أدرج ابن يعيش قول الله عز وجل في سورة المائدة الآية 75:(كَانَ يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ)كنى بذلك عن قضاء الحاجة،لأن كل من يأكل الطعام يحتاج إلى قضاء الحاجة،و بذلك أعطى التعبير بُعْدا مجازيا ارتقاءً باللفظ الفاحش إلى ما يدل على معناه من غيره مما يدل دلالة قاطعة على اهتمام و عناية الخطاب القرآني بمقامات التلفظ و طبيعة المخاطب،يقول ابن يعيش:(**الكناية :التورية عن الشيء** بأن يُعَبَّرَ عنه بغير اسمه **لضرب من الإستحسان**،نحو قوله تعالى:(وَ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ.)،كَنَّى به عن قضاء الحاجة،إذ كان أكلُ الطعامِ سببا لذلك،و قوله تعالى في جوابِ قولِ قومِ هودٍ صلواتُ الله عليه لهودٍ:(إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَ إِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكَاذِبِينَ،قَالَ يَا قَوْمُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَ لَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ.)،فكَنَّى عن تكذيبهم و أحسنَ، و من ذلك الكنايات عن الطلاق،و هو التعبير عنه بألفاظ غيرِ ظاهرة فيه،و هو مأخوذ من كنَيْتُ عن الشيء إذا عبرت عنه بغير الذي له،و منه الكنية لأنها تورية عن الاسم.)"2 "

"1": جعل المبرد الكناية على ثلاثة أوجه:

- الوجه الأول:وطيد الصلة بالتعمية و التغطية.
- الوجه الثاني:وطيد الصلة بمجانبة اللفظ الخسيس إلى ما يدل على معناه من غيره.
- الوجه الثالث:له صلة بالتفخيم و التعظيم.

في الوجه الثالث من أوجه الكناية يقول المبرد:(و منه اشتقت الكنية و هو أن يعظم الرجل أن يدعى باسمه و وقعت في الكلام على ضربين وقعت في الصبي على جهة التفاؤل بان يكون له ولد و يدعى بولده كناية عن اسمه،و في الكبير أن ينادى باسم ولده صيانة لاسمه و انما يقال كني عن كذا بكذا لبعض ما ذكرنا.)

"2":إبن يعيش موفق الدين:شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الرابع،ص:202،سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا

تعد الكناية من أهم الإستراتيجات غير المباشرة التي توظف في الخطاب،لأن المحتوى الفكري و الأخلاقي الذي تعكسه الكناية ، يمكن أن يؤسس لرؤية تماثلية حاصلة **بين أسلوب الكناية و مبدأ التأدب**: Principe de politesse بوصفه مبدأ تداوليا أخلاقيا أقرته **روبين لاكوف** في مقالتها"منطق التأدب"إذ دعت إلى ضرورة إدراج بعض القواعد التداولية في التعامل مع شتى الخطابات بغية التوسيع من مجال المبادئ الكلية،رافضة بذلك كل المقاربات التقليدية التي انصب اهتمامها على دراسة المعنى في المستوى التركيبي الصرف في منأى عن السياق التداولي الذي أُنْجِزَ فيه،تحقيقا لهذا الغرض صاغت لاكوف قاعدتين سمتهما:قواعد الكفاءة التداولية:

- كن واضحا.
- كن مؤدبا.

إن القاعدة الثانية:كن مؤدبا، تماثل الوجه الثاني من أوجه توظيف الكناية لدى ابن يعيش،فنجاح العملية التخاطبية رهين بالتزام طرفي الخطاب من متكلم و مخاطب بعدة مبادئ معنوية،لعل أهمها:الإلتزام بمعايير أخلاقية تهذيبية.إن توظيف الكناية لدواعٍ تهذيبية من مصوغات الإستراتيجية غير المباشرة،إذ يتم تجاوز الكفاءة اللغوية الصرفة إلى التعبير عن معانٍ ذات أبعاد تداولية مقامية،من أهمها:

- إمتلاك مهارة العمليات الذهنية في الكفاءة التداولية قصد إنتاج الخطاب وفق السياق التداولي،عبر وصل اللفظ بقصد المتكلم بتوظيف آلية من آليات التلميح مثل الكناية حيث تتمركز الكفاءة في منطقة التجريد في ذهن الإنسان.
- إدراك المعطيات و المعلومات المشتركة لأن عملية الإنتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المستلزم تتم عبر استدلالات غير لغوية ذات صلة بالخلفية الثقافية و الإجتماعية."2"

""2":الشهري عبد الهادي بن ظافر:استراتيجيات الخطاب:مقاربة لغوية تداولية.ص:378-379.الطبعة الأولى ،2004 ،دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا.

تجدر الإشارة إلى أن هاتين القاعدتين لا تلغيان **مبدأ التعاون** الذي سَنَّهُ جرايس و كذا القواعد المتفرعة عنه،بل هو كفيل بترسيخ مبدأ الوضوح.كما يؤكد ليتش و سيرل على ظاهرة التأدب التي جعلها موفق الدين بن يعيش من أهم أوجه توظيف الكناية،و يعتبرها ليتش شرطا أساسيا لإنتاج الخطاب الناجح تداوليا في خضم ما يعرف بالإِستراتيجيات التلميحية،أما سورل فيعتبرها من أهم دواعي انتقاء المتكلم للإِستراتيجية التلميحية خاصة في أساليب الطلب،كما يمكن عَدُّ الكناية وفق تصور ابن يعيش من الأفعال الكلامية غير المباشرة بحكم عدم مطابقة دلالتها الحرفية للمعنى الإنجازي المستلزم،مما يعني أن الفعل الكلامي ليس مجرد نطق بألفاظ معينة ،بل هناك قواعد تحكم التفاعل الكلامي تتجاوز القواعد اللغوية أو لنقل هو إرادة المتكلم **للتوجه** إلى المتلقي من أجل **حمله على إنجاز معين**،انطلاقا مما تمليه العلاقة التخاطبية التي لا تبقى في حدود القول،بل ترتهن بقواعد التبليغ انطلاقا مما يقتضيه السياق.هذا التصور التداولي القائم على **التعاون** بين طرفي الخطاب لإنجاح عملية التخاطب هو ما اسماه غرايس بمبدإ التعاون و هو مبدأ تداولي أقره في كتابه :"محاضرات في التخاطب" و في مقالته الشهيرة:"المنطق و التخاطب".[1]

و صيغة هذا المبدأ هي:

(ليكن انتهاضك للتخاطب على الوجه الذي يقتضيه الغرض منه.) يستوجب هذا المبدأ ضرورة تعاون المتكلم و المخاطب على تحقيق الهدف من الكلام،كما يفترض غرايس أن المتخاطبين المشاركين في المحادثة يحترمون **مبدأ التعاون**،إذ على المشاركين المساهمة في المحادثة بطريقة عقلانية و متعاونة تيسيرا لتأويل الأقوال،و لا يجب النظر لهذه القواعد المحادثية على أنها مجرد معايير يتوجب على المتخاطبين اتباعها فحسب ،بل إنها تمثل ما ينتظرونه من مخاطبيهم ،إذ هي مبادئ تأويل أكثر من كونها قواعد معيارية أو قواعد سلوك.وفق هذا المبدأ يحاول المتكلم جعل تدخله مطابقا لما يقتضيه الغرض من الحوار الذي يسهم فيه في المرحلة التي يتدخل فيها."[2]

"1": الشهري عبد الهادي بن ظافر:استراتيجيات الخطاب:مقاربة لغوية تداولية،ص:100.الطبعة الأولى ،2004 ،دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا.

"2": محمود أحمد نخلة: نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية:مجلة الدراسات اللغوية، مركز الفيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية، المجلد الأول، العدد الأول، محرم ربيع الأول /أبريل يونيو،1999. الرياض،المملكة العربية السعودية.

إن المتخاطبين في أي تفاعل كلامي إنما يتقاسمان هدفا مشتركا و هو خلق الفاعلية التواصلية و التي تستدعي عدم البقاء في حدود البناء اللغوي الصرف،بل تقوم أيضا على النظر في إنجازية الفعل الكلامي.إن المعنى الذي ركز عليه ابن يعيش هو المعنى السياقي المتولد من تعالق المفردات بعضها ببعض و هو المعنى الذي عبر عنه فنجشتاين **بالمحصَّل** انطلاقا من القاعدة التداولية المعروفة في الإستخدام اللغوي و المسماة:المعنى هو الإستعمال:Meaning is use، إن هذا القول يمكن أن يحمل على مبدأ التعاون الذي أقره غرايس و الذي يفترض وجود متكلم و مخاطب و عناصر أخرى قد تكون استدلالية تسهم في إنجاح عملية التخاطب،فاللغة ليست مجرد رموز و أشكال تصف الواقع بل هي منوطة بتغيير الواقع وفق ما تقتضيه القوى الإنجازية المقصودة.

يذهب غرايس إلى أن للكلام دلالات غير ملفوظة يدركها المتحدث و السامع دون علامة معلنة أو واضحة،إن حقيقة الكلام لا تقوم في مجرد النطق بألفاظ مرتبة على مقتضى مدلولات محددة،لأن النطق قد يقع عرضا كما في حال النوم ،و الترتيب قد يأتي صدفة كما في حال اللعب،و الدلالةُ قد تنتزع عنوة كما في حال فلتة اللسان،و إنما حقيقته كامنة في كونه ينبني على قصدين اثنين:أحدهما يتعلق ب"**التوجه للغير**" و الثاني يتطلب"**إفهام هذا للغير**."[1] و حين يقول ابن يعيش:(إن الغرض بالنداء التصويت بالمنادِي ليقبل،و الغرض من حروف النداء امتداد الصوت و **تنبيه المدعو**،فإن كان المنادى **متراخيا** عن المنادي أو **مُعرِضا عنه لا يُقْبِل** إلا بعد **اجتهاد أو نائما** قد استثقل في نومه استعملوا فيه جميع حروف المنادى ماعدا الهمزة.)[2]فالغرض من النداء جلب المخاطب إلى دائرة التخاطب،فلا يرفع المتكلم صوته إلا رغبة في إيصال المعلومة المقصودة إلى المخاطب،و بذلك غدا الحضور الجسدي و الذهني للمخاطب ضروريا في كل تواصل ناجع و فعال،إنه يُقِرُّ بضرورة **التواجه أو مقابلة العين للعين**،مشيرا بشكل ضمني إلى مبدإ أساس في التواصل و التخاطب الفعّال و هو **مبدأ التواجه** الذي أقره كل من:**براون و ليفنسون** اللذين وظفاه في عملهما التداولي" **الكليات في الإستعمال اللغوي:ظاهرة التأدب"**،إذ كانا يطمحان إلى صياغة بعض

"1": المتوكل أحمد:اللسانيات الوظيفية مدخل نظري:27-28 الطبعة الثانية،شتنبر2010،دار الكتاب الجديد المتحدة ،بيروت،لبنان.

"2":إبن يعيش موفق الدين:شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الثاني،ص:32،سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

القواعد الكلية لضبط ظاهرة التأدب بين المتكلم و المخاطب،و يعتبر التأدب في الخطاب في جوهره كفاءة تمكن صاحبها من القدرة على التفاعل الفعَّال مع مختلف المواقف بإنتاج الخطاب الذي من شأنه أن يضمن هذا التفاعل.

و يُعَدُّ هذا المبدأُ المبدأَ التداولي الثالث الذي ينضبط به التخاطب،و المقصود به:**مقابلة الوجه للوجه**. يصاغ هذا المبدأ

كما يلي:

- **لتصن وجه غيرك**.

و يقوم هذا المبدأ على مفهومين أساسيين هما:

أ.قيمة الوجه الاِجتماعية.

ب.نسبة تهديد الوجه.

أ.**قيمة الوجه الاجتماعية**: يتوجب على المتكلم صيانة وجه غيره ،لأن في صيانتهِ لوجهِ غيره صيانةٌ لوجهه، و هذا دليل على الاِحترام والتعاون بينهما،و يقترح (**براون و ليفنسون**) هذا المبدأ لأن الوجه يمثل رغبات الإنسان الأساس. و يقسمانه إلى قسمين مهمين هما :

- **الوجه الدافع** :و المقصود به رغبة الإنسان في ألا يعترض أحدٌ أفعالَه.
- **الوجه الجالب**: و المقصود به رغبة الإنسان في أن تُحْتَرَمَ إرادته.

ب.**نسبة تهديد الوجه**:يصل الباحثان بين الأفعال اللغوية و نسبة تهديدها للوجه."1 "

اِهتم رواد اللسانيات التداولية بالشروط غير اللغوية لإنتاج الخطاب من قبيل السياق و أحوال المتكلمين و مقاصدهم ناهيك عن كفاءة المتكلمين في إدراك الخطاب و استيعابه و تفسيره و تحليله.إن التداولية وثيقة الصلة بالسياق و الشروط اللازمة كي تكون الأقوال مقبولة و ناجحة و مؤثرة و مناسبة،لأجل ذلك تأخذ بعين الاِعتبار دراسة المعنى في علاقته بظروف الإنجاز الكلامي و هو طبعا المعنى السياقي الخاص بالمركبات لا المعنى اللفظي الخاص بالكلمات و الألفاظ،و هو ما تنبه له ابن يعيش إذ يولي اهتماما كبيرا للإنجاز الكلامي،إدراكا

"1": الشهري عبد الهادي بن ظافر:استراتيجيات الخطاب:مقاربة لغوية تداولية.ص:104،الطبعة الأولى ،2004 ،دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا.

منه بضرورة التعاون و التفاعل الإيجابي بين طرفي الخطاب ،يقول:(و قد جيء ذلك مجيئا صالحا فحذفوا المبتدأ مرة و الخبر مرة أخرى،فمِمَّا حذف منه المبتدإ قول المستهل:الهلالَ و الله.)"1 " إن صحة هذه التراكيب أو عدمها رهين بمقصد المتكلم و ذكاء المخاطب و حضور عنصر الإبانة،و يضيف قائلا:(إعلم أن المبتدأ و الخبر جملة مفيدة تحصل الفائدة بمجموعهما،فالمبتدأ معتمد الفائدة،فلابد منهما،إلا أنه **قد توجد قرينة لفظية أو حالية تُغْنِي عن النطق بأحدهما،فيحذف لدلالتها عليه لأن الألفاظ إنما جيء بها للدلالة على المعنى،فإذا فهم المعنى بدون اللفظ** جاز أن لا تأتي.)"2 " وظف ابن يعيش فعلا كلاميا إجرائيا:"**إعلم**" هذا الفعل ينطوي على استراتيجية توجيهية لجلب المتلقي و شدِّ انتباهه حتى يدرك معنى الخطاب،و أول قاعدة تداولية:يمكن استخلاصها من هذا النص هي فكرة أو قاعدة التخاطب الموجِّهة للإنجاز الكلامي بحيث تجعله ناجحا و ذا فعالية،و هي قواعد ذات معايير تسهم في إنجاح عملية التواصل و تندرج ضمن مبدإ عام و هو الذي يسميه غرايس:مبدأ التعاون co-operative principle بين المتكلم و المخاطب و الذي قسمه إلى أربعة أقسام،كل قسم منه يندرج ضمن مقولة مخصوصة و هي: **الكم و الكيف و الإضافة (أو العلاقة) و الجهة** و هذه الأقسام الأربعة من قواعد التخاطب التي يجب على طرفي الخطاب احترامها هي:

- **قاعدتا كم الخبر** :
  - ✓ أن يسهم المتكلم بما هو ضروري فقط.
  - ✓ ألا تتعدى إفادتك القدر المطلوب"3".

- **قاعدتا كيف الخبر**:
  - ✓ يجب على المتكلم ألا يكذب.
  - ✓ لا تقل ما تعتقد أنه كاذب
  - ✓ لا تقل ما لا تَقْوَ على البرهنة على صدقه.

"1": إبن يعيش موفق الدين:شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله، الجزء الأول،ص:219،سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2":إبن يعيش،نفسه،الجزء الثاني،ص:219.

"3":موشلار جاك و آن روبول :التداولية اليوم :علم جديد في التواصل:ترجمة سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني،مراجعة:لطيف زيتوني،ص 56،المنظمة العربية للترجمة،الطبعة الأولى 2003،دار الطليعة للطباعة و النشر،بيروت،لبنان.و كذلك أُنظُر:المتوكل أحمد:آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي:ص:93.

- **قاعدة مناسبة الخبر لمقتضى الحال:**

✓ ليناسب مقالك مقامك و ذلك بأن تجعل تدخلك واردا.

قواعد جهة الخبر و هي:

✓ اِحذر الاِلتباس.

✓ اِحذر الإجمال.

✓ ليكن كلامك موجزا.

✓ ليكن كلامك مرتبا."1"

إن هذه القواعد التخاطبية تعد ضابطة لكل محادثة واضحة،لأن المعاني التي يتداولها المتكلم والمخاطَب هي معانٍ صريحة و حقيقية،غير أن المتخاطبين قد يخالفان بعض هذه القواعد مع احترام مبدإ التعاون،فينتقل المعنى في المحادثة من المستوى الحقيقي و الصريح إلى مستوى ضمني مستلزم..و بلغة غرايس تحصل ظاهرة استلزام جملة ما لمعنى مقامي غير معناه الحرفي،حين يتم خرق إحدى القواعد الأربع مع احترام مبدإ التعاون.إن ما يُحْدِثُهُ المتكلم في كلامه من خرقٍ لسنن اللغة،لا يتم لغاية جمالية بل لغرض حجاجي إقناعي و توجيه الملفوظ وجهة معينة،إذ ينتقل الكلام بواسطته من الطريقة الإبلاغية إلى الطريقة الحجاجية،هذا الأمر لا يتأتى بغير التوسل بمبدإ العدول في الكلام،و المقصود به القيام بعملية الاِنتقاء في استعمال البدائل اللغوية،نظرا لكون المقام يستدعي كلمة أكثر مما يستدعي غيرها،و يؤكد الكاتب عبد الله صولة على أن المتكلم حين يعمد في إنجازه الكلامي إلى مبدإ العدول ،فإنه بذلك يسعى إلى التأثير في المخاطب بكيفية حجاجية إقناعية ،و يعد العدول اللفظي جوهر الحجاج وفق ما يستوجبه السياق التداولي."2"

"1":موشلار جاك و آن روبول :التداولية اليوم :علم جديد في التواصل:ترجمة سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني،مراجعة:لطيف زيتوني،ص 56،المنظمة العربية للترجمة،الطبعة الأولى 2003،دار الطليعة للطباعة و النشر،بيروت،لبنان.و كذلك أُنظُر:المتوكل أحمد:آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي:ص:93.

"2":العدول في اللغة من عدل عن الشيء يعدل عَدْلا و عُدُولا بمعنى حَادَ و عدل إليه عُدُولا و ما له معدل و لا معدول أي مصرف...و العدل أن تعدل الشيء عن وجهه تقول:عَدَلْت فلانا عن طريقه و عَدَلَتِ الدابة إلى موضع كذا.و في الموروث اللغوي العربي وظف العدول بمصطلحات عديدة لعل أهمها:العدول و الاِنحراف و الاِنزياح و الخرق و الخروج عن سنن اللغة و المجاز و الاِلتفات.

"2": صولة عبد الله،الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية،ص:169،دار الفارابي،الطبعة الثانية،السنة:2007،بيروت،لبنان.

لتمرير مقولاته و آرائه النحوية،و إقناع المخاطب بضرورة الإبقاء على جسور التخاطب و التعاون قائمة بين طرفي الخطاب نهج ابن يعيش منهجا حجاجيا،كما عمل على ربط خطابه بشروط الإستدلال و مقتضياته موظفا العديد من المسالك المنطقية،و من أبرز مظاهر الحجاج لديه تدرج مراتب الإستدلال في مؤلفه بدءً ب:

- **القياس المنطقي**:يقول ابن يعيش:(فإن قيل:الزيادة في حال التصغير لا تدل على أن ذلك أصل فيها،فإنَّا لو سمَّينا بقَدْ أو هل و نحوهما مما هو على حرفين،ثم صغَّرْناه لزِدْنا فيه ما لم يكنْ له،فكذلك اسمُ الإشارة لما كان على حرفين و صغَّرْناه زِدْنا فيه زيادةً كمَّلَتْ له بناء التصغير.)"2 "

و يقول في موضع آخر:(**الفصل بين المضاف و المضاف إليه قبيح**،لأنهما كالشيء الواحد،فالمضاف إليه من تمام المضاف،يقوم مقام التنوين و يُعاقِبه،**فكما لا يحسن الفصل بين التنوين و المنون كذلك لا يحسن الفصل بين هما.**)"3 "

- **تنويع الاستراتيجيات الخطابية للتغلب على الخصم و تحصيل نتائج مستقرة و منتظمة**.من أهم هذه الإستراتيجيات نجد:

أ– إستقصاء الطرح و فحصه و تدقيقه:لحماية مسار الحجاج من عوامل القصور و النقص و تحقيقا لهذا المسعى يراعي سيبويه افتراضات الأخر درءً للاستدراك:(فإن قيل:أنتم تقولون:بابٌ و دارٌ،فَتُعِلُّونَ هذه الأسماء و إن كانت على وزن الفعل،و لا تبالون التباسها بالفعل.قيل:إنما أُعِلَّ بابٌ و دارٌ،و لم يصح للفرق بينه و بين الفعل،لأنه ثلاثي منصرف،و التنوين يدخله،ففرق بين التنوين و بين الفعل،و غيره من ذوات الأربعة بالزيادة في أوله إذا سُمِّيَ به يفارقُه التنوين لأنه يمتنع من الصرف،فيشبه الفعل،فصُحِّحَ للفرق،فبابٌ و دارٌ التنوين لازمٌ له معرفة و نكرة،و ليس كذلك"يَفْعَلُ" إذا سميت به رجلاً،فانك لو أعللتَهُ ثم

"2":ابن يعيش موفق الدين:شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الثالث،ص: 229،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"3":ابن يعيش،نفسه،الجزء الثالث،ص:37.

سمَّيْتَ به،و جعلته علما لزالَ التنوينُ و الجرُّ،فكان يشبه الفعلَ،بالإعلال و سقوط التنوين و الجر،فلذلك وجبَ تصحيحُ يَفْعَلُ اسما من"قام" و نحوه فاعرفه.)"1 "

ب – الحصار و التضييق:العمل على محاصرة الخصم و استغلال مواطن الضعف و القصور في حججه إرساء لأطروحة مضادة تروم تحويل نتائج الخصم إلى مقدمات له و تحقيقا لهذا المبتغى يعمد ابن يعيش إلى طرح تساؤلات مغلقة بغية إيقاع المخاطب في التناقض و تضييق الخناق عليه و إسقاط حجته:(لو قلتَ:جئْتُكَ إكرامَك الزائرَ أمسِ كان مُحالا لأن فِعلك لا يتضمن فعلَ غيرك.)"2 "

ج – مبدأ الدحض:المقصود به الإنطلاق من مقدمة مقبولة لدى الخصم و محاولة استغلالها لتقويض استدلاله و إسقاط حجته،يقول ابن يعيش:(و ذهب أبو العباس المبرد و أبو إسحاق الزجاج و طائفة من الكوفيين إلى أن الناصب للمستثنى"إلاَّ" نيابةً عن أسْتثني،فإذا قال:أتاني القومُ إلا زيدا،فكأنه قال:أتاني القومُ أسْتثني زيدا،و هو ضعيف لأنك تقولُ:أتاني القومُ غيرَ زيدٍ،فتنصبُ غيرا،و لا يجوز أن تقدِّرَ بأسْتثني"غيرَ زيدٍ" لأنه يُفْسد المعنى،و ليس قبل"غير" حرف تُقِيمه مقام الناصب،و لان فيه إعمال معنى الحرف،و إعمال معاني الحروف لا يجوز،ألا ترى انك لا تقول:ما زيدًا قائماً على معنى نَفَيْتُ زيداً قائماً،و إنما لم يجز ذلك لأنهم إنما أتوا بالحروف نائبات عن الأفعال إيجازا و اختصار،فإذا أخذتَ تُعملُ معاني هذه الحروف كان فيه تطلُّعٌ إلى الأفعال،و فيه نقض للغرض و تراجع عما اعتزموه،فلم يجز ذلك.)"3 "

- **حشد الحجج و الأدلة**،يقول ابن يعيش:

1. (و **الحجة لهما** في ذلك أن حرف العطف خَلَفٌ عن العامل و نائب عنه،و ما قام مَقامَ غيره فهو أضعفُ منه في سائر أبواب العربية،فلا يجوز أن يتسلط على عمل الإعراب بما لا يتسلَّطُ.)

"1":إبن يعيش موفق الدين : شرح المفصل: تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،: الجزء الثاني،ص: 169-170،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى، 2013، دمشق، سوريا.

"2":إبن يعيش،نفسه،الجزء السابع،ص:206.

"3":ابن يعيش،نفسه،الجزء الثاني،ص:187.

2. ما أُقيمَ مقامه،فإذا أُقِيم مقام الفعل لم يجزْ أن يتسلط على عمل الجرِّ،فلهذه **العلة** لم يجز العطف عندهما على عاملين،فلذلك حَملوه على حذف المضاف.)"[1]

3. (قد تقدم قولنا:إن حروف النداء لا تُجامِعُ ما فيه الألف و اللام،و إذا أُرِيدَ ذلك تُوصِّلَ إليه بأيّ و هذا،**و العلة** في ذلك أمران.)"[2]

4. (**و الذي يدل** على أنه غير منادى انه لا يجوز دخول حرف النداء عليه،لا تقول:أنا أفعل كذا يا أيُهذا الرجل،إذا عَنَيْتَ نفسك،و لا نحن نفعل كذا يا أيها القومُ إذا عنيتم أنفسكم لأنك لا تنبه غيرك.)"[3]

5. (**و الدليل** على أن المذكر أصل أمران:

- **أحدهما:**مجيئهم باسم مذكر يعمُّ المذكر و المؤنث،و هو شيء.
- **الثاني:**أن المؤنث يَفْتَقِر إلى علامة،و لو كان أصلا لم يفتقِر إلى علامة كالنكرة،لما كانت أصلا لم تفتقر إلى علامة،و المعرفة لما كانت فرعا افتقرت إلى علامة،و لذلك إذا انضم إلى التأنيث العلميةُ لم ينصرف،نحو زينبَ و طلحةَ،و إذا انضم إلى النكرة انصرف،نحو جفنةَ و قصعةَ،فإذا صار المذكر عبارة عما خلا من علامات التأنيث، و المؤنث ما كانت فيه علامة من العلامات المذكورة.)"[4]

اِنطلاقا من الأمثلة المعروضة نخلص إلى أن هذه النصوص لا تعبر عن معنى الفهم و الإفهام،فحسب بل إنها تأخذ **منحى إقناعيا**،ذلك أن ابن يعيش يفترض وجود متحاور يوجه إليه خطابه، ابن يعيش:(يقال:ناقلته الكلام إذا حدَّثْتَه و حدَّثَكَ،و"المحاورة":المجاوبة و هو مداولة الجواب و مراجعته.)"[5]و تعد الحوارية مكونا

"1":ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الثالث،ص:47،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى،2013،دمشق،سوريا.

"2": ابن يعيش،نفسه،الجزء الثاني،ص:20.

"3": ابن يعيش،نفسه،الجزء الثاني،ص:43.

"4":اِبن يعيش:نفسه،الجزء الخامس،ص:157.

"5":ابن يعيش موفق الدين :نفسه،الجزء الأول،ص:21.

مركزيا في كل خطاب ،إذ يتم توزيعه إلى لحظتين أساسيتين فكل تلفظ يوضع في مجتمع محدد لابد أن ينتج بشكل ثنائي بين المتلفظين الذين يتمرسون على ثنائية الإصاتة و ثنائية العرض على حد تعبير فرانسيس جاك ،إذ يقول:(فعندما يطالب المحاور غيره بمشاركته اعتقاداته،فإن مطالبته لا تكتسي صبغة الإكراه،و لا تَدْرُجُ على منهج القمع،و إنما تتبع في تحصيل غرضها سبلا استدلالية متنوعة تجر الغير جرا إلى الإقتناع برأي المحاور...)"1 "و في السياق نفسه يقول ابن يعيش:("المناظرة" مُفاعلة من النظر لأن كل واحد ينظر و يفكر فيما يَفْلِجُ به على صاحبه. و قيل:هو من النظير لأن كل واحد منهما نَظيرُ صاحبِه في النظر.)"2 "

هذا البعد الحجاجي للخطاب يحضر لدى أغلب علماء العربية بلاغيين و لغويين و على رأسهم الجاحظ الذي يؤكد على أن **بلاغة الكلام** تكمن في:(إصابة المعنى و **القصد إلى الحجة** دون فضل أو تقصير،أي دون تطويل أو إيجاز...) "3"فالكلام البليغ هو الذي تستخدم فيه من الألفاظ القدر الضروري لإبلاغ المعنى إلى السامع و تحقيق الفهم و الإقناع لدى المخاطبين:(فإن كان عندك برهان واضح و دليل بين يكشف لنا عن الحال،فعلينا السمع و اليقين و الإقرار،و عليك البيان و الإفهام بالدليل و الحرص.)"4 "لابد إذن من الوعي بالحجة و البصر بها،كي يتحقق الفهم و الإقناع،و الإقناع من منظور اللسانيات التداولية هو حمل الإنسان على اعتقاد رأي للعمل به،إنه حالة عقلية مرتبطة بفعل الخطاب و يؤكد توماس شايدل أن الإقناع ليس مجرد عملية يقوم بها المتكلم لتغيير اعتقاد المخاطب أو تغيير سلوكه من دون وعي منه،بل إنها محاولة واعية للتأثير في السلوك،معنى ذلك أن عملية الإقناع عبارة عن نشاط لغوي لساني مشبع بأنشطة فكرية غايتها تغيير السلوك لدى الأفراد و الجماعات"5"يتحقق الإقناع بخطاب قائم على الحجة و المنطق،كما يستوجب دراية عالية بنفسية المخاطب مع مقابلة الحجة بالحجة.(إن دراسة الحجاج انطلاقا من تطور الدراسات اللسانية و التداولية،يُدخلنا حتما في سياق الحوار الناجح،و مقولة التراضي و التوافق الإجتماعي.

"1": أرمينكو فرنسواز:المقاربة التداولية:ترجمة علوش سعيد:ص:63 ،مكتبة الأسد،مركز الإنماء القومي،بيروت،لبنان

"2":إبن يعيش:شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،الجزء الأول،ص:24،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى،2013،دمشق،سوريا.

"3": الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر:البيان و التبيين:تحقيق:عبد السلام هارون:الجزء الأول، 212 ،الطبعة السابعة،1998 ،سلسلة مكتبة الجاحظ،مكتبة الخانجي،القاهرة،مصر.

"4":الجاحظ،نفسه،الجزء الأول،ص:214.

"5":إبن يعيش موفق الدين :نفسهنالجزء الثاني،ص:43.

إن المتكلم حين يدخل في الحجاج يبدأ عملية التهيؤ،فيتخيل وجود مستمع مخاطب،ليس فقط قادرا على المتابعة و الإجابة على ما يطرحه المتكلم ،و لكنه قادر على تجريب ذلك و تمحيصه و تقييمه في شكله الحجاجي.)"1 "كما يصل أوستين الإقناعَ بالحجاج"2"و يعتبرها وجهان لعملة واحدة و أنهما لا يختلفان إلا في درجة التوكيد:Emphasis معرفا الحجاج Argumentation بأنه إقناع موجه للشخص الذي نسعى إلى إقناعه،كما أنه إجراء يهدف إلى حمل المخاطب على تبني موقف معين ،و لا يكون الحجاج ناجحا إلا إذا حقق المتكلم قصده و المتمثل في الإقناع و التأثير في المخاطب.

"1": طه عبد الرحمن:اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي:ص 260،الطبعة الثالثة،2012،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب.

"2": يعرف ابن منظور الحجاج بقوله:(حاجَجْتُهُ أحاجه حجاجا و محاجّة حتى حججته أي:غلبته بالحجج التي أدليتُ بها...و رجل محْجَاج أي جدل.)

مفاد القول :

عموما لقد رسم ابن يعيش معالم الجملة و حدد خصائصها في سياق التخاطب و عدها فعلا كلاميا يُنجَز وفق مقامات تواصلية معينة،إنها محل الإفادة الإبلاغية المنعقدة بين المتكلم و السامع،مؤمنا بمسلمة مفادها أنه من أسمى غايات و مرامي الدراسة النحوية إفادة المخاطب معنى الخطاب:تحقيقا لهذا المبتغى التواصلي نجده يربط غير ما مرة بين الملفوظ و مقتضاه ،أو بالأحرى يربط بين الكلام و القصد منه بناء على الموقف التداولي الذي ورد فيه،كما أن ابن يعيش و باقي علماء العربية نحاة و بلاغيين،أدركوا أثر المقام و ملابساته في بيان المعنى ،و مما يؤكد هذا المنحى التداولي لديهم اهتمامهم بدراسة الأساليب و مدى خروجها عن مقتضى الظاهر إلى معانٍ ضمنية وفق ما يقتضيه السياق، و يمكن اعتبار اللسانيات التداولية من أهم العلوم المكتملة في التراث اللغوي العربي القديم.

خاتمة:

لقد كانت دراسة ابن يعيش للغة قائمة على أسس استعمالية تنطلق من تداولية الظاهرة اللغوية،لأن دراسة التراكيب اللغوية بمعزل عن سياقها التداولي لا يحقق أهداف التخاطب و لا يميز الإستعمالات اللغوية المتنوعة عن بعضها البعض،إذ اللغة واقعة ثقافية و اجتماعية تُحَدَّدُ أبنيتها وفق علاقات و أنظمة داخلية ،تتأثر بما يكتنفها من مؤثرات خارجية ثم على أساس أنها وسيلة للتواصل و التخاطب،مما أدى إلى فسح مجالات الدرس اللغوي العربي القديم و إخراجه من المجال الضيق ذي الصلة بالكلمة أو الجملة إلى مجال أرحب هو مجال الخطاب،كما أن كثيرا مما انتبه إليه اللغويون العرب القدامى،يكاد يتطابق مع عدد من مقولات النظريات اللسانية عامة و التداولية خاصة،و يعد ابن يعيش من اللغويين الذين تراءت لنا في أعمالهم بعض خصائص الفكر اللغوي الحديث،مما يؤكد تواصل التفكير اللغوي عبر الأجيال و استمرار البحث في اللغة بوصفها نظاما لسانيا وثيق الصلة بمستعمليه يتحقق بشكل فعلي في الكلام الذي يعبر به الناس عن أفكارهم و أغراضهم و مقاصدهم.

لقد أدرك ابن يعيش و باقي اللغويين العرب القدامى أثر المقام و ملابساته في بيان المعنى و وضوحه،و مما يؤكد ذلك عنايتهم بدراسة الأساليب و مدى خروجها عن مقتضى الظاهر إلى معانٍ ضمنية وفق ما يستوجبه السياق، و يمكن اعتبار اللسانيات التداولية من أهم العلوم المكتملة في التراث اللغوي العربي القديم ،إذ كانت لعلمائنا القدامى نظرة مُمَيَّزَة للمعنى من أهم خصائصها الإحاطة و الشمولية،كما تميزت دراسة ابن يعيش للغة بمجموعة من الملامح التي تعد من أهم مبادئ اللسانيات التداولية.و من أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

- يتم التخاطب قصد تحقيق إفادة ما.
- يضفي المتخاطبون على الكلام دلالات أخرى ضمنية غير ظاهرة تفهم من سياق الكلام.
- اِنطلق من مبدإ عام يعد أساس كل تخاطب فعال و ناجح و هو :لكل مقام مقال،كما يتم الربط بين المقام و المقال و بين الخصائص الصورية للجمل و خصائصها التداولية،فلم يكن الوصف اللغوي لديه منصبا على دراسة الجملة مجردة من مقامات إنجازها،بل كان ينظر للنص بوصفه خطابا متكاملا(القرآن الكريم).

- تراوح التحليل النحوي لدى ابن يعيش بين اتجاهين اتجاه يجسد آراء اللغويين السابقين و اتجاه يجسد آراءَه و مواقفَه النحوية الخاصة،مما يقوم دليلا على امتلاكه لمنهجية متميزة و متفردة في مجال التحليل النحوي بعيدا عن كل أشكال التقليد و الإِجترار لسابقيه من الشراح و اللغويين.
- أولى عناية فائقة لدراسة الخطاب و لآليات الإقناع،فدرس نص الخطاب و ما يرتبط بالمتكلم و طريقة إنجازه الكلامي،كما درس ما يتصل بالمخاطب و طريقة بلوغه قصد المتكلم،كما بحث في مدى مطابقة الكلام لمقتضى الظاهر أو مخالفته إلى غير ذلك من المسائل التي يمكن عدها امتدادا لمبادئ للتفكير اللساني التداولي لدى العرب القدامى.
- عناية ابن يعيش بمكونات الخطاب و بالمقام و ملابساته،تجعل من "شرح المفصل" مرتعا خصبا لإقامة لسانيات تداولية عربية تبحث في المعنى و تجعل من اللغة لحظة التخاطب أرضية للدراسة و التحليل.
- إن نظرة ابن يعيش للظواهر اللغوية لم تكن نظرة تقليدية معيارية صرفة،بل إنه كان يُصنف و يُقعد وفق الظروف الإنتاجية لكل خطاب على حدة و بمراعاة المقام التداولي لكل إنجاز لغوي.
- إن الحدث الكلامي من منظوره بغض النظر عن مقاصد منجزه و غاياته،ينبني على ثلاثة عناصر تعد أساسية كما تمثل الحد الأدنى للبيان اللغوي،و هي:المتكلم و المخاطب و الكلام،فكل تحليلاته اللغوية و مقاييسه اللغوية تنبني على مدى تفاعل و تلاحم هذه المكونات،و فضلا عن وظيفة الفهم و الإفهام ،تطرق ابن يعيش للوظيفة الإقناعية للخطاب و بتعبير آخر وظيفة الخطاب الإقناعي.
- إن أول ملامح البعد التداولي الإِستعمالي في شرح المفصل هو نزوع صاحبه إلى الإبانة و نفوره من الغموض و الإِلتباس مع النأي عن كل ما من شأنه إعاقة عملية الفهم و الإفهام و إن البعد التداولي كان العنصر الأكثر حضورا في شروحاته و تعليلاته،لابسا لبوس الإبانة تارة و ثياب الحجاج تارة أخرى .

- إن نظرة ابن يعيش للظواهر اللغوية لم تكن نظرة تقليدية معيارية صرفة،بل إنه كان يُصنف و يُقعد وفق الظروف الإنتاجية لكل خطاب على حدة و بمراعاة المقام التداولي لكل إنجاز لغوي لحظة التخاطب.

- عناية ابن يعيش بمكونات الخطاب و بالمقام و ملابساته،تجعل من كتاب"شرح المفصل" مرتعا خصبا لتشييد صرح لسانيات تداولية عربية تبحث في المعنى و تجعل من اللغة لحظة التخاطب و أرضية للدراسة و التحليل.
- إن دراسته للغة كانت قائمة على على مبدإ عام يعد أساس كل تخاطب فعال و ناجح و هو :لكل مقام مقال، كما لم يكن الوصف اللغوي لديه منصبا على دراسة الجملة معزولة عن مقامات إنجازها،بل كان ينظر للنص باعتباره خطابا متكاملا.
- كانت له دراية تامة بأهمية السياق و أثرِه الوظيفي في الكشفِ عن المعنى و إزالةِ اللبس،فما يحدد المعنى المقصود هو السياق التداولي الذي يفرض قيمة واحدة دون غيرها على الكلمة و يخلصها من كل الدلالات المادية المختزنة في الذاكرة و يمنحها قيمة حضورية.
- إن أول ملامح البعد التداولي الإستعمالي في شرح المفصل هو ميله إلى الإبانة و نفوره من الغموض مع النأي عن كل ما من شأنه إعاقة عملية الفهم و الإفهام،إذ الغاية من التخاطب تحقيقُ إفادةٍ ما.
- تتحقق الأبعاد التداولية في شرح المفصل انطلاقا من ربطه بين بنية الخطاب و أغراضه و ملابساته مع مراعاة مقاصد المتكلمين و أحوال المتخاطبين،مما يدل دلالة واضحة على أن ابن يعيش كان على وعي تام بطبيعة و خصوصية الإنجاز الكلامي لحظة التلفظ بالخطاب.
- عُرِف ابن يعيش بدقة التمحيص في الآراء و استقصائها،ناهيك عن الدقة في التعبير مع مراعاة النهج الدقيق في التعبير عن المعنى المقصود،عُدَّتُهُ في ذلك اعتمادُ القياس و انتهاجُ الإحتجاج بكلام العرب.

- إن الحدث الكلامي من منظوره بغض النظر عن مقاصد منجزه و غاياته،يتأسس على ثلاثة عناصر تعد أساسية كما تمثل الحد الأدنى للبيان اللغوي،و هي:المتكلم و المخاطب و الكلام،فجميع تحليلاته مقاييسه اللغوية تنبني على مدى اتساق و تفاعل هذه العناصر،ناهيك عن تطرقه للوظيفة الإقناعية للخطاب و آليات تحققها.

- أولى ابن يعيش قضية المعنى عناية كبيرة، فالألفاظ أدلة على المعاني و قوالب لها على حد تعبيره،لقد أيقن أن معنى الكلمة لا يتحدد بغير استعمالها في سياق معين و محدد.
- من شروط نجاح العملية التخاطبية أيضا وفق تصور ابن يعيش حرص المتكلم على انتقاء العبارات اللغوية المؤدية للمعنى المقصود من الكلام،درءً لكل أنواع اللبس و التوهم،و مادام المخاطب محط اهتمام المتكلم و أحد أعمدة الحدث الكلامي،فلابد من مراعاة كل الظروف الإنجازية لهذا الحدث الكلامي،فقد تتوافر جميع شروط العملية التخاطبية غير أن العبارات الموظفة في الكلام يشوبها الغموض و الإحتمالات المتعددة نظرا لحمولاتها الدلالية المتنوعة،الأمر الذي يحتم على المتكلم حسن انتقاء العبارات المسْعِفة و المؤدية للقصد التواصلي.
- الإفادة وفق تصور ابن يعيش قرينة تداولية أساسية في تحقيق إنجازية الخطاب،إذ يؤمن بأن قصد المتكلم لا يمكن إدراكه دون قرائن نصية تركيبية في الكلام،و يعد هذا الأمر عنصرا مهما في اللسانيات التداولية،فلا يتحقق القصد بغير اللغة التي هي مجال كشف المقاصد عبر توظيف آليات الحذف و الذكر و التعريف و التقديم و التأخير...و هي خواص تركيبية ينتقي منها المتكلم ما يتواءم و قصدَه التداولي.
- إن دراسة ابن يعيش لظاهرة الإستلزام الحواري شملت جميع مستويات اللغة،جاعلا من مبدإ الإستعمال و السياق أرضيةً أساسية لتحديد الدلالات المستفادة من الخروج عن أصل الإستعمال الى معان أخرى تُسْتَفَادُ من السياق التداولي.

بيبليوغرافيا:

- القرآن الكريم

-اِبن الأثير ضياء الدين:المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر:تحقيق:أحمد الحوفي و بدوي طبانة،دار نهضة مصر للطبع و النشر،القاهرة،مصر.

-أدراوي العياشي:الإِستلزام الحواري في التداول اللساني:من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها،الطبعة الأولى،2011،دار الأمان،منشورات الإِختلاف،الرباط،المغرب.

- إدريس جبري:مجلة البلاغة و تحليل الخطاب:العدد الخامس،2014،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،المغرب.

-أرمينكو فرنسواز:المقاربة التداولية:ترجمة علوش سعيد:مكتبة الأسد،مركز الإنماء القومي،بيروت،لبنان.

- الأندلسي أحمد بن محمد بن عبد ربه:العقد الفريد:تحقيق مفيد محمد قميحة،دار الكتب العلمية،الطبعة الأولى 1983،بيروت،لبنان.

-بنكراد سعيد:السيميائيات:مفاهيمها و تطبيقاتها:،الطبعة الأولى،2015،دار الأمان،الرباط،المغرب.

-بوحافة أحمد:معجم النفائس الوسيط:الطبعة الأولى،2007،دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت،لبنان.

-بوقرة نعمان:

- لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس و الإجراء:دار الكتب العلمية،الطبعة الأولى،2012،بيروت،لبنان.
- المدارس اللسانية المعاصرة: مكتبة الآداب،القاهرة،مصر.

-تمام حسان:

- الخلاصة النحوية، طبعة 2000،عالم الكتب،القاهرة،مصر.
- اللغة العربية معناها و مبناها،طبعة 1994،دار الثقافة،الدار البيضاء،المغرب.
- مقالات في اللغة و الأدب،طبعة ،2006،عالم الكتب،القاهرة،مصر.

-الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر:البيان و التبيين:تحقيق:عبد السلام هارون،الطبعة السابعة،1998 ،سلسلة مكتبة الجاحظ،مكتبة الخانجي،القاهرة،مصر.

-الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد:دلائل الإعجاز:قراءة و تعليق:أبو فهر محمود محمد شاكر،الطبعة الثالثة،1992،مكتبة الخانجي للطباعة و النشر و التوزيع،القاهرة ،مصر.

-جوزيف فندريس:اللغة:ترجمة عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص،سلسلة ميراث الترجمة،الطبعة:2014،القاهرة،مصر.

-أبو جادي خليفة:اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم،الطبعة الأولى،2009،بيت الحكمة للنشر و التوزيع،سطيف،الجزائر.

-اِبن جني أبو الفتح عثمان:الخصائص:تحقيق:محمد علي النجار،دار الكتب المصرية،القاهرة،مصر.

-حركات مصطفى:الصوتيات و الفونولوجيا،المكتبة العصرية،الطبعة الأولى،1998،بيروت،لبنان.

-حمادي صمو:التفكير البلاغي عند العرب:أسسه و تطوره إلى القرن السادس(مشروع قراءة)،منشورات الجامعة التونسية،1981،تونس.

-حمد يوسف الرومي،مجلة عالم الفكر:المجلد العشرون،العدد الثالث،أكتوبر،1989.الكويت.

-حمود عكاشة:النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)-دراسة المفاهيم و النشأة و المبادئ،،مكتبة الآداب،القاهرة ،مصر.

- حميدة مصطفى:نظام الاِرتباط و الربط في تركيب الجملة العربية،الطبعة الأولى،1997،مكتبة لبنان،الشركة المصرية العالمية للنشر،بيروت،لبنان.

-خالد بن عبد الكريم بسندي:المجلة الأردنية في اللغة العربة و آدابها:المجلد الثامن،العدد الثاني،جمادى الأولى 1433/نيسان 2012،جامعة مؤتة،الكرك،الأردن.

-ختام جواد:التداولية أصولها و اتجاهاتها:الطبعة الأولى،2016،كنوز المعرفة للنشر و التوزيع،عمان،الأردن.

-دلال وشن:الإفادات و المقاصد التبليغية في الجملة العربية:أبحاث لسانية،مجلة معهد الدراسات و الأبحاث للتعريب عدد 2012/30،الرباط،المغرب.

-الراجحي شرف الدين علي:منهج ابن يعيش في شرحه على كتاب المفصل في النحو للزمخشري:طبعة:2003،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،مصر.

-الرقبي رضوان:من البلاغة إلى التداولية:دراسة تحليلية في البنية و التصور،طبعة 2018،عالم الكتب الحديث،إربد،الأردن.

-الزمخشري جار الله:أساس البلاغة:الطبعة الأولى،1998،تحقيق:محمد باسل عيون السود،منشورات دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان.

-سامي الماضي:الدلالة النحوية في كتاب المقتضب للمبرد،الطبعة الثانية،2013،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،مصر.

-السكاكي أبو يعقوب:مفتاح العلوم:تحقيق:نعيم زرزور،دار الكتب العلمية،الطبعة الأولى،1983،بيروت،لبنان.

- السويح خالد:أسس الإخبار في الكلام:بحث في روافد إنتاج الفائدة:الطبعة الأولى،2015،دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع،عمان.

- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر:الكتاب،تحقيق و شرح:عبد السلام هارون،الطبعة الثالثة،1988،مكتبة الخانجي،القاهرة،مصر.

- السيدي محمد:

- إشكال المعنى من الإستعارة إلى الإستلزام الحواري،مجلة فكر و نقد،السنة الثالثة،العدد 25،يناير،2000،المغرب.
- محاضرة:الفصل الثالث:وحدة:التداوليات و فلسفة اللغة،ماستر اللغة و الأدب :مقاربات نظرية و منهجية:2013-2014،كلية الآداب و العلوم الإنسانية:محمد الخامس،الرباط،المغرب.

- الشهري عبد الهادي بن ظافر:استراتيجيات الخطاب:مقاربة لغوية تداولية،الطبعة الأولى،2004،دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا.

- صابر الحباشة:مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية:الطبعة الأولى،2011،دار صفحات للدراسات و النشر، دمشق،سوريا.

-صحراوي مسعود:التداولية عند العلماء العرب:دراسة تداولية لظاهرة"الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي:الطبعة الأولى،2005،دار الطليعة للطباعة و النشر،بيروت،لبنان.

- صلاح إسماعيل:النظرية القصدية في المعنى عند جرايس:حوليات الآداب و العلوم الإجتماعية،الحولية الخامسة و العشرون،الرسالة:230،يونيو،2005، القاهرة،مصر.

- صولة عبد الله:في نظرية الحجاج:دراسات و تطبيقات:الطبعة الأولى،2011،الشركة التونسية للنشر و تنمية فنون الرسم،تونس.

- طه عبد الرحمن :

- تجديد المنهج في تقويم التراث:الطبعة الثانية،2005، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب.
- في أصول الحوار و تجديد علم الكلام:الطبعة الخامسة،2014،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب.
- اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي:الطبعة الثالثة،2012،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب.

- العزاوي أبو بكر:اللغة و الحجاج،الطبعة الأولى،2006،العمدة في الطبع،الدار البيضاء،المغرب.

-العسكري أبو هلال:الصناعتين،الكتابة و الشعر:تحقيق:علي محمد البجاوي و أبو الفضل إبراهيم،منشورات المكتبة العصرية،1989،صيدا،لبنان.

-عشير عبد السلام:عندما نتواصل نغير:مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل و الحجاج،إفريقيا الشرق،2006،الدار البيضاء،المغرب.

- العمري محمد:في بلاغة الخطاب الإقناعي،الطبعة الثانية،2002،إفريقيا الشرق،الدار البيضاء،المغرب.

- فان دايك:

- علم النص،مدخل متداخل الإختصاصات،ترجمة:سعيد حسن البحيري،الطبعة:الأولى،دار القاهرة للكتاب،القاهرة،مصر.
- العلاماتية و علم النص:ترجمة منذر عياشي،الطبعة الأولى،2004،المركز الثقافي العربي،بيروت،لبنان.

- فراس فخري ميران: القرينة الصوتية و أثرها في توجيه المعنى عند ابن يعيش،العدد:18،كانون الأول،2014،مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية و الإنسانية،جامعة بابل،العراق.

-الفراهيدي الخليل بن أحمد:معجم العين:تحقيق:عبد الله درويش،الطبعة الأولى،دار الفكر العربي،القاهرة،مصر.

-فضل صلاح:بلاغة الخطاب و علم النص:سلسلة عالم المعرفة،يناير،1978،المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب،الكويت.

-الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب:القاموس المحيط:تحقيق محمد نعيم العرقسوسي،مؤسسة الرسالة،الطبعة الثامنة،2005،بيروت،لبنان.

-كوهن جان:بنية اللغة الشعرية:ترجمة:محمد الولي و محمد العمري،الطبعة الأولى،1986،دار توبقال للنشر،المغرب.

-ماريو باي:أسس علم اللغة:ترجمة و تعليق:أحمد مختار عمر،الطبعة الثامنة،1998،عالم الكتب.القاهرة مصر.
-المبرد أبو العباس محمد بن يزيد:المقتضب،تحقيق:محمد عبد الخالق عضيمة،الطبعة الثانية،لجنة إحياء التراث الإسلامي،القاهرة،مصر.
-اِبن منظور:لسان العرب:الطبعة الثالثة،1994،دار صادر،بيروت،لبنان.
-المتوكل أحمد:

- الوظيفة و البنية:مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية:الطبعة الأولى،منشورات عكاظ،1993،الرباط،المغرب.
- آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي:منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط،سلسلة بحوث و دراسات رقم 5،الطبعة الأولى،1993،دار الهلال العربية،الرباط،المغرب.
- اللسانيات الوظيفية مدخل نظري: الطبعة الثانية،شتنبر2010،دار الكتاب الجديد المتحدة ،بيروت،لبنان.
- المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي:الأصول و الإمتداد:دار الأمان،الطبعة الأولى،2006،الرباط،المغرب.

-محمد حماسة عبد اللطيف:بناء الجملة العربية،طبعة 2003،دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع،القاهرة،مصر.
-محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات:الطبعة الأولى،يونيو،2004،دار الكتب الوطنية،بنغازي،ليبيا.
-محمود أحمد نخلة:

- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:طبعة 2002، دار المعرفة الجامعية، مصر.
- نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية:مجلة الدراسات اللغوية، مركز الفيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية، الرياض المجلد الأول، العدد الأول، محرم ربيع الأول /أبريل يونيو1999.

- مختار أحمد عمر:

- دراسة الصوت اللغوي:عالم الكتب،1997،القاهرة،مصر.
- علم الدلالة :عالم الكتب،1993،القاهرة،مصر.
- معجم اللغة العربية المعاصرة،الطبعة الأولى،2008،عالم الكتب،القاهرة،مصر.

-معلوف فوزي:المنجد في اللغة و الأعلام:الطبعة الخامسة،1986،بيروت،لبنان.
-مقبول إدريس:
- في تداوليات القصد:مجلة جامعة النجاح للأبحاث(العلوم الإنسانية)،العدد الخامس،2014،مكناس،المغرب.
- الأسس الإبستملوجية و التداولية للنظر النحوي عند سيبويه:طبعة،2007،جدارا للكتاب العالمي،عمان،الأردن.
- البعد التداولي عند سيبويه:مجلة عالم الفكر، العدد الأول المجلد:33،يونيو –سبتمبر 2004،الكويت.

موشلار جاك و آن روبول :
- التداولية اليوم:علم جديد في التواصل:ترجمة سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني،مراجعة:لطيف زيتوني،،المنظمة العربية للترجمة،الطبعة الأولى 2003،دار الطليعة للطباعة و النشر،بيروت،لبنان.
- القاموس الموسوعي للتداولية:ترجمة عز الدين المجدوب،المركز الوطني للترجمة،دار سينتارا،تونس.

-مونان جورج:مفاتيح الألسنية،الطبعة الأولى،بيروت،لبنان.
-نبهان عبد الإله:ابن يعيش النحوي:دراسة: الطبعة الأولى،1997،منشورات اتحاد كتاب العرب،دمشق،سوريا
-نور الدين السد:مفارقة الخطاب للمرجع:مجلة الكاتب،2001،اتحاد كتاب العرب،دمشق،سوريا.
-هادي نهر:علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي،الطبعة الأولى،2007،دار الأمل للنشر و التوزيع،الأردن.
-وائل بركات:السميولوجيا بقراءة رولان بارث :المجلد 18،العدد الثاني،مجلة جامعة دمشق ،2002،دمشق،سوريا.
-يقطين سعيد:تحليل الخطاب الروائي:الطبعة الرابعة 2005،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب.
-يوسف نور عوض:نظرية النقد الأدبي الحديث،دار الأمين،الطبعة الأولى،القاهرة،مصر.
-إبن يعيش موفق الدين:شرح المفصل:تحقيق:إبراهيم محمد عبد الله،دار سعد الدين للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى،2013، دمشق، سوريا.

Dubois et autres:dictionnaire de Linguistique.Larousse1973.
firth.J.R.Papers in Linguistics1934-1951(London : Oxford University presse, 1957) .
Fodor ,Jerry A « Modularity of Mind :An Essay on Faculty Psychology »Cambridge,Mass,MIT Press,1983.
Jacques Moeschler et Anne Reboul :Dictionnaire encyclopédiques de pragmatique, Ed :du seuil,1994 :"5"Halliaday.m.a.k.& Hassan,R.(1990).
katie walls,a dictionary of stylistics Pearson education,Edinburgh ate-Harlan,England 2001.
Piere Fontanier :les figures du discours Introduction par Gerard Genette.
Roman Jakobson ,Closing Statement,Linguistics and Poetics,in Semiotics,ed , by Robert E ;Innis.